رسائل الجنيد

«أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة»

تحقيق
الدكتور جمال رجب سيدبي

تصدير
الدكتور عاطف العراقي

دار اقرأ



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

العنوان: رسائل الجنيد
أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة

تحقيق د: جمال رجب سيدبي

عدد الصفحات ٢٩٦

قياس الصفحة ١٧.٥ × ٢٥

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

رقم الطبعة : الأولى

موافقة الطباعة ٧٦٦٠٠

دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع
سورية ـ دمشق ص.ب: ٥٩٥٧
تلفاكس: ٢٢٣٩٠٣١-١١-٩٦٣++
لبنان ـ بيروت ـ هاتف : ٧٠٥٩٢٠ -١-٩٦١++

رسائل الجنيد

« أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة »

تصدير

بقلم د. عاطف العراقي

يحتل التصوف في تاريخ الدراسات الإنسانية والفلسفية مكانة كبيرة، إنه يعد مجالاً رئيسياً من مجالات الفلسفة العربية تماماً كعلم الكلام وفلاسفة العرب.

لقد بدأ الاهتمام بدراسة التراث الذي تركه لنا صوفية الإسلام منذ فترة بعيدة، وكما أشار إلى ذلك الشيخ مصطفى عبد الرزاق في العديد من كتبه وخاصة كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية».

ولكن الدراسات الصوفية تعد قليلة إذا قارنا بينها وبين الدراسات المتعلقة بعلم الكلام وفلاسفة العرب. وهذا كان شيئاً متوقعاً إذ أننا نجد حتى الآن مئات المخطوطات المتعلقة بالتصوف ما زالت مجهولة لنا، يتساوى في ذلك دراسات التصوف السني والتصوف الفلسفي، بل توجد العديد من الأحكام المختلفة حول المصادر التي تمثل التصوف الفلسفي.

من هنا كانت سعادتنا حين عرفنا منذ عدة سنوات باهتمام الدكتور / جمال رجب بالبحث عن مخطوطات التصوف الإسلامي عامة، ورسائل الجنيد بصفة خاصة.

والدكتور جمال سيدبي أعرفه عن قرب، لقد شاركت في مناقشة رسالته للماجستير، تلك الرسالة التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور. وكانت الزميلة الدكتورة / زينب الخضيري، كما أشرفت على رسالته للدكتوراه، وكانت في موضوع «موقف أبي البركات البغدادي النقدي من الفلسفة الإلهية عند ابن سينا» كما كانت رسالته للماجستير تدور حول: «مشكلة خلود النفس بين ابن سينا والغزالي». وهذا إن دلنا على شيء فإنما يدلنا على الاهتمام البالغ من جانب الدكتور حمال سيدبي بالتراث الفلسفي العربي الإسلامي. لقد درس آراء مجموعة كبيرة من المفكرين كابن سينا وأبي البركات والغزالي بالإضافة إلى

اهتمامه بعد حصوله على درجتي الماجستير والدكتوراه وبأعلى التقديرات. اهتمامه بدراسة الكثير من القضايا والمشكلات في محيط الفلسفة العربية. .

إن هذا يدلنا على أن الدكتور/ جمال سيدبي قد أعد نفسه إعدادا دقيقاً لدراسة مجالات عديدة وقضايا كثيرة من مجالات وقضايا الفلسفة العربية.

لقد سار واثق الخطوة حين تصدى لتلك القضايا والمشكلات وواثق الخطوة يمشي ملكاً كما نقول. نعم كان واثق الخطوة، لأنه يعرف أمانة الكلمة وذلك يتمثل في أنه لا يتصدى للكتابة في أي موضوع إلا بعد قراءات تحليلية مستفيضة خلال سنوات وسنوات.

إنه، وأنا أعرفه - كما قلت - عن قرب له شخصيته الفريدة المتميزة، فهو لا يرتضي لنفسه اتخاذ موقف من المواقف أو رأي من الآراء إلا بعد التأمل العميق والتفكير المستمر.

وحين أقدم الدكتور/ جمال سيدبي على دراسة المخطوطات الصوفية، فإنه فضل أن يدرس ويحقق رسائل الجنيد، ونحن جميعاً نعترف بالمكانة الكبيرة للجنيد في تاريخ التصوف الإسلامي، إن أثره لم يقتصر على الفترة الزمنية التي عاش فيها أي القرن الثالث الهجري، بل امتد أثره إلى العديد من القرون بعد ذلك، ويكفي أن نعرف أثر الجنيد على الغزالي والذي ولد - كما نعلم - في القرن الخامس الهجري وعلى وجه التحديد عام ٤٥٠ هـ، وتوفي في السنوات الأولى من القرن السادس الهجري وعلى وجه التحديد عام ٥٠٥هـ.

إن أثر الجنيد إذن لم يكن محدوداً في فترة زمنية معينة وعلى بلدان محددة، بل إنه عن طريق آرائه قد جاوز الزمان والمكان. لقد بحث في العديد من القضايا التي تدخل في صميم القضايا الصوفية. والمهتم بدارسة التصوف الإسلامي لن يكون بإمكانه تخطي آراء هذا الزهد العابد الصوفي من قريب أو من بعيد، وبصرف النظر عن مدى اتفاقي أو اختلافي مع الجنيد، ونقصد بذلك أن الجنيد قد مثَّل إلى حد كبير التصوف السني، وقد نجد مجموعة من أوجه الخلاف بين آراء المعبرين عن التصوف السني وآراء الذين ارتضوا لأنفسهم أن يعبروا عن البعد الصوفي الفلسفي.

ويقتضينا الواجب بالإشادة بالعمل الجاد الذي قام به الدكتور / جمال سيدبي ، إن عمله الذي تمثل في تحقيق رسائل الجنيد لا يمثل مجرد طبع التراث ، بل إنه يمثل خير تمثيل ما نطلق عليه تحقيق التراث ، لقد وقف عند نصوص الجنيد وقفة متأنية ، وقارن بين كثير من النسخ ، ودرس كل نص وكل فكرة دراسة دقيقة موثقة فكان عمله غاية في الصعوبة ، لقد سار وسط الأشواك والصخور حتى أنه استطاع أن يقدم لنا رسائل الجنيد ويقدم لها بمجموعة من الدراسات التي يتعلق بعضها بحياة الجنيد الفكرية ، وبعضها الآخر بتحليل آراء الجنيد ، بالإضافة إلى تخريجه للأعلام ، وبحيث أدت هذه الدراسات من جانب الدكتور / جمال سيدبي إلى جعل الطريق ممهداً بعد ذلك أمام الباحثين والدارسين والمهتمين بالفكر الفلسفي الإسلامي عامة والتصوف الإسلامي على وجه الخصوص .

ومن المعروف أننا لكي نكون لأنفسنا مجموعة من الأحكام العادلة والموضوعية حول هذا الرأي أو ذلك من الآراء التي قال بها صوفية الإسلام ، لابد من نشر كتاباتهم ورسائلهم نشراً علمياً دقيقاً .

وهذا هو ما فعله الدكتور / جمال سيدبي ، لقد وقف كما أعلم عند رسائل الجنيد وقفة متأنية قام بدراستها خلال سنوات وسنوات ، وذلك قبل أن يقدم على تحقيق هذه الرسائل . ولعل مما يدلنا على ذلك أسماء المراجع التي ذكرها الدكتور / جمال سيدبي في الصفحات الأخيرة من إخراجه لهذا العمل البالغ الأهمية .

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن العمل الذي يقدمه اليوم الدكتور / جمال سيدبي للطبع والنشر ، إنما يمثل كما قلنا «تحقيق التراث» ، فإن هذا يضاعف من سعادتنا وخاصة أننا نجد كما سبق أن أشرنا فرقاً ، وفرقاً جذريّاً بين طبع التراث الذي يقوم به حتى الآن أشباه الدارسين والذي يتمثل في مجرد النقل وتحويل الصفحات من اللون الأصفر إلى اللون الأبيض القشيب ، وبين العمل الذي أخلص له الدكتور جمال سيدبي سنوات وسنوات وهو يعمل في صمت وهدوء ، ونعني به ما نطلق عليه تحقيق التراث .

وإذا كنا نجد الآن انتشاراً لأشباه الأساتذة في الجامعات المصرية والعربية ، فإننا

نشهد للدكتور/ جمال سيدبي بأنه يمثل الأستاذ كما ينبغي أن يكـون ، وذلـك حين أقدم على هذه الدراسة المتأنية وهذا التحقيق الدقيق في مئات الصفحات ، ويقيني أن الأجيال القادمة من المهتمين بالتراث الفلسفي العربي ستظل تذكر بالثناء والتقدير هذا العمل الجاد الذي قام به تلميذنا بالأمس وزميلنا اليوم الدكتور/ جمال سيدبي ، وخاصة إذا أضفنا إليه الكتابات العميقة المتأنية والتي قام بها تلميذنا في مجال التأليف ، والتي استغرقت منه سنوات طوال من حياته الفكرية ، فإذا جاء اليوم الدكتور / جمال سيدبي ، وأضاف إلى اهتمامه بمجال التأليف من خلال آلاف الصفحات التي كتبها عن شخصيات فلسفية كثيرة ، أضاف إليها اهتمامه بمجال التحقيق متمثلاً في تحقيق رسائل الجنيد ، فإن هذا لا بد أن يؤدي بنا إلى أن نتوقع للدكتور/ جمال سيدبي مستقبلاً مشرقًا ، وبصمات بارزة ، ليس في مجال التأليف الفلسفي فحسب ، بل في مجال التحقيق الدقيق أيضًا .

والله هو الموفق للسداد...

القاهرة - مدينة نصر

في ١٥ مايو ٢٠٠٣م

مقدمة

الإمام الجنيد من الأئمة الكبار في تاريخ التصوف الإسلامي، وله باعه الطويل في رحلة الوصل والوصال. ورغم هذه الأهمية لشيخ الطريقة وإمام الحقيقة، فتراث الرجل مازال جله مطموراً ولم يخرج إلى حيز النور.

لقد كانت هناك مجهودات في هذا المضمار منذ زمن، فلقد قام الدكتور حسن عبد القادر بتحقيق بعض هذه المخطوطات وقدَّم دراسة عن حياته مع ترجمة باللغة الإنجليزية[1].

ويعلق المرحوم الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر على تحقيق عبد القادر في بعض رسائله بقوله: «ونظراً لرداءة الخط، وأسلوب الجنيد، ولعدم تهيؤ الفرصة الكاملة لانتفاع المحقق انتفاعاً تاماً بمقابلة رسائل الجنيد بعضها ببعض، ولوحظ أن التحقيق الذي قدمه الأستاذ عبد القادر يحتاج إلى بعض التصحيح الضروري، كما أنه لوحظ أيضاً أن الترجمة في كثير من الأحيان لا تلتزم النص»[2].

ومنذ ذلك التاريخ لم تمتد أيدي الدارسين لتحقيق باقي مخطوطات الإمام.

والعجيب أن الإمام الجنيد – بهذه المكانة الرفيعة في تاريخ التصوف – كان حريا

---

(١) نود أن نشير إلى أن هذا المؤلف منشور بعنوان:
The Life; perspnality and Writings of al-Junayd. Gibb. M. S:
(حياة وشخصية وكتابات الجنيد) تحقيق وترجمة على حسن عبد القادر، طبعة لوزاك ـ لندن ١٩٧٦م على نفقة جمعية المستشرق جب، وهي أحد عشر مخطوطاً في حين ما قمنا به في هذا العمل ستة عشر مخطوطاً، وأيضاً خمس عشرة رسالة منشورة ليصبح إجمالي الرسائل حوالي واحداً وثلاثين رسالة علماً بأنه من خلال المقابلة يتضح أن عبد القادر لم يقم بتخريج الآيات والأحاديث والأعلام التي في المخطوطات، كما لم يقم بالتعليق على بعض المصطلحات مثل الفناء أو غيره، وهذا الرأي يتسق مع ما جاء من قول الأستاذ الدكتور جعفر المذكور أعلاه مع الأخذ في الاعتبار أننا نقدر مجهودات السابقين، فيبقى فضل السابق على اللاحق دائما.

(٢) د. محمد كمال جعفر: التصوف (طريقاً وتجربة ومذهباً)، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠م، ص: ٢٤٩.

أن تكون رسائله محققة بين أيدي القراء والدارسين منذ زمن طويل. ويبدو أن هنالك بعض العوامل - فيما نعتقد - كانت حائلا دون ذلك فيما يبدو لنا، وأولها أن معظم هذه الرسائل كانت منسوخة بطريقة رديئة وسقيمة مما تُكلف المحقق جهد وتؤدة وأناة كما هو معروف في منهج المحققين. أمر آخر أن البعض يعتقد أن تراث الجنيد مجرد أقوال متناثرة بين أمهات الكتب والمراجع الصوفية، مثل حلية الأولياء وغيره من مصادر التصوف، وأن مخطوطاته لا تمثل سوى النذر اليسير.

لمثل هذين السببين اللذين أشرت إليهما آنفا ما دفعني إلى محاولة تحقيق هذه المخطوطات، والبحث عن نسخها للمقابلة، وأصبح مجمل هذه المخطوطات بعد التحقيق حوالي ستة عشر مخطوطا، ولم أكتف بهذا وحسب. بل أضفت إلى هذا العمل كل ما تركه الإمام من رسائل أو أقوال متناثرة في مصادر التصوف الأصلية والقريبة العهد نسبيا بحياة الإمام الجنيد، مثل حلية الأولياء للأصفهاني، والرسالة القشيرية للقشيري، واللمع للطوسي، وألحقت الرسائل المنشورة بالمخطوطات التي قمت بتحقيقها، ثم صنفت الأقوال تصنيفا موضوعيا أو حسب - موضوعاتها - وألحقتها بالمخطوطات، ليصل بذلك عدد رسائل الجنيد إلى واحد وثلاثين رسالة.

وقد التزمت في عملي هذا بالمنهج العلمي للتحقيق من النسخ والمقابلة وتصويب الأخطاء ثم تخريج الآيات والأحاديث، وتخرج الأعلام، والتعليق على بعض المصطلحات، وتوضيح ما أشكل من معاني الكلمات، ونقد بعض المرويات ما أمكن. وبعد هذا الجهد المتواضع أصبح جل تراث الجنيد الآن في متناول أيدي الدارسين والباحثين.

آمل بهذا العمل أن يكون حافزا للدارسين والباحثين نحو تحقيق كنوز تراثنا الصوفي الإسلامي، وعلى الله قصد السبيل.

المحقق

ترجمة الجنيد

(٢٢١ - ٢٩٨هـ)

(أ) حياته وأساتذته :

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي [١] ثم البغدادي القواريري ، والده الخراز [٢] ، هو شيخ الصوفية ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين [٣] .

وكان فقيها تفقَّه على أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته ، وصحب السري السقطي [٤] والحارث المحاسبي [٥] ومحمد بن على القصاب البغدادي [٦]

وكان تلميذا أيضا لمعروف الكرخي [٧] وغيرهم من أئمة القوم وسادتهم .

مقبول على جميع الألسنة [٨] قيل عنه : صوفي متكلم [٩] اشتهر بأنه سيد الطائفة ، ومقدم الجماعة ، وإمام أهل الخرقة ، وشيخ طريقة التصوف ، وعلَم الأولياء في زمانه ، وبهلوان العارفين [١٠]

---

(١) نسبته إلى "نهاوند" مثلثة النون الأولى ، مع فتح الهاء والواو بينهما ألف وإسكان النون الثانية . قال ياقوت في معجمه ٥/ ٣١٣ : مدينة عظيمة في قبله همذان .

(٢) شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ/ ١٤ تحقيق أكوم البوشي . مؤسسة الرسالة ، ص : ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة . وليس بين أيدينا تاريخ محدد لميلاد الجنيد وإنما هذا هو الرأي الراجح فيما نعتقد .

(٤) هو أبو الحسن سرى بن المغلس السقطي ، إمام البغداديين وشيخهم في وقته توفى سنة ٢٥١هـ .

(٥) هو أبو عبد الله الحارث المحاسبي البصري الأصل ، الزاهد المشهور صاحب التصانيف المتوفى سنة ٢٤٣هـ .

(٦) محمد بن علي ، أبو جعفر القصاب الصوفي . قال أبو عبد الرحمن بن الحسين السلمي : محمد بن على القصاب ، بغدادي ، وكان أستاذ الجنيد . وكان الجنيد يقول : " الناس ينسبونني إلى سري السقطي ، وكان أستاذي محمدا القصاب " . مات أبو جعفر القصاب سنة ٢٧٥هـ .

(٧) معروف بن على الزاهد ، عاش ببغداد ، وكان من موالى على الرضا بن موسى الكاظم ، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم والمذكورين بالورع والفتوة ، كان أستاذ سري السقطي ، صحب داود الطائي . وهو أحد أعلام المتصوفة ، ولابن الجوزي كتاب في (أخباره وآدابه) ، توفي عام ٢٠٠هـ ، ٨١٥م .

(٨) عبد الرحمن السلمي : طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبه ، الناشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ص : ١٥٥ .

(٩) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، جـ ٣ ص : ١٦٢ .

(١٠) طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ، جـ٢ ص : ٦٤ .

اختلف الدارسون حول وفاته كما اختلفوا حول ميلاده، فقيل: توفي الجنيد يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل: سنة سبع وتسعين[١] وما بين مولده ووفاته كانت الأحداث الجسام في حياة الأمة، وظهور العلماء الكبار[٢].

(٢) أسرته:

لا تخبرنا المصادر التاريخية بالكثير عن حياة الجنيد الشخصية، ولا يجد الباحث ما يروى ظمأه سوى ما هو معروف من أنه نشأ في بيت متوسط الحال يعيله والده من بيع القوارير، ويساعده الجنيد بما يفيض عليه حانوت اتخذه في أحد أسواق بغداد ليبيع الخز بالإضافة إلى بيت عمه الذي كان كما يقول الجنيد لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا[٣]

(٣) لمحة عن تصوفه:

قُدِّر للإمام الجنيد أن يبذ أقرانه من علماء عصره، وليس أدل على هذا من تعرضه للفتيا في شبابه، ولهذا قال عنه جعفر الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجَّحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه[٤] وقال أيضا أبو القاسم الكعبي ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة يحضرونه

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٦٧

(٢) نشير هنا إلى هذه المرحلة التاريخية في عصر الجنيد (نقلا عن زهير ظاظا) وهي الفترة التي اضطرب فيها كل شيء مثل اندلاع فتنة الزنج في البصرة، وتمكن القرامطة في البحرين ومحاصرتهم لدمشق واقتلاعهم الحجر الأسود!. وحرق الروم لدمياط، ونشوء الدولة الطولونية في مصر والحمدانية في الشام وشمال العراق والسامانية فيما وراء النهر، واختفاء آخر الأئمة الاثني عشر، وتأزم الدولة الأغلبية في تونس، وصراع الأدارسة والصفرية في مراكش، وتألق الدولة الأموية في الأندلس وقد عاصر الجنيد من المحدثين: الأئمة الستة وأبا زرعة الرازي وأبا حاتم والنسوي وابن أبي والدنيا والدارمي وأبا يعلى وعبد الرحمن بن مسلم الرازي والدارمي بن سعيد وغيرهم. ومن المفسرين: الطبري وبقي بن مخلد والبجلي والخفاف وعبد الله بن محمد الدينوري وغير هؤلاء ومن الفقهاء: المزني والربيع المرادي وداود الظاهري وسحنون والعتبي وغيرهم. ومن الأدباء: الجاحظ والمبرد وثعلب وابن بكار وابن قتيبة وأبا حنيفة الدينوري وأبا العيناء وابن عبدكان وغير هؤلاء. ومن المؤرخين: الطبري واليعقوبي والبلاذري والفاكهي وابن منده والعقيقي وغيرهم. ومن المعتزلة: ابن الخياط والجاحظ وابن شداد وابن عمر الباهلي ومحمد بن كرام وابن المنجم والشحام ومحمد بن يزيد الواسطي وغيرهم.

(٣) السبكي: ٢/ ٢٩، زهير ظاظا: الإمام الجنيد، الناشر دار الخير بيروت ص ٢٤.

(٤) طبقات الشافعية، مجلد ٢ ص: ٦٤

لألفاظه، والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لعلمه[1] وكان الجنيد رحمه الله من طلاب الحقيقة، وسئل عن العارف، فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت[2]

وأساس مذهبه مراقبة الباطن وتصفية القلب وتزكية النفس، والتخلق بالأخلاق الحميدة، وطريقته تقوم على الصحو، وتابعه فيها أغلب الصوفية لأنها لا تتصادم مع الشريعة وتجمع بين الظاهر والباطن، والجنيد في شرحه لأصولها وفروعها أستاذ، وكان مريدوه يلقبونه بالأستاذ، وهو مرب صوفي بالمعنى الصوفي للمربي، فهو العارف بفنون علوم التصوف، والمؤيد بعلوم الفقه[3] ولهذا قيل إن مذهبه مصوناً من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبهة الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع[4] لازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة، وتكلّم على طريقة الصوفية، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فرش، ففتح الله عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه، وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا أخذ منها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك في التصوف وغيره. ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال، فقال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي[5] ومن كلام الجنيد: كل علم نفيس جليل بذل المجهود، وليس من عبد الله يبذل المجهود، كمن طلبه من طريق الجود[6] والجنيد في نهجه الصوفي يؤكد على مرجعية الكتاب والسنة، وهذا يمثل في نظرنا أسمى آيات الاعتدال في مذهبه الصوفي، يقول: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به[7]

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، المجلد الأول، ص: ٣٧٣

(٣) د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، دار الرشاد، ص: ١٠٧

(٤) الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، جـ٢ ص: ١٤١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، جزء١١، ص: ١١٤.

(٦) طبقات الشافعية، مجلد ٢ ص: ٦٥.

(٧) طبقات الشافعية للسبكي، جـ٢ ص: ٢٧٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي، دار الفكر، جـ١ ص: ٢٢٨، د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، ص: ١٠٧، الأعلام للزركلي، جـ٢، ص: ١٤١، وفيات الأعيان لابن خلكان، جـ١ ص: ٣٧٣، البداية والنهاية لابن كثير، جـ١١ ص: ١١٤

ولما صنف عبد الله بن سعيد بن كلاب كتابه الذي رد فيه على جميع المذاهب سأل عن شيخ الصوفية، فقيل له الجنيد: فسأله عن حقيقة مذهبه فقال: مذهبنا إفراد القِدَم عن الحدث وهجران الإخوان والأوطان ونسيان ما يكون وما كان، فقال ابنَ كلاب: هذا كلام لا يمكن فيه المناظرة، ثم حضر مجلس الجنيد، فسأله عن التوحيد، فأجابه بعبارة مشتملة على المعارف، ثم قال: أعد عليَّ لا بتلك العبارة، ثم استعاده الثالثة، فأعاده بعبارة أخرى، فقال: أمْلِه عليَّ. فقال: لو كنت أجرده كنت أمليه، فاعترف بفضله[1].

قال أبو محمد الجريري: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، بل عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات.

قلت: هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط، أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحقيقة السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، والسعادة في متابعة السنن، فزن الأمور بالعدل وصم وأفطر، ونم وقم، والزم الورع في القوت، وارضَ بما قسم الله لك، واصمت إلا في خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله[2]؟

وتفسير الجريري - آنف الذكر - يوضح لنا نهج الجنيد، فالتصوف عنده يمثل المنهج الإسلامي المعتدل المتوازن بلا إفراط أو تفريط، وليس كما يعتقد البعض خطأ أن المقصود ترك الدنيا بالكلية، أو الجوع لدرجة الهلاك، ومن هنا نقول إن الجنيد يمثل مدرسة معتدلة في التصوف الإسلامي كان لها أثرها فيما بعد بلا غلو أو تفريط.

وعن موقف الجنيد من العقل، قال عنه جعفر الخلدي: سألته عن مسألة العقل فقال: يا أبا محمد من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله[3].

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ٢، ص٢٢٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الجزء الرابع عشر، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ص: ٧٠

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، الجزء الأول، ص: ٢٢٨.

وعن إسقاط الأعمال والتكاليف الشرعية وتركها، يحذرنا الجنيد من الفتنة بهذا، بل يجرمها، وشاهدنا في هذا هذه الرواية: يقول أبا بكر: سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال: «أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى، إلى الله تعالى». فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني، أحسن حالا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله، أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال دونها، وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي[1].

ويربط الجنيد بين المحبة وطاعة الله، فكما جاء في الرواية: سمعت أبا علي محمد بن إبراهيم البزار يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجي[2] يقول: سألت الجنيد عن المحبة، فقال: تريد الإشارة؟! قلت: لا! قال: تريد الدعوى؟ قلت: لا! قال: فأيش تريد؟! قلت: عين المحبة. فقال: أن تحب ما يحب الله تعالى في عباده، وتكره ما يكره الله تعالى في عباده[3].

وكان الجنيد رحمه الله من الذاكرين، يدعو إلى تصفية القلوب مما خالطها من شوائب، لتخلص إلى المولى تبارك وتعالى، فكما جاء في هذا الصدد: عن أبي الفتح الزاهد ببغداد يقول: سمعت جعفر بن محمد نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: «إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره، حسب ما خلصت به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك»[4].

وكان أيضا رحمه الله حاله مطابقاً لعلمه وعلمه مطابق لحاله. قال عنه الخلدي: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك، فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا

---

(١) السلمي: طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريبه، الناشر الخانجي. ص: ١٥٩.

(٢) محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد أبو عمرو الزجاجي، النيسابوري صحب أبا عثمان والجنيد والنوري والخواص وغيرهم، توفى سنة ٣٤٨هـ.

(٣) السلمي: المرجع السابق، ص: ١٦٣.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص: ١٥٧.

ركعات كنا نركعها في الأسحار[1].

ما قدمنا لمحة من إشراقات الجنيد، حول مذهبه الصوفى الذى يجمع بين العلم والعمل، والدين والدنيا، ولو أفضنا القول ما وسعتنا الصفحات والصفحات، وهذا غيض من فيض، وعندما تضيق العبارة تكفى الإشارة !، وسلام على الإمام في الخالدين.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص : ٧٧

مؤلفاته

أولا: نود أن نشير إلى المخطوطات التي قمنا بتحقيقها في هذا العمل:

١- كتاب القصد إلى الله[١]

المخطوط مصور من معهد المخطوطات العربية برقم ٧١٥ مرتب أبجدي، وهو صورة من مكتبة الحرم المكي الشريف ضمن مجموعة برقم ١٤، وتاريخ نسخها سنة ١١٠٦ بخط نسخ عادة.

٢ - كتاب السر في أنفاس الصوفية

الكتاب مصور عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم تصوف ٢٨٧، ميكروفيلم رقم: ١٩٢٣٩.

٣ - كتاب دواء الأرواح

المخطوط له نسختان: الأولى في دار الكتب برقم ٣ مجاميع، ميكروفيلم رقم: ٤٩٩٥ والثانية في معهد المخطوطات العربية، ضمن رسائل في التوحيد والتصوف، برقم ١٣٥ تصوف.

٤- كتاب دواء التفريط

المخطوط في معهد المخطوطات العربية، برقم ٣٧٣ تصوف، وبعض أجزائه موجودة في حلية الأولياء، جزء (١٠).

٥- كتاب أدب المفتقر إلى الله.

وهو مصور عن معهد المخطوطات العربية برقم ١٣٤ توحيد.

٦- الفرق بين الإخلاص والصدق

المخطوط ضمن رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم: ١٣٤ توحيد، ٢٢٧ تصوف، ١٣٥ تصوف، وللمخطوط نسخة

---

(١) كتاب "القصد إلى الله"، دار حوله خلاف، فيرى نيكلسوف في مجلة إسلامكا، أن هذا الكتاب ليس من عمل الجنيد لأن فيه نص مؤرخ سنة ٣٩٥هـ أي بعد وفاة الجنيد والواقع أن لغة الجنيد وإشاراته تتسق مع نهجه الصوفي مما يجعلنا نرجح أنه من المؤلفات الصحيحة النسب للجنيد، وقد يكون الخطأ من الناسخ في ذكره التاريخ بعد وفاة الجنيد !!

مطبوعة نشرها د. علي حسن عبد القادر مع ترجمة إنجليزية في مجلة (Islamic quarterly) ١٩٥٩-١٩٦٠م.

٧- كتاب الفناء

من رسائل في التوحيد والتصوف برقم ١٣٤ توحيد معهد المخطوطات العربية.

٨ - كتاب الميثاق

المخطوط من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربي، برقم: ١٣٥ تصوف.

٩ - في الألوهية

المخطوط من رسائل في التوحيد والتصوف برقم ١٣٤ توحيد.

١٠- كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي رحمهما الله تعالى

المخطوط من رسائل في التوحيد والتصوف معهد المخطوطات العربية، برقم ٣٩٦ تصوف، ٣٣٧ تصوف، ١٣٥تصوف، ١٣٤توحيد.

١١- نسخة من كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله عليهما

رسائل في التوحيد والتصوف برقم ١٣٥ تصوف، ٣٩٦ تصوف، ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد.

١٢- رسالة أبي القاسم الجنيد إلى يوسف بن يحيى رحمة الله عليها

من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، رقم ١٣٤ توحيد.

١٣- رسالة أبي القاسم الجنيد إلى بن محمد إلى يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما

من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، رقم ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد، ٣٩٦ تصوف.

١٤- رسالة أبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

من رسائل في التوحيد والتصوف معهد المخطوطات العربية، برقم ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد، ٣٩٦ تصوف.

١٥- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه

من رسائل في التوحيد والتصوف برقم ٣٩٦ تصوف، ١٣٤ توحيد، ٢٢٧ تصوف.

١٦- رسالة إلى بعض إخوانه

أوردها على حسن عبد القادر في رسائل الجنيد، ص: ٣ - ٦.

ثانيا: رسائل منشورة في الحلية وقمنا بتحقيقها، وهي:

١٧ - رسالة إلى جعفر الخلدي.

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٤ —٢٨٧.

١٨ - رسالة في المعرفة

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٧-٢٥٩.

١٩ - رسالة الجنيد إلى أبى إسحاق المارستاني

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٦، ٢٧٧.

٢٠ - رسالة إلى بعض إخوانه

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٠، ٢٦١.

٢١ - رسالة إلى بعض إخوانه

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٩، ٢٨٠.

٢٢ - رسالة إلى بعض إخوانه

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٠.

٢٣ - النظر الصحيح إلى الدنيا

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٢، ٢٦٣.

٢٤ - رأى الجنيد في الذكر الخفي

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

٢٥ - كتابه إلى أبي العباس الدينوري

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٥.

٢٦ - عقبات الوصال

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٩، ٢٦٠.

٢٧ - رسالة في الإيمان

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٥، ٢٦٦.

٢٨ - صفة العاقل

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧١-٢٧٣.

٢٩ - رسالة في التوحيد

حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٦، ٢٥٧.

٣٠ - رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي

كتاب اللمع، ص: ٣١١-٣١٢.

٣١ - رسالة الجنيد إلى علي بن سهل الأصبهاني

كتاب اللمع، ص: ٣١٠.

ثالثا: أقواله في مختلف الموضوعات:

انظر: نهاية العمل ص.

رابعا: أعمال أخرى تنسب للجنيد[1]:

- **أمثال القرآن** (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ص١٧٢٧، ١٨٠٦).
- **معاني الهمم في الفتاوى الصوفية** (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ص١٧٢٧، ١٨٠٦).
- **قصيدة صوفية**: (برلين٧٥٤٣).
- **شرح شطحات أبي يزيد**، ذكره السراج من اللمع "٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧ ٣٨٩ وانظر ص٣٤٩".
- **تصحيح الإرادة**. ذكر الهجويري في "كشف المحجوب" ص ٣٣٨.
- **منتحب الأسرار في صفة الصديقين والأبرار**، ذكره ابن العربي في «المواقع» ص ٣٠س١٦.
- **حكايات (أهو كتاب له أم عنه؟)**. ذكره السخاوي في "الإعلان" ص٤١.
- **المتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي**، ذكره الغزالي في «المنقذ من الضلال» (ط القاهرة ١٣٠٩)، ص ٢٠.

وقد أشرنا إلى هذه الأعمال التي تنسب للجنيد للأمانة العلمية ولفتح المجال أمام الدارسين لمزيد من البحث والتحقيق.

---

(١) اعتمدنا في هذا العرض على: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الرابع، نقله إلى العربية الدكتور السيد يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، الناشر دار المعارف ص ٦٥ ـ ٦٦) وعمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، الجزء الثالث، ص: ١٦٢.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد [illegible]

كتاب [illegible] السر

في أنفاس الصوفية من كلام

سلطان الحقيقة وبحر الطريقة

أبو القاسم الجنيد [illegible]

باب [illegible] الإشارة

قال أبو القاسم [illegible]

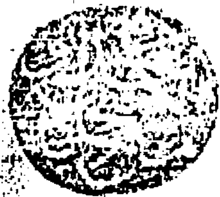
الحمد لله الذي [illegible]

[illegible]

التصوف وصول [illegible] أصول [illegible]

[illegible] الأسرار الغيب المصون عن [illegible]

[illegible]



صورة الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوط السر فى أنفاس الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بالكرم

الحمد لله حمد من قصد إلى الملك الجواد واطلع بسره [illegible]
ونظر إلى المراد بعين الفؤاد وما يبين له الوصلة إلى المراد بالمراد للمراد
جل وعز فعند ذلك غاب عنه الرقاد ثم العباد ثم البلاد
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من توكل عليه كفاه
ومن فوض إليه آواه ومن قصد إليه واعتصم به هداه إلى صراط مستقيم [illegible]
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير [illegible]
والدين المشهور [illegible] صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد معاشر القاصدين إلى مواصلة الله تعالى وقربه فكل
من قصد الله تعالى وقصد مواصلته فلا يخلو من إحدى ثلاث
إما أن يكون واصلاً إلى محبوبه فيكون معه إلى الأبد من غير أن يلتفت منه إلى سواه
وإما أن يرجع عن الطريق عنه بالتفاته منه إلى من سواه
وإما أن يبقى في الطريق على العزم والحساب مستدرج حتى يبدو له من الله
ما لم يكن يحتسب فإن دققتم معاشر إخواني على عرفان كل من هذه
الثلاثة [illegible] بعون الله تعالى شرحها وأبينها في [illegible]
فإن نظرتم ووقفتم عليها إن شاء الله تعالى تنتفعون به فرحم الله
عبداً نظر في هذا الكتاب بعين الحقيقة وحفظ الحرمة وإن لم يكن له
نفع ورتبة بما ذكرنا في هذا الكتاب من مراتب أهل القصد إلى الله تعالى
ومنازلهم فليرجع إلى الله تعالى ولا يعرض في [illegible]

وإن

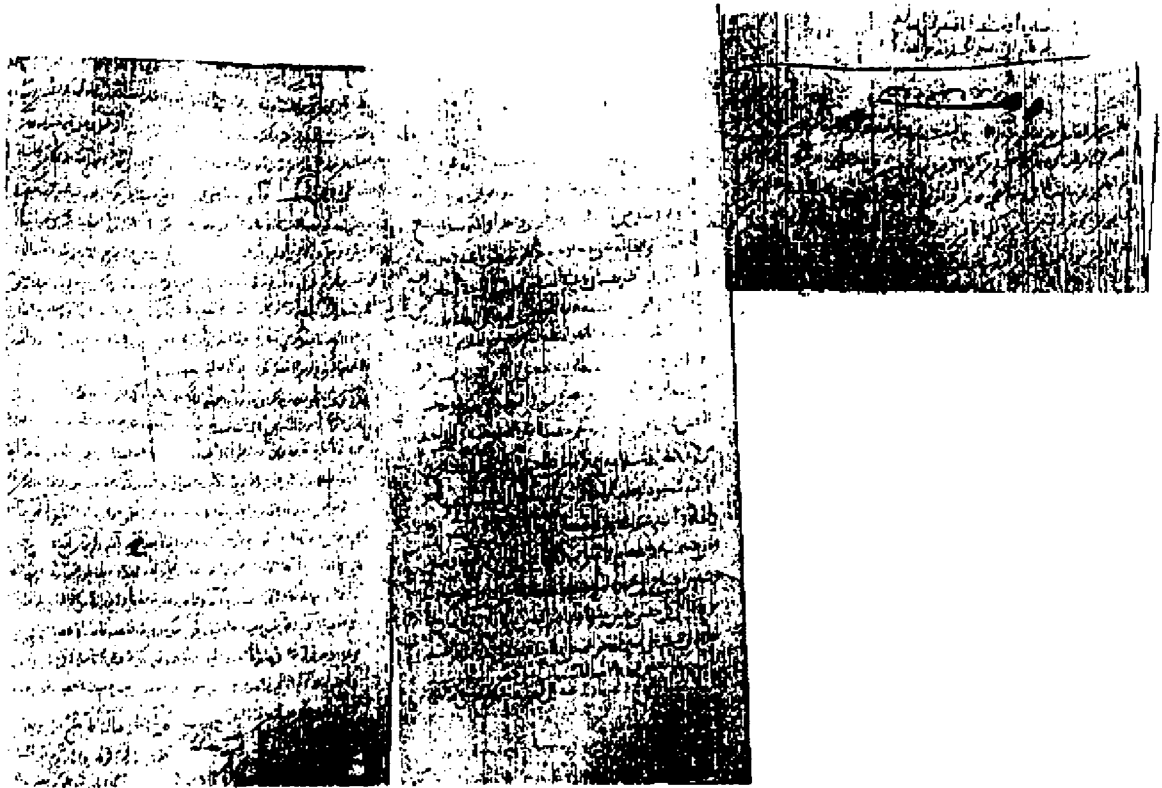
[illegible]

تم كتاب القصد إلى الله تعالى للشيخ العارف بالله تعالى
أبو القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره ونور ضريحه
ووقع الفراغ [illegible] يوم الاثنين [illegible]
[illegible] سنة ست [illegible] وألف

صورة للصفحة الأولى والأخيرة من مخطوط رسالة القصد إلى الله

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوط دواء الأرواح

صورة أخرى لصفحات من مخطوط دواء الأرواح



صورة لصفحات من مخطوط أدب المفتقر إلى الله

صورة لصفحات من مخطوط دواء التفريط

صورة لصفحات من مخطوط الفرق بين الإخلاص والصدق

صورة من مخطوط كتاب الفناء

صورة من مخطوط كتاب الميثاق

صورة من مخطوط رسالة فى الألوهية

صورة من مخطوط رسالة الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من رسالة الجنيد إلى يوسف بن الحسين

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من كتاب الجنيد إلى أبى يعقوب الرازى

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من رسالة الجنيد إلى يحيى بن معاذ الرازى

صورة لمخطوط رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه

كتاب القصد إلى الله

كتاب القصد إلى الله [1]
لأبى القاسم الجنيد نفع الله به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسر يا كريم

الحمد لله حمد من قصد إلى الملك الواد، واطلع بسره على البحر الوداد ونظر إلى المراد بعين الفؤاد، وعاين له الوصلة إلى المراد بالمراد للمراد، جل وعلا، فعند ذلك غاب عنه الرقاد، ثم العباد ثم البلاد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي من توكل عليه كفاه، ومن فر إليه آواه، ومن قصد إليه واعتصم به هداه إلى صراط مستقيم، ودين قويم، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير، أرسله بالكتاب المسطور والدين المشهور، فحسن فعاله، وصدق مقاله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً، أما بعد.

معاشر القاصدين إلى مواصلة الله تعالى وقُرْبه، فكل من قصد الله تعالى وقصد مواصلته، فلا يخلو من إحدى ثلاث: إما أن يكون واصلا إلى محبوبه، فيكون معه إلى الأبد، من غير أن يلتفت منه إلى سواه. وإما أن يرجع عن الطريق عنه، بالتفاتة منه إلى من سواه. وإما أن يبقى في الطريق على الغرة [2] والحساب مستدرجا حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

فإن وقفتم معاشر الإخوان على عرفان تميز هذه الثلاثة، وإلا سأقرئكم بعون الله تعالى شرحها، وأبينها في عشرة أبواب فإن نظرتم، ووقفتم عليه إن شاء الله تعالى تنتفعون به، فرحم الله عبدا نظر في هذا الكتاب بعين الحقيقة، وحفظ الحرمة، وإن لم تكن له فطنة وروية بما ذكرنا في هذا الكتاب من مراتب أهل القصد إلى الله تعالى ومنازلهم، فليفزع إلى الله تعالى، ولا يخوض في أهل ولاية الله

---

(١) المخطوط مصور من معهد المخطوطات العربية، برقم ٧١٥ مرتب أبجدي، وهو صورة من مكتبة الحرم المكي الشريف ضمن مجموعة برقم ١٤، وتاريخ نسخها سنة ١١٠٦ هـ بخط نسخ عادة.

(٢) الغرة: غفلة في اليقظة، انظر المعجم الوسيط، ص: ٦٧٣.

تعالى وأهل قربه ، ولا ينكر كلامهم ، لأن الإنكار فيه خطر عظيم[1] .

بارك الله لنا ولكم في تأليفي هذا ، وبه التوفيق على ما يحب ويرضى ، ونستعينه على الصدق والصواب ، فإنه القادر الوهاب .

---

(١) ورد في هامش المخطوط : قالوا آخر ما يخرج من الصديقين حب الجاه ، فتجلى لهم جمال ذي الجلال حتى نسوا أنفسهم ولسانهم . شهاب الدين .

الباب الأول

في القصد إلى الله تعالى وما يستقبله من العقبات[1]

قال شيخ الطريقين وإمام الفريقين أهل الحقيقة والطريقة العارف بالله تعالى المجمع على تقديمه على الأكابر أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه : اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد إذا قصد إلى الله وإلى مواصلته بطيران السر وصفاء النية ، على أن يقيم معه إلى الأبد استقبله ألف عقبة ، كل عقبة أكود وأطول ألف مرة من العرش إلى الثرى ، ولا تزال هذه العقبات تستقبله عقبة بعد عقبة وهو يجوزها واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى مقصوده ومحبوبه .

فأول العقبات التي تستقبله هي عقبة الدنيا بكل ما فيها من زهرتها وطيب عيشها والتمتع بأنواع نعيمها وراحتها ، فتقول له أين تذهب يا عبد الله أنا مسكنك ومأواك خُلقتَ مني ، ووُلدْتَ في ، وعشت بي ، لابد لك مني[2] فإذا نظر العبد إلى غوامض آفاتها ، وكمال سحرها وأنواع مكرها وغرورها وكثرة شرها وبلائها وسرعة فنائها وتقلبها بأهلها ، ويرى نفسه مائلا إلى راحتها وشهواتها وحسن المعاشرة مع أهلها اعتصم بعون الله ، ولم يلتفت إليها ، وزهد فيها ، ولم يشتغل بها ، ويقول لها : يا مأوى كل بلاء يا غدارة يا عدوة الله ، كم رأيتُ من غدرك وقوله هذا وفعله حُرْمة لإجلال ربه ، فإن الآفات كلها راجعة إلى حب الدنيا .

ويقول : يا نفس أمَّا هذه الدنيا فانية ، والذي لابد لي منه هو مقسوم لي بقسمة الله لا يزيد ولا ينقص ، وهو القادر على أن يغنيني عنك .

فلما جاوز هذه العقبة وقطع عن قلبه حبال التعاليق ، وصفا سره من غبار التخاليط صار منفردا للقصد إلى ربه تعالى ، وتخلص من هذه العقبة ، واستقبله

(١) ورد في هامش المخطوط : قال عليه السلام : "من جعل همومه هما واحدًا كفاه الله في الدنيا والآخرة .

(٢) ورد في هامش المخطوط : قال عيسى : مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله ، واعلم أن من اطمأن إلى الدنيا وهو يتيقن أنه راحل عنها فهو في غاية الحماقة .

إمارة الزهد في الدنيا بعون الله عز و جل استقبلته عقبة الخَلْق بكل ما في عرفهم وعادتهم، وهي أصعب العقبات بَلِيَّةً وأشدها مشقة وأطولها نهاية، وأبعدها مسافة، وأَمَرُّها[1] على القلب من غيرها بألف ألف مرة، نادوه وقالوا له: أين تذهب يا ولي الله! نحن رفقاؤك وندماؤك ونعينك على جميع أمورك، ونساعدك على ما أنت فيه، لا بد لك منا في الدارين، وفي جميع أمور الدين والدنيا.

فينظر العبد إلى ألوان طبائعهم، وسوء أخلاقهم وقلة وفائهم، وغوامض آفاتهم، وقبح بواطنهم وفنون غوائلهم[2]، وكمال غدرهم وسرعة إعراضهم، وخساسة همَمهم وعظم انقلابهم، وألوان دقائقهم، وغوامض مهلكاتهم، ويرى نفسه مائلة بطَبعها إلى ثنائهم[3] ومحمدتهم، مع محبة الرئاسة والشرف والجاه والمنزلة عندهم، فحينئذ يعتصم بعون الله ربه، ويقطع إيمانه منهم، ولم يشتغل بهم، ولم يلتفت إليهم، ويقول: "يا معاشر الرفقاء، الذي[4] لا بد لي منه هو الله تعالى، وهو قادر أن يغنيني عنكم". وقوله هذا مع فعله إجلال لحرمة محبوبه ومقصوده.

فلما جاوز العبد هذه العقبة، وقطع عن قلبه حبال التعاليق، وصفا سره من خباط التخاليط، وصار منفردا بالقصد إلى الله سبحانه وتعالى، تخلص من عقبة الخَلْق، واستقام له الانفراد بالفرد والاستئناس بربه من ربه تبارك وتعالى، ثم يستعينه سبحانه، فيعينه بإعانته، فيديم هذه الحالة له تبارك وتعالى، استقبلته عقبة النفس بكل ما فيها من الجهل والغفلة والنسيان والفترة[5]. التي هي أصعب العقبات بلية وأشقها وأطولها نهاية وأبعدها مسافة وهي عقبة كئود أعظم العقبات وأصعبها وأمرها، فتقول له: يا عبد الله أين تذهب؟ أنا نفسك، بقاؤك بي، وقيامك بي، وأنت لا تقوى على جميع ما تصنع إلا بي، ولا تتصلح لك أمور الدارين إلا بي، ولابد لك مني.

---

(١) من المرارة.

(٢) غال الشيء: أي: سرقه، وغال فلان فلانا: إذا وصل إليه منه شر، انظر المعجم الوسيط، ص: ٦٩٣.

(٣) يقصد ثناء الخلق عليه.

(٤) الاسم الموصول يعود على لفظ الجلالة.

(٥) الضعف والنسيان، انظر المعجم الوسيط، ص: ٦٩٧.

فإذا نظر العبد إلى نفسه وتركيب أساسها وتطبيع بشريتها وأساس خلقتها، فإذا هي مملؤة بكل هوى وشهوة مشوبة بكل العيوب وكل عثرة، مائلة إلى كل بلاء وآفة أمَّارة بكل خطأ وزلة مركبة بكل فساد وفتنة مربوطة بكل كسل وفترة، ثم إنه يرى نفسه عند عبادة الله عز وجل كسلانة[1] وفي حالة الكسل والفترة كأنها ميتة جيفة لا تتحرك، ويراها عند الحرص في الدنيا كأنها وعاء لا يملأ، ويراها عند الحسد كأنها نار تلتهب، ويراها عند الطمع كأنها خنزير تحرق الأرض عند جوعها، ويراها عند الفخر والعلو كأنها تدعي الربوبية، ومع هذا يرى أن الشيطان قد صار واحداً منها مع كيده وإضعاف مكره وكثرة حيله بهلاكها. فعند ذلك يعتصم بالله تعالى ويستعين به على مقتها ومخالفتها، ولم يشتغل بهواها ومرادها ولم يلتفت إليها حرمة لإجلال ربه، ويقول لها: يا مأوى كل شر ومعدن كل بلاء، إن الذي لابد منه هو الله عز وجل، وهو الواحد القهار قادر على أن يغنيني عنك.

فلما جاوز العبد هذه العقبة وقطع عن قلبه حبال التعاليق وصفا سره، من غبار التخاليط، فصار مجردا للقصد إليه، وتخلص من هذه العقبة واستقام له إمارة التقوى بعون الله وتأييده، فعند ذلك استقبلته عقبة الجنة[2] بكل ما فيها من الثواب والعقاب وطلب العوَض من الله تعالى على وفاء صدق العبودية التي هي أصعب وأعظمها بلية وأدقها آفةً وأعظمها صعوبة لأهل القرب والمحبة بالنسبة إلى غيرها بألف ألف مرة، وقالت له: أين تذهب يا ولي الله، أنا دار الخلود والمقام، ومحل التحية والسلام، أنا دار النعمة والجود، ومعدن الغبطة والسرور، أنا دار الجلال والجمال، والنزهة والكمال، أنا دار الأنبياء والأصفياء ومعدن الأتقياء والأولياء، أنا أجر العاملين، وجزاء الصابرين وثواب المطيعين، أبد الآبدين، أنا خلقت لك وزينت لأجلك، ليس لك دار غيري ولا منزل سواي ولا مأوى دوني، فلابد لك مني.

فإذا نظر العبد إلى أولها وأوسطها وآخرها، فإذا أولها لم تكن شيئا فصارت مكونة بتكوين الله تعالى، وإذا نظر إلى أوسطها كأنها لم تزل لله تعالى ليس لغير الله

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب كسلى.

(٢) يتضح تأثر الجنيد في هذه العبارة بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس أن النبي ﷺ قال: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

تعالى فيها شيء، انظر إلى آدم لما عصى الله تعالى تبرأت منه الجنة بكل ما فيها، فلم يصحبه بعد ذلك من الجنة إلا ورقة، وتبرأت منه بما فيها وأذاقته الهوان والمذلة، وأما آخرها فشغل شاغل يشتغل بها العباد عن سيدهم ومعبودهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] ومع ذلك فإن العبد لا يصل إليها إلا بعد مدة طويلة، وإن لم يخلف الموت والقبر والقيامة، لا يصل إليها، وإنه يصل إلى الله تعالى في كل نَفَس بل في كل طرفة عين، بل أقل من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، فعند ذلك يعتصم بالله تعالى، ويستعين به على قطع علائق ما دونه، ولم يشتغل بها، ولم يلتفت إليها، إجلالاً لحرمة ربه، ويقول لها: يا محل الأنبياء ومعدن الأولياء إن الذي لابد منه هو الله عز وجل، وهو قادر على أن يغنيني عنك لأن الحاصل من الدارين هو الله عز وجل.

فلما جاوز العبد هذه العقبة وقطع من قلبه حبال كل علاقة به، وصفا سره من غاير التخاليط، وصار قلبه منفردا للواحد الفرد، واستراح من تعب هذه العقبات، واستقامت له إمارة التجريد والتفريد[1]، فحينئذ يواصل محبوبه، ويتولاه من هو لا يرى خيرا إلا منه، ونعْمَ من مولى ومعين جلّ وعز، فحينئذ استقبلته عقبة العطايا والكرامات والمواهبَ والمقامات، وهي لا تحصى عددا، فهذا أوان غض بصره عنها، وأن لا يلتفت لها ولا إلى شيء منها حرمة لإجلال ربه، ثم يبسط له ما يبسط من المحن والبلايا، نوع بعد نوع، وغير ذلك مما لا يصفه واصف غيره، ففي كل ذلك يقول: يا حبيبي وقرة عيني ويا غاية أملي، أتوسل بك عليك أن لا تصرفني

---

(١) ... في معنى التجريد: أن يتجرد بظاهره عن الأعراض، وباطنه عن الأعواض، وهو ألا يأخذ من عرض شيئاً، ولا يطلب على ما ترك منها عوضاً من عاجل ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا ...ره، ولا لسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها، والأحوال التي ينازلها، بمعنى ...كون إليها والاعتناق لها. والتفريد أن ينفرد عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، ويتوحد في الأفعال، وهو أن تكون أفعاله لله وحده، فلا يكون فيها رؤية نفس، ولا مراعاة خلق، ولا مطالعة عوض، ويتفرد في الأ...ل عن الأحوال، فلا يرى لنفسه حالا، بل يغيب برؤية محولها عنها، وينفرد عن الأشكال، فلا يأنس ... يستوحش منها. انظر: التعرف لمذاهب أهل التصوف للكلاباذي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص: ١٣٣، وانظر أيضا: اللمع لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ص: ٤٢٥، د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة المختار، ص: ٨١.

عنك ولا تكلني إلى سواك ، فلما علم الله منه صدق القصد إليه وانقطاعه بالكلية ، وصار فردا لفرد طالبا مواصلته قاصدا قربه أوصله إليه وقرَّبه منه أقرب من الروح إلى الجسد ، ثم بقى معه إلى الأبد ، وتولاه الملك العزيز الذي جلت صفاته وتقدست أسماؤه ، وصار لسان حاله ينشد ويقول (شعر) :

طرقي يا نفس كي أقصد فردا صمدا
وذريني لست أبغي غير ربي أحدا
فهو حسبي وأنيسي فاجعليه عضدا
للخطايا غافر من نحاه سعدا
ابك إن لم تجد من دونه ملتحدا
ومن تولى عنه يسلكه عذابا صعدا[1]

(١) يلاحظ في شعره تأثره بالآيات القرآنية .

الباب الثاني

في ترك الوقوف مع المنازل والمقامات عند القصد إليه

قال إمام الشريعة وشيخ الطريقة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه ونفعنا به: "اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد لا يزال من الله تعالى والله منه ما لم يمل إلى غيره، ولا يقف إلى شيء من دونه، ولا يلتفت منه إلى شيء سواه، بل هو الكافي، فمن اكتفى به كفاه ومن مال قلبه إلى غيره سقط من عينه، وصار - والعياذ بالله - مبعدا مطرودا محجوبا عنه، وأن الله تعالى إذا أراد أن يختار عبدا من عبيده وأن يصطفيه لنفسه من بينهم ويخصه به قرّبه منه، وجعله من أهله فلا يدعه يميل إلى غيره أو يقف مع شيء من المنازل والمقامات، ومن وقف مع شيء بقي معه، بل يجعله فردا في القصد إليه رباني الهمة روحاني السر، ليس له قصد إلا الله فكلما قصده بصدق الإرادة مع هيجان نار الاشتياق، وعلم الله من قلبه صدق الإرادة أجلسه على مركب الإنابة إليه، ثم يريه بكمال لطفه ويتحفه بلطائف بره وإحسانه وجميل فضله وامتنانه، فعند ذلك يبصر العبد طول غفلته وتقصيره بحقوقه وكثرة إعراضه عنه، فصار من شدة حيائه متحيرا مدهوشا مرتحلا بالكلية عن جميع البطالات والغوايات إلى الله تعالى، وصارت النفس مقهورة تحت رؤية اطلاعه عليه فعند ذلك يقوم هذا العبد بقدمي الحياء والخشية على بساط التوبة.

فإذا استحكم له مقام التوبة وكاد قلبه أن يقف عليه إلى الموت واكتفى بها وسكن إليها ورضي من الله تعالى بها أتى إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى: عبدي مالك تقف عني اكتفيت بدوني وملت إلى غيري وأنا محل آمال كل مؤمل، إني أنا الذي تبت عليك حتى تبت وأنبت، عبدي إليَّ إليَّ، فعند ذلك تهيج من سره نار الاشتياق إلى قربه، ويطير سره بأجنحة الهمة نحو ندائه على صدق الإرادة قاصدا إليه، فلما علم الله من قلبه صدق الإرادة أجلسه على مركب العبادة، ثم يريه جميل عطائه وجزيل كراماته لأهل خدمته وبسط له ميدان طاعته، لوفاء صدق عبوديته، فعند ذلك يبصر العبد عيوب نفسه، وكثرة آفاتها

حتى يتقيها ويخالفها، وينزلها منزلة الذل والهوان، فعند ذلك يصير حرا من عبوديتها، واستراح من أنواع شغلها، وصحت له العبودية لمولاه تبارك وتعالى، وصارت النفس منقادة تحت أثقال العبودية ويقوم هذا العبد على قدمي الفقر والفاقة على بساط العبادة، فعند استحكامه مقام العبادة يكاد قلبه أن يقف عليها إلى الموت، ويكتفي بها ويسكن إليها ويرضى من الله تعالى بهذا القدر، فيأتي من الله تعالى النداء إلى السر، فيقول: عبدي أوقفت واكتفيت بدوني، وملت إلى غيري، وأنا محل آمال كل مؤمل، إليَّ إليَّ، عبدي لولا توفيقي لما أطعتني، لا تنظر إلى طاعتك، أنا المقصود والمطلوب، فحينئذ تهيج من سره نار الاشتياق إلى القرب من المولى الخلاق، فيطير بأجنحة الهمة نحو ندائه قاصدا لمواصلته بصدق الإرادة، فلما علم الله من سره صدق الإرادة أجلسهٌ على مركب الخوف والخشية، ثم يريه خفيات مكره تحت جميل ستره، ودقائق استدراجه في جزيل نعمه، وإظهار فضله لأهل عدله وإظهار عدله لأهل فضله، فعند ذلك يبصر هذا العبد آفات رؤية الأعمال والاغترار برؤية صفاء الأوقات، فحينئذ يفزع من مكره ويخاف حقائق معلومة في سابق علمه، ويطير فؤاده ويشتد كمده وحزنه حتى كأنه قامت قيامته وضاقت سبله ودام تحيره وكَلّ لسانه ودهش عقله، وصار من جميع الراحات بعيدا وعن جميع الخلائق فريدا.

فإذا استحكم له مقام الخوف، يكاد قلبه أن يقف عليه إلى الموت واكتفى به وسكن إليه ورضي من الله تعالى بهذا القدر أتى إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى، ويقول عبدي مالك تقف وتكتفي بدوني، وتميل إلى غيري، وأنا محل آمال كل مؤمل، إليَّ إليَّ، عبدي لا تنازعني في مثل ذلك، فحينئذ يهيج من سره نار الاشتياق إلى قربه، ويطير السر بأجنحة الهمة نحو ندائه، قاصدا إلى مواصلته على صدق الإرادة، فلما علم الله من سره صدق الإرادة أجلسه على مركب المحبة والشوق إليه، ثم يريه ما تقرٌ به عينه، ويرشده إلى ما يطيب به قلبه، ثم أقعده على موائد أنسه، وسقاه بكأس مودته شربة بعد شربة حتى يسكن به عن غيره، ثم يمحي عن قلبه كل تمن لدونه، ويقطع عن قلبه كل شيء يشغله عن مقصوده ومحبوبه، حتى لا يجد ألم البلايا من حلاوة قربه، ولا يؤثر عليه شيء في

الدارين، ولا ينصرف عنه بالكونين ولا يلتفت منه إلى الثقلين إجلالا لحرمته.

فإذا أقام هذا العبد بقدمي الاعتراف على بساط الوداد واستحكم له مقام المحبة، وكاد قلبه أن يقف عليها إلى الموت واكتفى بها وسكن إليها أتى إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى يقول: عبدي مالك تقف وتكتفي بدوني، وتميل إلى غيري وأنا محل آمالك وكل مؤمل، عبدي هلم إلى لا تنازعني في مثل ذلك، فعند ذلك يهيج من سره نار الاشتياق إلى قربه، ويطير بأجنحة الهمة نحو ندائه قاصدا إلى مواصلته على صدق الإرادة، فلما . . .[1] أجلسه على مركب القرب من الله عز وجل والأنس به، ثم كشف عن سره الحجب والأستار، حتى ينظر إليه بلا كيف بعيني الفؤاد، ويسمع لذائذ كلامه بالتحية والسلام، ثم يصفي كليته من غبار البشرية، ويطرقه إلى مهيمنة الصديقين، ويجعله من العدد المجردين عن عبودية من سواه، ويشاهد من لطائف قدره القدير، فعند ذلك يدور قلبه حول منتهى عزه ويرتع في روضات قدسه، ويطير بجناح الاشتياق في سرادقات غيبه، ثم يدخله الله تعالى في دار وصلته، ويغشيه بنور افتخاره ويطلعه على أسرار مكنونه ويرشده إلى نفسه، ويشرفه على كمال لطفه، حتى تصير همته علوية وأحواله قدسية، وإرادته ربانية، وحركاته فردانية وأنفاسه نورانية وصفاته ديمومية، وأحواله غير موصوفة، وخصاله غير مدركة، لأنها ودايع سره الذي منه بدا وإليه يعود.

فإذا قام هذا العبد على قدمي الصدق والوفاء والصفاء على بساط الصدق والقرب والنجوى، وكاد أن يقف ويستند على ما ذكرنا من الوقوف في المنازل والمقامات عن القصد إليه واكتفى بها قلبه وسكن إليها ورضي بالوقوف عليها إلى الموت، ورضي من الله تعالى بهذا القدر أتى إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى: عبدي ما لك تقف وتكتفي بدوني، تميل إلى غيري وأنا محل آمال كل مؤمل، عبدي هلم إلى لا تنازعني في مثل ذلك، فحينئذ يهيج من سره نار الاشتياق إلى قربه، ويطير السر بأجنحة الهمة نحو ندائه، فلما علم الله تعالى من سره صدق الإرادة وأجلسه بقربه منه أقرب من الروح إلى الجسد، وهي حالة التجلي والمشاهدة، وهي التي تفنى الكلية في جنبها، ويبقى الحق كما كان هو في الأزل قبل

---

(١) كلام مكتوب بالحبر الأحمر غير واضح في الميكروفيلم.

أن يكون التكوين والمكونات، ثم بعد ذلك تأتيه أحوال وأوقات، تكل الألسن عن نعتها وصفتها سبحانه من منعم متفضل.

قال الشيخ ﷺ: قد تركت الإشارة إلى تلك الأحوال غيرة أن أضعها في كتابي، فإن أهلها قليل، وكل من عرف إشاراتنا، ووقف على ما ذكرنا من ترك الوقوف في المنازل والمقامات عند القصد إليه فَبَخ بخ، وإلا سأذكر لك نداء الحق سبحانه وتعالى واستماع العبد له، فإن نظرت فيه ووقفت عليها، قال شاعرهم رضى الله عنهم: (شعر)

قلوب القاصدين نحو الحق طائرة

مرت كراديسهم والناس نُوام

في بيان نداء الحق سبحانه وتعالى إلى القاصدين إليه واستماعهم له

قال إمام الشريعة وشيخ الطريقة : اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن لله تعالى عبادا اصطفاهم وأصفاهم لنفسه ، اختصهم لصحبته ، واختارهم لأنسه ، وأكرمهم بقربه ، وطيبهم لذكره ومناجاته ، وأعطاهم قلوبا كشف عنها حجب الأغيار ، وأطلعها على أبحر الأنوار ، وأشرفها على خزائن الأسرار ، وطرق لها سبل سنن الأبرار ، وأجلسها على سرر الأحرار وغشيها بنور الافتخار ، ولهذه القلوب ساكنة غامضة غاب عنها كل تمن بل لا يخطر الوهم بدونه وصارت بالكلية مطمئنة إليه ، مستأنسة به مستقيمة معه لا تلتفت منه إلى الدارين ولا تنصرف عنه بالكونين هيبة لإجلاله وتعظيما لحرمته ، لهذه القلوب والأسرار التي ذكرناها أبصار ينظرون بها إلى جلال الله وعظمته وكمال ربوبيته ولطائف صنعه ، ولها أسماع يستمعون بها نداء الحق سبحانه وتعالى ، وحسن مخاطبته ، ولطائف معاتبته ، وصنوف دعوته إلى نفسه ، ولها ألسن يجيبون بها بصدق التلبية وحسن التناجي مع غاية الاحتراف إليه ، فلا الله سبحانه وتعالى يسكن ساعة من ندائه وحسن مخاطبته فيما يدعو أحبائه إلى نفسه ، ولا هم يملون من الإجابة عندما يناجونه بالتلبية - سبحانه وتعالى - ، ولهم ما يشتهون ، فلو أن عبدا من هؤلاء العباد الذين ذكرنا نعتهم ووصفهم التفت إلى شيء من المنازل والمقامات ، أو مال إلى شيء من المواهب والكرامات أتى إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى : عبدي مالك تقف مني وتميل إلى غيري ، وأنا محل آمال كل مؤمل ، وأنا الذي جعلت آمال أحبائي متصلة بي ، عبدي هلم إلى لا تنازعني ، عبدي ها أنا لك بالكلية سيدا وافيا وفردا وحيدا من الشركاء أبد الآبدين ، فكن أنت لي بالكلية عبداً مطيعًا وفرداً وحيداً من الأغيار أبد الآبدين ، عبدي أما تذكر كمال توددي بك في كل حال وحسن عنايتي معك في قديم الأزل وذكري لك في الأزل ، عبدي ألم أكرمك بمعرفتي وربيتك بمحبتي وأرشدتك إلى نفسي وطيبتك بذكري حتى صرت لي بالكلية عبدا ، كما كنت أنا في الأزل بالكلية لك ربا ، عبدي ادن مني وأسكن معي ولا تبعد عنى ، ولا تلتف منى إلى

غيري ، فتسقط من عيني ، عبدي من أوصلك إلى غيري ، أليس أنا الذي تلطفت بك حتى وقعت الوصلة بيني وبينك؟ ، حتى صرت من أهل ولايتي لولا أني أردتك وشئت ذلك ، من غيري يقدر إن لم أردك لي يجعلك من أهل قربى ، أحببتك فحببتني ، وذكرتك فذكرتني ، أعليت همتك حتى تمنيت علي فأجبت دعوتك ، وربيتك حتى صرت من أهل مخاطبتي ، عبدي أنا خلقتك ورزقتك ، وأردتك بي ، وقبل ذلك جعلت لك إرادة ، ليس لك حيلة إلا بي ، وقلبك بيدي ، وكليتك لي ، فإن سلمت كليتك لي واكتفيت بي عما لي ، كنت لك بكل ما لي أبد الآبدين ، وإن لم تكتف بي عما لي ، بقيت منقطعا عني وعن كل ما لي فلم يزل المولى جلا وعلا بمثل ذلك يدعوه إلى نفسه حتى صيَّره بالكلية له مجردا أو قرَّبه منه أقرب من الروح إلى الجسد ، فهذا بيان ما ذكرناه من نداء الحق سبحانه وتعالى إلى سر أحبابه وأصفيائه وأهل قربه تعالى .

قال المؤلف ﷺ : فمن علم هذه العبارات وأدرك هذه الإشارات وعرف معاني هذه الكلمات فبخ بخ ، وإلا سأذكر لكم ما قال الله سبحانه وتعالى في الكتب المنزلة على أنبيائه في نعت الأصفياء وندائه لهم ، فيما يدعوهم إلى وصله وقربه ، وفيما يخاطبهم ويعاتبهم حين مالت قلوبهم إلى غيره ، فهذا ما روي في الأخبار أن الله سبحانه وتعالى يقول في بعض الكتب المنزلة : وعزتي وجلالي وكبريائي ، وارتفاعي في علاي أني لا أقطع أمل كل مؤمل لغيري بالإياس منه ، يؤمل عبدي غيري والخير كله بيدي ، إني جعلت آمال خلقي متصلة بي فما لعبدي معرضاً عني ، عبدي تنعم بي وتستأنس بي فإني لك خير من كل ما سواي في الدنيا والآخرة ، عبدي ألم أذكرك قبل أن تذكرني ، وأحبك قبل أن تحبني وأردتك قبل أن تريدني ، عبدي أما تستحي مني إذ أعرضت بوجهك عنى ، أيليق بك أن تلتفت مني إلى غيرى ، أين تذهب وطريق الخير والفلاح والنجاح والوصلة إليَّ ، عبدي أين من أتاني فلم أقبله ، وأين من دعاني فلم أجبه ، وأين من أمَّلني فقطعت أمله مني ، عبدي بابي لك مفتوح ، وعطائي لك مبذول ، وأنا أرحم الراحمين .

وروى أيضًا أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا ، عليهما السلام : يا يحيى إني قضيت على نفسي أن لا يحبني عبد من عبادي ، أعلم ذلك من قلبه إلا كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره ولسانه ، وأبغض إليه كل شيء دوني وأمنع عنه

شهوات الدنيا ولذاتها ، وأطلع عليه في كل يوم سبعين ألف مرة ، وأزيد له في كل ساعة من لذائذ حبي وحلاوة أنسي وأشدد شوقه لي وأملأ قلبه نورا من نوري حتى إنه في كل ساعة ينظر إلى لطائف صنعي وكمال توددي ، وأمسح برأسه وأضع يدي على ألمه حتى لا يشكو مني إلى غيري ، وكلما أسمع خفقان قلبه من الشوق إلى لقائي ازددت شوقا إلى لقائه ، لولاي لم يشتاقني ، فقال يحيى : حقيق علي أن لا يسكن قلبي حتى أصل إليك. فقال له الرب جل وجلاله : يا يحيى وكيف يسكن قلب المريد المشتاق ، وأنا غاية منيته ، ومنتهى أمله ، وأنا في كل ساعة أتقرب منه حين يتقرب مني ، وأسمع كلامه وأعلم أسفه وأحب صوته ، يا يحيى : فبعزتي وجلالي لأبعثنه يوم القيامة مبعثا يغبطه به الأولون والآخرون ، ثم آمر مناديا ينادي تحت عرشي هذا فلان بن فلان ، هذا وليي وصفيي ، أنا الله لا إله غيري ، دعوته لتقر عينه بالنظر إلى وجهي ، يا ملائكتي ارفعوا الحجاب فيما بيني وبين حبيبي ، حتى ينظر إلى وجهي ، كيف يشاء ، وأنا الذي ابتدئه بالسلام أقول له السلام عليك يا عبدي أبشر فوعزتي وجلالي لأتخذك لنفسي ، فقال يحيى عليه السلام سبحانك يا رب ثم صعق صعقة عظيمة لم يفق إلا بعد ثلاثة أيام فلما آفاق قال سبحانك يا رب عجبا لمن عرفك كيف يشتغل بغيرك ، سبحانك ما أكثر توددك إلى أولياؤك و أصفيائك يا خير مأمول وخير مقصود أنت أنسي ما بقيت ، وصاحبي ما حييت ، وجليسي بك اكتفيت ، وفي بعض الكتب المنزلة أن الله سبحانه وتعالى يقول وإذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي عن غيري ، جعلت لذته في ذكري ، وهمته في محبتي ، والأنس بي ، ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وكنت له سمعا وبصرا ، وكنت ممثلا بين عينيه حتى كأنه ينظر إلي لا يسهو إذا سهى الناس ، ولا يغفل إذا غفلوا أولئك كلامهم كلام الأنبياء بهم ، أصرف الزلازل والعذاب عن أهل الأرض ، أولئك أوليائي حقا ، حقا لهم عندي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وإني أسمع أنينهم وأرى بكاءهم من شوقي ، وأعلم خفقان قلوبهم من أجلي وكل ساعة أنظر إليهم فأني حلفت لأرفعن الحزن من قلوبهم حتى يستريحوا بي ويعلموا أني لهم نعم المولى في الدنيا والآخرة.

وروي في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود النبي ﷺ أن : يا داود أخبر أهل الأرض وأعلمهم أني ذاكر من ذكرني ، وحبيب من أحبني ،

وأنيس من أنس بي ، وموجود لمن طلبني ، هلموا إلى مصاحبتي ، وتسارعوا إلى قربي ، وتهيئوا إلى زيارتي ، يا داود إني جعلت طيران قلوب المشتاقين نحوي ، وجعلتها في الأرض موضع نظري ، وأطلعتها بي (أي جعلتها ناظرة إليَّ) حتى ازداد لها شوقا بي إلى لقائي ، وأريهم في كل ساعة جزيل كرامتي ولطائف صنعي ، وحسن امتناني ، حتى لا يأنسوا ولا يميلوا إلى غيري ، ولا يصبرون عني ساعة شوقا إلى لقائي ، وجعلت آمالهم متصلة بي ، وفتحت لهم أبواب أنسي ومناجاتي ، يا داود ما لعبدي والإعراض عني ، وأنا أقول إليَّ إليَّ ، يا داود وأنا محل الآمال ، فما لعبدي أن يقطع الآمال مني ، يا داود إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي عن غيري ، جعلت راحته ولذته في ذكري ، وكنت أنا مثالا بين عينيه حتى لا ينساني ، يا داود ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي ، وإني إليهم لأشد شوقا ، ألا من طلبني وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، بل ولم يجد غيري ، يا داود حبيب يحب خلوة حبيبه ، يتلذذ بأنسه ، وأنا مطلع على قلوب أحبائي ، أرى تلذذهم بأنسي ، وانفرادهم بي عن غيري ، يا داود قل للمتلذذين بأنسي هل وجدتم طبيبا أكبر مني ، يا داود أنا خبير بأحبابي ، وأنا مطلع على خفقان قلوبهم ، فإذا جنهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم ، وقلوبهم عندي ، ومثلت نفسي بين أعينهم ، فلولا أني قد ربطت أرواح أحبائي في أبدانهم لطارت شوقا إلي وسرورا بي ، يا داود احذر أن تجعل بيني وبينك عالما سكران يصدك عن ذكري ، ويدعوك مني إلى غيري ، ويقطع عليك طرق الوصلة والقرب مني وأنت لا تشعر . يا داود أكثر الخلق قطاع طريق القلوب عن طريق الأبرار ، يا داود إن أقل ما أنا صانع بالقلب المحب للشهوات أن أسلبه حلاوة ذكري ، ولذائذ مناجاتي ، لأنه محجوب عني ، يا داود أنا حبيب القلوب ، وأنا علام الغيوب وأنا نعم المولى ونعم النصير .

قال إمام الطريقتين وشيخ الفريقين أبو القاسم الجنيد ﷺ : لو ذكرنا في كتابنا هذا من نعت الأولياء الذين ذكرهم الله تعالى للأنبياء والرسل لطال الباب وأمتد الخطاب ، ولكن العاقل يكتفي بدون ما بينت ، فاقتصرت على هذا المقدار واكتفيت ، وبالله التوفيق على إجابة ندائه لنا بصدق الإرادة في القصد إليه ، وعلى ما يحب ويرضى ، فإنه ذو الفضل والمن العظيم .

الباب الرابع

في إجابة القاصدين نداء الحق بعد استماعهم له

قال شيخ الشيوخ شرف الدين أبو القاسم الجنيد ﷺ: اعلموا معاشر القاصدين إليه أن لله تعالى في كل ساعة نظرة إلى قلوب الأصفياء وأهل الوداد، ولهم في كل ساعة نظرة إلى الله تعالى بعين الفؤاد، ولا يزال المولى يدعو أحباءه إلى نفسه، ويقول: أصفيائي وأحبائي إني أنا الله لا إله إلا أنا، هلموا إلى مصاحبتي، وتهيئوا إلى مؤانستي، وبادروا إلى قربي وصلتي، فإني لكم حبيب في الدارين جليسا وأنيسا وهم يجيبونه بلسان الافتقار، ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك يا منان القلوب، لبيك لبيك لبيك يا سرور القلوب، لبيك لبيك من الدارين لبيك، لبيك بدعوتك إليك من كل ما سواك لبيك، وإليك بل منك إليك لبيك، لبيك بمصاحبتك والقرب منك لبيك، لبيك يا دليل القاصدين إليك لبيك، لبيك لبيك لبيك، يا مراد المريدين وأنيس المستأنسين إليك لبيك، لبيك لبيك يا قرة عين العارفين، وثمرة فؤاد المحبين لبيك، لبيك يا سيد السادات، ومولاي ومنتهى رغبتي، وغاية أملي لبيك، لبيك، أبد الآبدين لبيك، لبيك كما أنت أهله لبيك، لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك إلا إليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي ثناء عليك، اللهم أنت شفيعي منك، وأنت دليلي منك إليك، وأنت معيني فيك لديك، يا حبيب القلوب والأنيس الأكبر بك عليك أن لا تحجبني بك عنك، يا أقرب من كل قريب، وبك عليك أن لا تبعدني منك، يا غاية أملي سلام على الدارين بما فيها لدعوتك، سبحانك سبحانك سبحانك عجبا مني ومنك ما أشد تواددك لي منك، وما أكثر الدلال مني إليك، سبحانك سبحانك عجبا للخليقة كيف أرادوا بك بديلا؟ أم كيف اختاروا عليك كفيلا؟ أم كيف أثروا سواك دليلا؟ سبحانك سبحانك ما أطيب وما ألذ اتفاق الإلهام منك على خطرات القلوب، وما أحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب سبحانك، سبحانك ما أدق ما لا يمكن للخلق وصفه، وما أخفى ما لا يمكن عن الخلق كشفه، وما أظهر ما لا

يمكن عن الحق كتمه ، سبحانك سبحانك ما أطول غم ما لم يكن للوصال أهلا وما أقل سرور ما لم يكن له من محبتك نصيبا ، إلهي بك أقسمت عليك أن لا تبتليني بغم الإبعاد منك بعدما زينتني بسرور القرب منك ، ولا تضربني بسيف الهجران بعدما أحييتني بروح الوصال إليك ، إلهي طوبى لعبد قام بين يديك ، وانقطع قلبه إليك ، واكتفي بك منك لديك ، طوبى لبدن انتصب لك لديك ، وقصد بك إليك ، واعتمد بك عليك ، طوبى لعين نظرت منك إليك ، وبكت فيك إليك ، وقفلت عن كل ما سواك إليك ، إلهي كيف تبكي عين ضحكت منك إليك ، أم كيف لا تبكي خشية أن تكون يوما حسرة عليك ، إلهي ضحكي من حيث بكائي ، وبكائي من حيث ضحكي ، وسروري من حيث غمومي ، وغمومي من حيث سروري ، إلهي دائي من حيث دوائي ، ودوائي من حيث دائي ، إلهي كيف أبكي وقد عرفتك؟ أم كيف أضحك وقد جفوتك؟ إلهي كيف أحزن وأنت كما أنت الحبيب المحبوب؟ أم كيف أفرح وأنا كما أنا الخسيس المعيوب؟ إلهي كيف يفتقر من أنت من الدارين حظه؟ أم كيف يفتقر من أنت غاية أمله؟ إلهي كيف يكون غريبا من أنت غاية أمله ، ومن الدارين نصيبه؟ إلهي منك ضحكي ومنك أيضا بكائي ، أنت دائي وأنت أيضا دوائي ، إلهي فيك عزى وفيك أيضا هواني ، حسبي من سؤالي علمك بحالي ، حسبي من دوائي علمك بدائي ، حسبي من حياتي علمك بجفائي ، حسبي منك ودا أني لم أجد منك بدا ، حسبي منك حسرة إن بقيت منك منفردا مبعدا مطرودا فردا ، إلهي بك أنت افتخاري ، إذا نظرت منك إليك وأنت أنيسي ، إذا نزلت منك عليك وأنت سروري ، إذا أتيت منك لديك ، إلهي لسانك تمام ما أغنيت وتحقيق ما أرعيت وتدويم ما أعطيت وأعوذ بك منك .

إلهي ارحم انقطاعي إليك ، وانفرادي بك ، وغربتي في بلادك ، ووحشتي بين عبادك ، إلهي لا لي منك ولا لي فيك حيلة ، ولا لي من صبر ، ولا لي مع سواك أنس فالمستعان منك إليك ، إلهي كيف ينساك من لا يغيب عنك؟ أم كيف يغيب عنك من لا يصبر ساعة منك؟ أم كيف يصبر عنك من قد صار محترقاً بنار حبك؟ أم كيف يقوى على هجرك من تيمه حبك؟ إلهي أنت حسبي من الدارين ، ومن جميع الخلائق حبيبا وأنيسا ، يا مؤنسي وأنيسي ، يا صاحبي وجليسي ، إلهي ما

أعظمك وأجلك، إلهي ما ألذ ذكرك والأنس بك، وما أحلى خدمتك والشغل فيك، إلهي ما أوحش قلب ليس فيه أنسك، وما أخرب قلب ليس فيه ذكرك. وما أقل سرور قلب ليس فيه حبك، إلهي هذا سروري بك في حال المناجاة، فكيف سروري بك في حال الملاقاة، إلهي بسروري بك بطل عني الغموم، وبشغلي فيك أزال عني الهموم، أسألك سؤال من لا يعرف بالربوبية غيرك أن تعتقني من عبودية ما سواك حتى أكون أسير مننك ورهين كرمك وغريق إنعامك، إلهي خلقتني فأحسنت خلقي، وربيتني فأحسنت تربيتي، ودعوتني إلى نفسك باللطف دعوة، فوفقني لما تحب وترضى يا أرحم الراحمين، إلهي لك الحمد كما أنت أهله وكما ينبغي لكرم وجهك، وعز جلالك وعظيم ربوبيتك يا أكرم الأكرمين.

فهذا بيان ما ذكرنا من إجابة القاصدين نداء الحق سبحانه وتعالى، فإن أدركتم هذه العبارات، ووقفتم على هذه الإشارات فبخ بخ، وإلا فسأذكر لكم بعون الله تعالى مناجاة المحبين مما حكي عن أجلة أهل المعرفة، فأول ما نبتدئ به ما روى عن زين القيمة محمد ﷺ أنه قال في مناجاته، إلهي إذا قرت أهل الدنيا بدنياهم، فأقر عيني بك، وأقطع عني لذائذ الدنيا بأنسك والشوق إلى لقائك.

وكان منصور بن عمار يقول في بعض مناجاته: إلهي إن قربتني فمن الذي يبعدني، وإن عززتني فمن الذي يذلني، إلهي كيف يذل من مالكه عزيز؟ أم كيف يفتقر من مالكه غني سيد السادات؟ إلهي إلى من أذهب وأنت مولاي، ولمن أرجو وأنت مناي، وبمن أستأنس وأنت حبيبي وغاية أملي، وأسألك إتمام ذلك عليّ. يا نعم المولى ويا نعم النصير.

وقال يحيى بن معاذ الرازي ﷺ في بعض مناجاته: إلهي سري مكشوف وأنا إليك ملهوف، وأنت لم تزل بالجود موصوف، إلهي أنت أنيس المستأنسين من أحبابك، وجليس الملهوفين من أوليائك وسرور العارفين من أصفيائك، إلهي أنت الذي لا يخفى عليك أحوال المريدين ولا يبطل عندك أمل الآملين ولا يخيب لديك رجاء المنيبين سبحانك سبحانك.

وكذلك كانت رابعة العدوية البصرية تقول في بعض مناجاتها: إلهي أجل العطايا

في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني كلامك وثناؤك، وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاؤك، إلهي لا صبر لي في الدنيا عن ذكرك فكيف أصبر في الآخرة عن رؤيتك، إلهي أشكو إليك غربتي في بلادك، ووحشتي بين عبادك.

وكذلك كان منصور بن عمار يقول في بعض مناجاته: إلهي أنسي بك ووحشتي من خلقك ومعرفتي بك تمنعني من مناجاة غيرك، إلهي حبك عطش كبدي وأوحشني من ولدي وأضاق علي بلدي، سبحانك سبحانك، عجبت لمن يعرفك كيف لا يستغني عن غيرك بك أم كيف هو يريد سواك، إلهي من لم يكن مسرورا بك فمن أين له السرور، إلهي لا تجعلني ممن قد صرفت عنه وجهك، وحجبت عنه عفوك، وغلقت عنه بابك، وقطعتك عنه عظمتك، ووكلته إلى غيرك طرفة عين ولا أقل من ذلك يا أرحم الراحمين.

وحكى أن محمد بن كعب القرظي قال: كنت في مسجد الكوفة في ليلة من الليالي فبينما أنا في نصف الليل فإذا أنا بعلي بن الحسين زين العابدين ﷺ قد جاء ووقف بباب المسجد وهو يقول في بعض مناجاته: يا حبيبي وقرة عيني غلقت الملوك أبوابها وطافت عليها حراسها وبابك مفتوح، ثم دخل المسجد وصلى ركعتين، ثم أنشد يقول:

لبيك يا من أنت مولاه　　فارحم عبيدا إليك ملجاه

عليك يا ذا الجلال معتمدي　　طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خائفا وجلا　　يشكو إلى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم　　أكثر من حبه لمولاه

إذا خلا في الظلام مبتهلا　　أكرمه الله ثم لباه

قال محمد بن كعب: فسمعت هاتفا من السماء يقول:

لبيك عبدي فأنت في كنفي　　وكل ما قلت قد سمعناه

دعاك عبدي يجول في حجبي　　فذنبك اليوم قد غفرناه

صوتــــك تشتاقــــه ملائكتــــي فحسبك الصــوت قــد ســمعناه

سلنــي بــلا حشــمة ولا رهــب ولا تخــف إننــي أنــا الله

هــذا يــرى ربــه و يأنســه سبحــان مــن بالســلام حيــاه

لــو هبــت الريــح مــن جوانبهــا خــر صريعــا لمــا تغشــاه [1]

(١) هذه الأبيات الشعرية، وإن كانت تعبر عن مواجيد وأشواق روحية عالية إلا أنها تحتاج إلى توقف، خاصة إذا وضعناها على ميزان الشرع، سيما آن القرآن الكريم يؤكد أن الخطاب من الله إلى أنبيائه ورسله عن طريق الوحي، وليس بالطريق المباشر دون واسطة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

الباب الخامس

فيما ينبغي للقاصدين من التهيُّؤ حتى يكونوا للمقصود أهلا

قال الشيخ الأجل العارف بالله تعالى شيخ الطريقة والحقيقة أبو القاسم الجنيد ﷺ: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد إذا قصد الله تعالى ومواصلته وقربه منه فينبغي له أولاً أن يتطهر، فيطهر أولاً نفسه من نجاسة الشهوات وجوارحه من أدناس الزلات وقلبه من رين الغفلات وسره من كدورات الالتفات عن مولاه إلى المكونات، حتى تصير كليته طاهرة من جميع العيوب والآفات حتى أن جميع ظواهره لو وضعت في طبق، وطافوا بها بين أهل الأرض لم يجدوا فيها عيبا، وحتى أن جميع بواطنه لو وضعت في طبق وطافوا بها بين أهل السماء لم يجدوا فيها عيبا، وحتى أن طيران جميع سره لو وضع على طبق وقدَّموه بين يدي الملك الجليل لم يستحي منه لعيب فيها، واعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى ومواصلته أن مثل من قصد أن يتصل إلى ملك الملوك رب الأرباب مع جميع العيوب كمثل رجل وقع في كنيف وصار من رأسه إلى قدمه قذرا فأتى إلى عطار، وقال له: أريدك تطيبني بأطيب طيب عندك، فيقول له العطار: الطيب حاضر، فما من موضع منك إلا وهو ملوث بالقذر، فيقول الرجل: فأي شيء أصنع؟ فيقول له العطار: اذهب واشتر الأشنان، وخذ من الطيب وادخل الحمام، واغسل نفسك ولباسك، ثم ائتني حتى أطَيبك من عطري، فكذلك العبد كلما قصد إلى الله سبحانه وتعالى فينبغي أن يشترى أشنان الانتباه وصابون الندامة، ثم يدقها بمدقة الخوف والخشية، ثم يصنع طست الاستقامة، ثم يكب عليه من ماء الحياء والتوبة، ثم يغسل به قميص وفاء العبودية من أدناس الجهل والغفلة ومن جميع التخاليط والعلائق بأيدي الإخلاص والحرمة، ثم يلبسها برؤية التوفيق والعصمة، ثم يغسل نفسه بماء الصدق والصفوة، وبأنواع الرعاية والرياضة من أدناس الهوى والشهوة حتى تصير طاهرة من جميع العيوب والآفات، ثم إن الله تعالى إذا نظر إلى هذا العبد ورآه مغسولا بماء الصدق والصفوة مزينا بلسان الوفاء والصيانة، متقمصا بقميص التقوى والديانة معمما بعمائم الحرمة والاستقامة، مترديا بأردية الخشية والمهابة متسربلا بسرابيل الخمول

والنسيان لكل ما دون الله تعالى ، فعند ذلك يُطَيِّب الله قلبه بطيب مسك الهداية ، ثم يجلسه على سرير الوداد مرتقيا على بساط القدس متربعا وعلى نمارق السكينة في أرائك الأنس متكئا إلى مسند الاعتصام في مجمع حسن الإرادة ولطائف الإشارة على حافات أنهار الزوائد في رياض ألوان العجائب بين خدام الفوائد مستندا وعلى موائد التقرب في بساتين الألفة تحت أشجار الوصلة بين رياحين الشوق والمحبة قاعدا ، ثم إذا تناول هذا القاصد أطعمه أثمار الشفقة في كاسات الرضا بأيدي الصدق والصفا مع شكر جاء في الخدمة والوفاء وقليات الشكر والرضا ، ثم أكل منها بإشارات الشريعة وأنامل اتباع السنة لقم اليقين والفطنة ، ومضغ فناء النفس والشهوة ونسيان الخلق والخليقة مع طيران الأفكار والهمة في قباب رؤية المنة تحت ظلال التعظيم والهيبة على راية حفظ الأدب وحسن المودة ، ثم إذا هاج من سر هذا القاصد عطش الاشتياق إلى محبوبه ومقصوده ، مد إلى كاسات الاستيناس بأيدي الاحتراق من بحر الوداد من شراب الوصلة إلى المراد ، فشرب منها شربة بعد شربة وكأسا بعد كأس حتى سكر من كل ما سواه سكرة لا يفيق منها إلى أبد الأبد ، فياله من قاصد ومقصود ! وياله من لباس وملبوس ! وياله من حبيب ومحبوب ، ! ويالها من عناية وولاية ! ثم يالها من دولة وهداية ! ثم يالها من بداية وبلا نهاية ! ثم ياله من ملك عطوف ومعبود شريف رؤوف جل جلاله وتقدست أسماؤه ! .

واعلموا وفقكم الله أن العبد القاصد إلى هذه الرتبة العلية إذا بلغ هذه الغاية ووصل إلى هذه النهاية وصار بالكلية سالما من جميع أشغال الدنيا وأهلها ، وآفات النفس وأدرانها ، وصار حرا من عبودية من سواه ، أنزله الله على سرير الانشغال به ، وأجلسه على نمارق الاتكال عليه ، وأتاه عيان الإقبال إليه ، فعند ذلك صار مشاهدا لمقصوده ومحبوبه عز وجل ، وصح له القصد إليه ، فحينئذ جعل الله تعالى قلبه موضع نظره وموطن بره ، وزيَّنه بحلل جماله ، وأدخله في دار الإمارة دار علمه وحكمته ، فعند ذلك يزور مقر مقصد القاصدين بالفؤاد ، حول منتهى لطفه ، ويرتع في روضات قدسه ، ويطير بجناح المعرفة في سرادقات غيبه ، ويجول في ميادين قدرته وحجب جبروته ، حتى يصير القاصد مكتفيا بكفايته عن كفاية غيره ، ومعتصما بعصمته عن عصمة غيره ، ثم يصير مستكفيا به معتصما مطمئنا به عن كل ما سواه ، ثم يصير مضروبا بسوط اشتياقه ، مقتولا من ألم فراقه ، مطروحا على فرش وداده ،

حتى إذا نظر الله تعالى إلى مقتوله رفعه بأيدي شفقته وغسله بماء ألفته، وحنَّطه بطيب مودته، وكفَّنه في أكفان وصلته، وغطَّاه بإزار رحمته، ثم وضعه على سرير فضله، وسلَّمه إلى كنف لطفه، وحمله على عنق عنايته، ثم أسرع به إلى طريق رؤية امتنانه بين صنوف آلائه ونعمائه، إلى أن بلغ إلى مصلى قربه ووصلته أمر الملائكة بالتحية والصلاة عليه، ويباهي به معهم، ثم جعله عند حضرته مقبورا وتحت حجاب القرب منه مدفونا، ثم صيَّره بالكلية فانيا رميما عن كل ما سواه، ثم صيَّره حيا باقيا ببقائه في الأبد مع الأبد إلى الأبد جل جلاله، ثم بعد ذلك تأتيه حالات ومقامات كرهت شرحها غيرةً عليها حتى أجد أهلها.

وفيما ذكرنا إشارات وعبارات لا تصلح للعوام الذين طبعوا على طبائع الأنعام[(١)] ولا يعرفون من نعم المنعم غير المطعم والمنام، وحسن المعاشرة مع الأنام، بل هذا يصلح لمن له سراج الديمومة ونور الأبدية، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

افهموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى ما ذكرنا لكم من بيان التهيؤ للقصد وما ينبغي لكم فيها إن أردتم أن تكونوا للوصل أهلا، وبالله التوفيق على ما يحب ربنا ويرضى فإنه الموفق لما يشاء.

---

(١) مع تقديرنا لمكابدة الصوفية في رحلة الوصل والصال، إلا أن كلام الجنيد عن العوام وعن إيمانهم بربهم كان يحتاج - فيما يعتقد - إلى معالجة أكثر ليونة خاصة أن الشرع لم يقلل من إيمان العامة. فإذا كان الخواص لهم أشواقهم، فهذا ما لا ينكر عليهم، وخاصة أن نفس الصوفي هي نفس قد أعدها الله سبحانه وتعالى لتقبل الفيوضات الرحمانية، وليس من المنتظر أن تكون كل النفوس مثل نفوس الصوفية، وعندما سأل الرسول الجارية: "أين الله؟" فقالت: في السماء. قال النبي ﷺ لمولاها أو لسيدها: "أعتقها فإنها مؤمنة". ومن ثم كنا نأمل من الإمام الجليل أن ينأى عن عبارات مثل "الذين طبعوا على طبائع الأنعام"، فإذا كان العوام لا يفهمون إشارات الصوفية فينبغي ألا نشبههم بطبائع الأنعام!.

الباب السادس

فيما ينبغي للقاصدين من رعاية النفس والروح والقلب

قال شيخنا إمام الملة الشيخ الكامل أستاذ الأكابر شرف الدين أبو القاسم محمد الجنيد ﷺ: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن هذه النفس شهوانية خسيسة لئيمة سيرانها في ملكوت الفناء، والروح روحاني قدساني نوراني سريانه في ملكوت البقاء، والقلب رباني فرداني صمداني سريانه في ملكوت الحضرة واللقاء، فالنفس مريدة الدنيا وجميع ميلها إليها وأكثر همتها وإرادتها في طلبها، والروح مريدة الآخرة والجنة وحورها وقصورها، وأكثر همته وإرادته وميله إلى طلبها، والقلب مريد المولى، وجميع ميله إلى قربه وأكثر همته إلى وصله، فأما سبيل النفس إلى مرادها الحرص والرغبة، وأما سبيل الروح إلى مراده الوفاء والحرمة، وأما سبيل القلب إلى مراده فالشوق والمحبة.

والنفس كلما وجدت السبيل إلى مرادها بالغلبة اضطرت الروح فيها بطلب الدنيا، وإذا أصابت منيتها صار الروح فيها منغطا ومظلما، من حيث وجدت النفس منيتها قنعت بخساسة همتها، واطمئن القلب معها بطلب شهواتها فعند ذلك تصير همة هذا العبد شهوانية، ويصير لها بالكلية أسيرا مغلوبا، والروح كلما وجد السبيل إلى مراده بالغلبة اضطرت النفس فيها بطلب العقبى، وإذا أصاب الروح منيته صارت النفس مغطاة بنور صفوته ومعالي همته، واطمئن القلب معه بطلب النجاة من حيث رهبته، فحينئذ تصير همة هذا العبد روحانية، وصار لله تعالى عبداً مطيعاً. والقلب كلما وجد السبيل إلى مراده بالغلبة اضطرت النفس والروح فيه بطلب المولى عز وجل، وإذا صار القلب منيبا صارت النفس مغطاة بنور قربه من الله تعالى، واطمئن الروح معه بطلب المولى على صدق وفاء العبودية بصدق انفراده بالفرد للفرد، فعند ذلك تصير همة هذا العبد ربانية، ويصير لله تعالى بالكلية عبدا واصلا وصفيا مقربا، لأنه قد برز إلى محبوب، وارتحل عن الكلية إليه فيطير بالنفس من طاعته إلى طاعته، ويطير بالروح من ذكره إلى ذكره، ويطير بالقلب منه إليه، فصارت نفسه مقيدة بقيد الزهد والتقوى، وصار روحه مقيدا بقيد

الصدق والوفاء، وصار قلبه مقيداً بقيد القرب والنجوى، فعند ذلك يجول هذا العبد بالنفس في ميدان حسن الرياضة والرعاية، ويجول بالروح في ميدان رؤية المنة، ويجول القلب في ميدان القرب والمشاهدة، فصارت النفس مقهورة تحت سلطان عقله وصار الروح مدهوشاً تحت جلال هيبته، وصار القلب مزينا تحت جمال ربوبيته، فحينئذ يقوم هذا العبد بشكره وشكر شكره، ويصير بالكلية مستغرقا في أبحر ذكره، ويجول بالسر في منتهى عزه، ويرتع في روضات قدسه، ويطير بجناح الهمة في سرادقات غيبه، ويجول في ميادين قدرته، ويسبح في بحار هويته.

ولو أن أهل الغفلة اطلعوا على قلوب القاصدين إليه عند أوقات جولانها، في حجب الغيوب وعند طيرانها في سرادقات الجبروت لماتوا حسرة من حرمان هذه النعمة، وإن جميع الذين وقعوا في الضلالات ما وقعوا إلا لتوهمهم في مراتب الأولياء والأصفياء الذين جعلهم الله آية للعالمين، وهم الذين لا يعرفهم إلا من جعل الله سبحانه وتعالى له نورا في سراج الديمومة، فمن لم يجعل الله له ذلك النور فماله من نور.

فكل من أراد أن يكون أهلا لمقصوده والوصول إلى قربه، فينبغي له أن يراعي نفسه في مراعى القيام لله تعالى بطاعته على متابعة الكتاب والسنة[1] من غير أن يفتر على ذكره وخدمته طرفة عين وأن يراعى روحه في مراعى لطائف الحضرات، ودقائق

(١) الواقع أن كلام الإمام الجنيد هنا في غاية الأهمية، ويدل دلالة كبيرة على أن مرجعية الإمام تتمثل في القرآن والسنة، ومن ثم كان نشأة التصوف إسلاميا، وليس كما يعتقد بعض المستشرقين ومن على شاكلتهم أنه تأثر بمصادر أجنبية حيث يقول: "فكل من أراد أن يكون أهلا لمقصوده والوصول إلى قربه فينبغي له أن يراعى نفسه في مراعي القيام لله تعالى بطاعته على متابعة القرآن والسنة" ويقول أيضا: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته" حلية الأولياء، ج١٠، ص: ٢٥٧. وفي ظننا أن ما ذهب إليه الإمام الجنيد يمثل في نظرنا التصوف الصحيح، وهذا ما أشار إليه الصوفية في قولهم: الكشف الحق هو الذي لا يعارض الكتاب والسنة، والمريد الصادق هو الذي يدع الكشف ويتمسك بالكتاب والسنة، والله سبحانه وتعالى ضمن للإنسان من العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها عن طريق الكشف والإلهام ولا الرؤى ولا المشاهدة، وإذا لم يوافق الكشف الشريعة فلا ينبغي العمل به، وهذا رأي الصوفية. وقال أبو علي الجوزجاني: "كن صاحب استقامة لا صاحب كرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلبك بالاستقامة" ابن خلدون: شفاء السائل، ص: ٣٢ وانظر: د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، ص: ٢٤٢. وانظر أيضا دراستنا: التصوف عند ابن خلدون، الناشر دار العلم بالفيوم، ص: ٣٧.

الفكر على متابعة صدق الإرادات من غير أن يغفل عن هيبة اطلاع ربه عليه، ودوام مراقبته طرفة عين وأن يراعى قلبه في مراعى حجب الغيوب على متابعة القرب من الله تعالى والأنس به بنور المعرفة من غير أن يلتفت منه إلى غيره طرفة عين.

ثم ينبغي له ثانيا أن يكون بالنفس مبعدا عن كل ما يشغله عن خدمة مولاه، وأن يكون بالروح مبعدا عن كل ما يشغله عن ذكر مولاه، وأن يكون بالقلب مبعدا عن كل ما يشغله عن أنس مولاه.

ثم ينبغي له ثالثا أن يكون بالنفس أليف الخشية والأحزان، وبالروح أليف الطاعة والإحسان، وبالقلب أليف الأنس بالملك الديان.

ثم ينبغي رابعا أن يكون بالنفس وافيا، وبالروح ذكيا وبالقلب صافيا.

ثم ينبغي له خامسا أن يكون نفسه وحشيا وروحه نعشي وقلبه عرشي.

ثم ينبغي له سادسا أن يكون بالنفس متشمرا على باب الاصطبار، بدوام الأذكار تحت كمال الانزجار، وأن يكون بالقلب مستبشرا على باب الافتخار بدوام الانتظار نحو لقاء الله الملك الجبار، مع ثبات النفس فيما يرد عليها من أنامل العقود، ورزانة الروح تحت ما يرد عليه من شواهد الحق.

ثم ينبغي سابعا أن يروض نفسه بسياط الجوع والأحزان لتنقاد له تحت أثقال الطاعة و الإحسان بلا فترة ولا طغيان، وأن يروض روحه بسياط خوف الحرمان والخذلان لتنقاد له تحت ذكر رؤية الامتنان بلا غفلة ولا نسيان، وأن يروض قلبه بسياط ذكر القطع والهجران، لينقاد له تحت اطلاع الرحمن بلا علاقة ولا حسبان، حتى لا تلحق إلى نفسه سهام الاغترار ولا إلى روحه آفات خفيات الاخمار، ولا إلى قلبه غبار الالتفات عن المولى إلى المواهب والأنوار.

ثم ينبغي له ثامنا أن يكون بالنفس مستقيما على وفاء صدق العبودية في طريق الحياء والخدمة على سبيل الفراغ من شغلها مع تفويض الأمور إلى الله تعالى وأن يكون بالروح مستقيما على صدق الطمأنينة في طريق الصدق والصفوة على سبيل التجريد بالكلية مع ترك الاختيار والتفويض إليه تعالى، وأن يكون بالقلب مستقيما على بساط الحضرة على سبيل المجاهدة بالسر مع ترك الالتفات منه إلى ما سواه.

ثم ينبغي له تاسعا أن يكون على نفسه آثر العبودية، وعلى روحه صفة الفردانية، وعلى قلبه طرب الوحدانية.

ثم ينبغي له عاشرا أن يكون مع النفس بلا نفس بنسيان حظها من الدنيا وأن يكون مع الروح بلا روح بنسيان حظه من العقبى، وأن يكون مع القلب بلا قلب بنسيان حظه من المولى، وصار كما كان في الأزل حيث لم تكن المكونات، وبقي الحق كما كان في الأزل سبحانه وتعالى بلا كون ولا خلق، ولا حيث جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره.

معاشر القاصدين إلى الله تعالى ومواصلته، حق لكم أن لا تجهلوا قدر أنفسكم في كل شيء، وأن لا تذلوا أنفسكم لغيره، وأن لا تلتفتوا منه إلى غيره إجلالا لحرمته، وحق لمن أقامه الله تعالى مقام أصفيائه، وأهل قربه أن لا يصحب أحداً من عامة خلقه، ولا يعمل بهوى نفسه، هيبة لجلال عظمته، وحق لمن سقاه الله بكأس محبته، ووجد لذائذ أنسه ومناجاته أن لا يشتغل بلذائذ غيره، ولا يأوي إلى قرب غيره، استحقاقا لفردانيته، وحق لكل من ألبسه الله تعالى لباس أصفيائه وردَّاه برداء أحبابه أن لا يدنسه بدنس هواجس نفسه وغبارها ويطلب الأعواض من محبوبه ومعبوده قياما باستحقاق الوحدانية وحرمة جلاله.

وحق لكل من خصه الله بولاية معرفته، واصطفاه لأنسه وصحبته، أن لا يأنس بغيره وينسى ما دونه بالكلية بالإياس مما في أيدي الناس والتوكل على رب الناس، فإن الإياس عن الناس هو الكيمياء استحقاقا لصدق القصد وانقطاعا إليه وإجلالا لحرمة الله عز وجل، فافهموا معاشر الإخوان القاصدين إلى الله تعالى ما ذكرنا من الرعاية وشرحنا لكم بيانها لأن فيها أمرا عظيما فهم من فهم تحقيقا.

الباب السابع

في مشاورة النفس والروح والقلب في أمور القصد إلى الله تعالى

قال شيخ الإسلام الأستاذ المربى المجمع على جلالته شرف الدين أبو القاسم الجنيد شيخ مشايخ أهل الحقيقة والطريقة رضى الله عنه وعنهم ونفعنا به ولهم في الدارين: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أنى لما هممت بالقصد إلى الله تعالى، ونويت الإقبال إليه والأنس به إلى الأبد من غير أن ألتفت منه إلى ما سواه، ففكرت في هذه الأمور فإذا هي أعظم الأمور قدرا وأكملها شوقا وأعلاها منزلة، وما رأيت وراء هذه الأمور أمرا، ولا فوق هذه الدرجة درجة، ولا دون هذه المراتب مرتبة، ثم إني فكرت في ما ينبغي لي أن أفعله من التهيؤ حتى أكون إلى الوصلة من المقصود أهلا، فإذا هو في صدق الانفراد به وترك حظ النفس من الدنيا، ثم من العقبى، ثم من المولى حتى أكون للفرد فردا بلا علاقة بدون الله عز وجل، ثم إن الرسول ﷺ مع عقله الكامل وعلمه الراسخ وزهده الوافر وفطنته الزاهرة كان يحتاج إلى المشاورة في جميع أموره دينا ودنيا[1] فكيف أنا؟ الأولى بي أن أستشير في أمري هذا من يساعدني فيه إذ لا أجد من يساعدني فيه، فقلت: ما أعظم هذا الأمر وما أعزه وأجله، وعلمت أن المقصود والمطلوب كلما عظم قل فيه المساعد وقل ما يكون أهلا له، ثم إني أجلست النفس والهوى مع جميع أعوانهما عن يساري، وأجلست الروح والعقل عن يميني مع جميع أعوانها وأجلست القلب مع جميع أعوانه بين يدي، ثم قلت لهم ما تقولون في الله عز وجل؟ فقالوا بأجمعهم: ربنا ورب كل شيء ومليكه ليس دونه آخر يُلْجَأ إليه ولا سواه ملك يرتجى منه ولا غيره إله يخشى منه، أنيس المقربين وسرور المحبين وقرة

---

(١) يبدو أن حرارة الفكرة دفعت الجنيد إلى القول بأن الرسول كان يحتاج إلى المشاورة في جميع أموره دينا ودنيا، ففي أمر الدين كان النبي ﷺ المشرع الأول عن ربه جل وعلا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: الآيتان ٣، ٤]. وإن الرسول كان يستشير الصحابة في بعض الأمور مثل أسرى بدر ليعلمهم حق المشورة بين الصحابة، لكنه لم يكن يستشير في كل أموره دينا، أما ما يخص ميدان الدنيا فقد تركها النبي للاجتهاد والمشاورة فعلا، وقولته المعروفة: "أنتم أعلم بشئون دنياكم" تؤكد ذلك، ومن هنا رأينا ضرورة التنويه لهذه العبارة.

عين العارفين، طوبى لمن عرفه وقصده ووصل إليه واكتفى به عن كل ما سواه، ثم قلت لهم: ما تقولون إن قصدت إليه وآنست به عن كل ما سواه؟

فقالوا لي بأجمعهم: وهل ينبغي لك غير ذلك؟ وهل خلقك إلا لهذا؟ وهل أمرك إلا بهذا؟ وهل ينبغي لك شغل أحق ما اشتغلت به سوى هذا؟ بخ. بخ! إن كنت من أهل قربه وأنسه ومن أهل الانفراد به، نعم ما هممت به ونعم ما نويت، ونعم محبوبا إليه أتيت، ونعم مقصودا ومطلوبا إليه دنيت وأويت، بخ. بخ! إن وفقك الله لهذا. فقلت لهم: من أين قلتم هذا؟ قالوا: من قول الله تعالى عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] وغير ذلك من الآيات في القرآن كثيرة.

قلت: فإن سئلتم عن هذا ألف سنة هل عندكم من جواب غير هذا؟ قالوا: لا، ثم إني أقبلت على النفس والهوى وجميع أعوانهما، وقلت: إني إن قصدت إلى ربي فهل تساعدوني، حتى أتخذه جليسا وأنيسا وصاحبا وحبيبا من غير أن ألتفت عنه إلى الدنيا؟ قالوا: لا، قلت: لماذا وهو سيدنا ومولانا الحاصل منه كل شيء، ولابد لنا منه في الدارين؟ فقالوا: إن الله تعالى خلقنا من ظلمات الدنيا، وربّانا بها ونحن محتاجون إلى شهواتها وراحاتها ولذائذ عيشتها، وأنواع زينتها، والتمتع بطيب نعيمها، وبقاؤنا بها وفقدنا من فقدانها، فقلت: ويحكم! أما ترون إلى زوال الدنيا وفنائها وتقلبها بأهلها، أما تعتبرون بما مضى منها عليكم وعلى من دونكم كيف أدبرت عنكم وعنهم وصارت كأن لم تكن قط وبقيت تبعاتها؟ أما تتفكرون في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه وإلى ما دعاكم إلى نفسه وحذركم عن الانشغال بها! فقالوا: أيها العبد القاصد إلى مولاك وحبيبك لا تشتغل بتطويل الكلام.

ثم إني أقبلت إلى الروح والعقل، مع جميع أعوانهما وقلت: إني إن قصدت إلى ربي على أن أخدمه على محبته لا لجنته، وأذكره تقربا لا لثوابه، وأتخذه رئيسا وجليسا من غير أن ألتفت منه إلى عطائه ومواهبه فهل أنتما تساعداني فيها وتوافقاني عليها؟ قالا: لا. قلت: لماذا لا تساعداني فيها وتوفقاني

عليها بعد أنه سيدنا وهو خير وأبقى وأجل وأعلا من كل شيء في الداريـن؟ قـالا : لأن الله تعالى خلقنا من نور الآخرة وربّانا بها وجعلنا محتـاجين إلـى إباحـة الجنـة ، وكمـال سرورها ولذائذ عيشتها وأنواع نعيمهـا ، بقاؤنـا بهـا ، وفقداننـا مـن فقدانهـا ولابد لنا منها . فقلت : ويحكم أما ترون أن الاشـتغال بـالنعيم يحجـب العبـد عـن المنعـم ، والاشـتغال بالعطـاء يحجـب العبـد عـن المعطـى؟ أمـا تعتـبرون بـآدم عليـه السلام ، حين اشتغل بالجنة واطمئن قلبـه فيهـا وطمـع في خلودهـا وملكهـا وتعلـق قلبه بها واكتفى من دون الله سبحانه وتعـالى بهـا كيـف صـار محرومـا متفضحـا في جميع الأولـين والآخريـن ، ويحكـم أمـا تتفكـرون في كمـال لطفـه وشـفقته وغايـة تودده فيما يدعوكم به إلى نفسه والاستئناس به ، وإلى مـا حذركـم عـن الاشـتغال بغيره؟ فقالوا لي : أيها العبـد القـاصد إلـى مـولاه وحبيبـه لا تشـتغل بطـول الكـلام فتنقطع عن مقصودك ومطلوبك ، وأنـت لا تجد مؤنسا ومحبوبـا غـيره ، فـإن الأمـر أعجل من أن تشتغل بالكلام ، ثم إنـي أقبلـت علـى القلـب وقلـت : يـا قلـب أنـت ملك البدن وأنت محل الإيقان والأذهان ، ومعدن النظر إلى الملك الديـان . وأنـت الذي عظم الله شأنك ، ونوَّر برهـانك وأجـل سـلطانك ، وقـد جعلـك الله سـبحانه وتعـالى معـدن فكـر معرفتـه ، ومـأوى ذهـن فطنتــه ، إنـك إن صلحـت صلحـت الأعضاء كلها ، وإن فسدت فسدت الأعضاء كلها ، واعلم أن الله سـبحانه وتعـالى دعاني إلى نفسه ، وأمرني بالإنابة إليه فأنا قاصد إلى ربي وعازم على أن أقيـم معـه إلى الأبد ، وأكتفي به عن غيره ، ولا ألتفت إلى من سواه ، فهل أنـت تسـاعدني في ذلك ، وتوافقنـي عليـه؟ فقـال : بـالرأس والعـين هكـذا ينبغـي لـي ولـك أن نتخـذه صاحبا وجليسا وكافيا و أنيسـا ، ويحـك فهـل خلقنـا إلا لهـذا؟ وهـل أمرنـا الله إلا بهذا؟ مرحبا بمقصودنا ومحبوبا ومعبودنا وقرة أعيننا مرحبا بقربه وأنسه وصحبته ، فهو الغنى الذي لا يسعنا إلا فضله وجوده ، ومن التفت إلى سواه فمفتقر لمفتقر .

فقلت : أحسنت هذا الذي توقعت منك ، أنت رفيقي وصاحبي في هـذا الأمـر ، ثم قلت : يا قلب أكتب عليك بهذا كتاب العهد وآخـذ عليـك ميثـاق الله عـز وجـل ، وأُشْهد على ذلك الشهود؟ قال : شأنك . فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هـذا مـا أُشْهِدَ عليه قلبي ، أُشْهِد عليه الله وملائكته وأنبيائه ورسوله وعباده الصـالحين في هـذا

الكتاب ، شهدوا جميعا أن قلبي الذي جعله الله خزائن علمه وحكمته ومحل سره ومقر إلهامه على المبايعة والمساعدة ووافقني على القصد إلى الله تعالى وأن نقيم معه إلى الأبد ونفرد به طائعين له غير مكرهين ، وأخذت على قلبي عهد الله وميثاقه قد قبل مني هذه البيعة على هذه الشروط ، وإني قبلت هذه البيعة بالبراءة من الإعراض عن مقصودي ومحبوبي بالعطايا والنعم ، ولا بالبلايا والمحن أبد الآبدين . استحكمت البيعة بينا في هذا القصد إلى الله تعالى ومواصلته على ما بينت ، وذلك في ليلة صك النصف من شعبان سنة خمس وتسعين وثلثمائة . فلما علمت النفس والهوى استحكام البيعة بيننا في القصد إلى الله تعالى وكمال مساعدة القلب وحسن موافقته في هذا الأمر ، وإني قد غلبتها على مرادها وصرت لله عبدا منفردا على التحقيق وفرغت من شغلي نفسي ، وصرت منقطعا بالكلية مع الإياس عن كل ما سواه ، فعند ذلك طلقت النفس والهوى وجعلتهما تحت أمر العقل وسلطانه مقهورين ، وجعلت الروح والعقل مع أعوانهما تحت مراد القلب وأمره مغلوبين حتى صاروا مضطرين فيه بطلب المولى وصاروا مسرورين بنور معرفة القلب ، واطمأنوا بذكر الله وخدمته ، وصرت وحدي إلى ربي ، فلما علم الله مني صدق الإقبال إليه طرق لقلبي منهج الانتقال وسلك به طريق الانصراف إليه ، فأراه أعلام الاتصال به وأنزله على منزل الاتكال عليه ، وآتاه أعيان الاقتراب منه ، وسهّل له عقبة الاحتمال فيه ، ثم أدخله في قصور أنسه آمنا ، وأجلسه على سرير قربه مطمئنا ، ثم سقاه كأسا من محبته شرابا مريئا ، وأطعمه النجوى من كاسات السكينة بأيدي الصفوة وأنامل الحرمة ، ومضغ اللسان المواصلة ما دون الحق أكلا ومن أطيب رياحين الوصلة وياسمين القربة ونرجس المواصلة نسيما ومسك الملاطفة وعنبر التأييد والزوائد رائحا مشموما ، ثم بعد ذلك أحوالا وأوقاتا لا يصفه واصف غيره ، ولا يدركه أوهام العالمين ، وهي حالات المشاهدة وأوقات الرؤية والمواصلة ، فيالها من حالات ما أجلها وأعظمها ، ويا لها من أوقات ما أعزها وأشرفها ، يختص بها من يشاء من عباده ، وهو الحكيم العليم .

الباب الثامن

في نعت القاصدين إلى الله تعالى وصفتهم وعلامتهم وأعلامهم، وما فيه من أشياء يكل الوصف دونها ولكنا نأتي ببعضها

قال المؤلف شيخ الشيوخ العارف بالله تعالى أبو القاسم الجنيد قدَّس الله سره العزيز: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد كلما قصد إلى الله تعالى ومواصلته وقربه فأول ما يجب عليه أن ينطلق بالسير على مركب المنطلقين إليه، ويبرز إلى محبوبه ويرتحل عن الكلية إليه بترك إرادة حظه من الدارين، ثم إرادة ترك حظه من الله تعالى ثم من رؤيته الترك، حتى لم يبق له حظ في الكونين، وبقى المكون كما كان في الأزل جل جلاله وتقدست أسماؤه وصار هذا العبد تحت سلطان بقائه كما كان في الأزل، حيث لم تكن المكونات، فعند ذلك يطوف العبد بالسر حول منتهى عزه، ويجول بالفؤاد في سرادقات قدسه، مدهوشا تحت كمال قدرته، مستمسكا بقوة عصمته، مستقيما على وفاء أمره ونهيه، مكتفيا من غيره، مستسلما لحكمته وتقديره، منفردا بأنسه وصحبته، متلذذا بذكره ومناجاته، وقد نزع من قلبه ثوب النسيان، وغسله بماء الصفوة من غبار الحسبان، ثم يتزين بزي الافتقار ويرتدى بأردية الاضطرار، ويحرم عن جميع التعاليق والاختيار، و يلبي بتلبية الافتخار، ويصعد على عرفات الاعتذار، ويطوف بقدمي الصدق والصفا حول القرب من الملك الجبار، فمثل هذا العبد وقصده إلى الله تعالى كمثل الحجاج حين قصدوا إلى زيارة بيت الله الحرام حين خرجوا من أوطانهم، وتركوا أهاليهم، وودعوا أقربائهم ورفقائهم، فترى أبدانهم منهوكة وقلوبهم طائرة وأبصارهم طامحة نحو الكعبة فمرة ينظرون إلى أنين الأهل والولدان، ومرة يتولون عنهم اشتياقا إلى بيت الله الحرام، وترى الأحبة والأخوان والأهل والولدان يمشون على آثرهم، وينظرون خلفهم بأعين باكية، فهذا صفة حجاج بيت الله الحرام وخروجهم من المساكن والأوطان وانقطاعهم عن الأهل والولدان.

فلو رأيتم معاشر الإخوان حجاج أهل المعرفة حين قصدوا إلى الله تعالى وخرجوا

من أوطان الدنيا وزهرتها ، وودعوا شهوات النفس وراحاتها ، وارتحلوا من إرادة الدارين ولذائذهما ، ارتحالا لا يحطون رحالهم إلا بقربه ، فهم قد نزعوا ثواب الغفلة من قلوبهم ، ثم إنهم يتزرون بمئزر الرشاد ، ويرتدون بأردية الوداد ، ويحرمون من صحبة العباد ، ويلبون بصحبة الفؤاد ، ويصعدون على عرفات صدر المراد ، ويطوفون بقدم الصدق والصفا قرب الملك الجواد ، فعند ذلك غابت عنهم العباد ثم البلاد ثم الرقاد ، فيا لهم من قوم استقاموا على بساط التحقيق بقدم الإخلاص والتصديق منفردين بالملك الشفيق بلا خلق ولا نفس ولا تعاليق ، ثم يا لهم من قوم قصدوا محبوبهم ومرادهم يقتلون أنفسهم بسيف اشتياقه ، ثم يطرحونها على فرش وداده يغسلونها بماء حياته ويحنطونها ويعطرونها ببهائه ثم يكفنونها بكفن لطفه ويتزرونها بمئزر شفقته ، ثم يضعونها على سرير ولايته ، ويحملونها على أعناق ذكر آلائه ونعمائه ، ثم يسلمونها إلى أيدي حكمه وقضائه ، ثم يدفنونها في مقابر قربه ومؤانسته ، ثم يالهم من قوم اتكلوا على الله في جميع الحالات واستغنوا به عن الخلق في جميع الأوقات وافتقروا إليه في جميع الإيرادات ، ولم يلتفتوا منه إلى الراحات والشهوات واللذات وعلموا أن لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منه إلا إليه ، ثم يالهم من قوم قصدوا إليه لشوقهم إليه لا لعطائه ، وقربوا منه لوصلته لا لجزائه ، وعبدوه على محبته لا لبره وثوابه ، ثم يا لهم من قوم قصدوا الله بقدم الحياء والخشية والحرمة ، واتزروا بمئزر دوام الخدمة ، وارتدوا بأردية ذكر المنة وأحرموا من فعال أهل الغرة ، ولبوا بتلبية الشوق والإنابة ، وصعدوا على عرفات الفقر والفاقة وطافوا بقدم الصدق حول وصال رب العزة ، فهم بأجنحة الشوق منه إليه طائرون وبالكلية منه إليه قاصدون ، وبنور المعرفة منه إليه ناظرون ، ومن شمامات أنسه يشمون ، وبمراوح امتنانه يتروحون ، وبكأس الود من شراب الزلفى يشربون ، وبقرب القريب وبمناجاة الحبيب يتلذذون ، فألم الفراق أنحل أبدانهم ونار الشوق أحرقت أكبادهم ، وملاقاة الحبيب غاية مرادهم .

معاشر إخواني ليس كل أحد يحتمل صفة القاصدين ونعتهم ، ولا كل قلب يستحق مواصلة الله تعالى وقربه ، ولا كل بشر يؤذن لها بالدخول عليه ، فلو أن الناس اطلعوا على قلوب القاصدين عند هيجان الاشتياق لعاينوا من العجائب ما بهتوا فكيف لو اطلعوا على قلوبهم حين يؤذن لهم بالدخول عليه ، وترفع الحجب

والأستار عن قلوبهم، حتى ينظرون إليه بلا كيف هذه حالاتهم في عاجل الدنيا فكيف غداً حين يقدمون على الله تعالى يوم الزيارة والرؤية، قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] وإن الذي ذكرنا من نعت القاصدين إلى الله تعالى، وصفتهم وأعلامهم في جنب ما لم نذكر أقل من خردلة بين السماء والأرض فإن قدرتم أن تدخلوا في زمرتهم، وموكبهم فبخ بخ وإلا ففي باب قصة رؤيا أبي يزيد[1] كفاية لكم أن تعرفوا كمال شوق القاصدين إلى الله تعالى ومراتبهم فإن نظرتم فيه ووقفتم عليه إن شاء الله عز وجل (شعر)

قلوب القاصدين حشيت سرورا ... فصار أنيسهم ملكا شكورا
ووجه القاصدين علاه نور ... ومعدن جمعهم باب الغفور[2]
فيا طوبى لهم في دار خلد ... إذا نالوا الكرامة والحبورا
فإن القصد في الدنيا قليل ... وقد كثر العطاء مع الأجورا[3]

(١) سيذكر في الباب التالي قصة رؤيا أبي يزيد، وانظر تعليقنا عليها ثم.
(٢) أطلق الشاعر القافية بالألف مع كونها في وضع جر، حفاظا منه على الوزن والقافية.
(٣) نفس الملاحظة السابقة.

الباب التاسع

في رؤيا أبى يزيد[(١)] في القصد إلى الله تعالى وبيان قصته[(٢)]

قال شرف الإسلام العارف بالله تعالى شرف الدين أبـو القاسـم الجنيد قـدس الله سره وأعـاد علينـا مـن بركاته والمسلمين : واعلمـوا معاشـر القـاصدين إلـى الله سبحانه وتعـالى أن لأبـي يزيـد حـالات ومقامـات لا يحتملهـا قلـوب أهـل الغفلـة وعامة الناس ، وله مع الله أسرار لو أطلع عليها أهل المعرفـة فيهـا ، وإنـي نظـرت في مناقب أبي يزيد ، فإذا فيه أشياء من حالاته وأوقاته وكلامه ما كلت به الألسـن عـن نعته وصفته ، فكل من أراد أن يعرف كماله ومنزلته فلينظر إلى نومـه ورؤيـاه التي هي أصح في المعنى وأقرب إلى التحقيق من غيره .

---

(١) سلطان العارفين أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى (١٨٨ -٢٦١ هـ)من بسـطام خراسـان ، لـم تؤثـر عنـه كتابات في التصوف ولكن أقواله رصدها أصحابه ومحبوه وخصومه على السواء ، وهـي تشـكل مذهبـا في التصوف قالوا فيه إنه الطيفورية ، وهو مذهب في المحبـة والفنـاء الصـوفي . وعـرف بأنـه مـن أصحـاب الشطح مثل "سبحاني سـبحاني ما أعظم شاني" انظر : الموسوعة الصوفية للدكتـور عبـد المنعـم الحفنـي ، دار الرشاد ، ص : ٥١ .

(٢) وقفت على هذه الرؤية متأملا ما جاء فيها على لسان خادم الشيخ أبـي يزيـد البسـطامي والرؤيـة المناميـة على سبيل المحاكاة لحادث المعراج للنبي ﷺ ، ومع تقديرنا لرحلة الصوفي في العروج إلى الأنوار الإلهيـة إلا أن القصة بكل ما بها من ملابسات تجعلنا نتوقف عندها أولا لأنها محاكاة لحادث الإسراء والمعراج ، ثانيا ما بها من عبارات لا تليق بالحديث مع الذات العلية مثل "يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي" . ثالثا : تسمية الملائكة بأسماء لم يرد بها نص في القرآن أو السنة . رابعا : تصوير الملائكة بأشـكال توحـي بالجسمية وهذا مخالف للقرآن والسنة . خامسا : عندما يقـول " اسـتقبلني روح كـل نبـي وسـلموا علـي وعظموني وكلموني وكلمتهم " من الذي يعظم من؟ النبي هو الذي يعظم الولـي أو الصـوفي حتـى ولـو كانت رؤيا منامية ! ! وما دعاني إلى نقد هذه الرؤية المنامية ، وإن كـان القصـد منهـا الـترغيب في القصـد إلى الله ، تعليق إمامنا الجنيد عليهـا بقولـه "عرضـت هـذه الرؤيـة علـى أجـلاء أهـل المعرفـة بـالله فكلهـم يصدقونها ولا ينكرونها "وكنت أنتظر من شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أن يقـدم لنـا نقـدا وتفنيـدا لهـذه الرؤية التي حكيت عن طريق خادم الشيخ وليس من الشيخ نفسـه ! ورحـم الله علماؤنـا الأوائـل الذيـن وضعوا القواعد الضابطة والمنهجية الصارمة من علوم الحديث وصدق روايتـه ، ومـا أحرانـا أن نتحـرى الحقيقة في المرويات والحكايات في تراثنا الصوفي المليء بالدرر والكنوز كما أنه بحاجة أيضا إلـى الغربلـة والتصفية مما علق به من مرويات لا يقبلها العقل والنقل .

حكى خادم الشيخ الأجل أبي يزيد البسطامي ﷺ قال: قال لي أبو يزيد البسطامي قدس الله سره: رأيت في المنام كأني قاصد إلى الله تعالى طالبا مواصلته سبحانه وتعالى على أن أقيم معه إلى الأبد فامتحنت بامتحان لا تقوم له السماوات والأرض وما فيهما لأنه بسط لي بساط العطايا نوعا بعد نوع، وعرض على ملك كل سماء ففي ذلك كله أغضضت بصري عنها كلها لما علمت أنها تقطعني وإنما هي تجربة لي فكنت لا ألتفت إليها إجلالا لحرمة ربي، كنت أقول في كل ذلك كله: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي.

قال خادم الشيخ رحمه الله تعالى: فقلت له: صف لي يا أستاذ مما عرض عليك من ملك كل سماء، فقال ﷺ: رأيت في المنام كأني عرجت إلى السماوات فلما أتيت السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر فنشر جناحا من أجنحته فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي إلى صفوف الملائكة وهم قيام منحرفة أقدامهم في التخوم، يسبحون الله بكرة وعشيا فسلمت عليهم، فردوا على السلام، فوضعني الطير بينهم ثم مضى، فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم وأحمد الله بلسانهم، وهم يقولون هذا آدمي لا نوري لجأ إلينا، وتحكم معنا، قال: فألهمت كلمات، قلت بسم الله القادر على أن يغنيني عنكم، ثم لم أزل يعرض على الملك الجليل من المُلْك ما كلت الألسن عن نعته وصفته، فعلمت أنه يجربني بها، وفي ذلك كله كنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، ولم ألتفت إليها حرمة لإجلاله، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثانية فسارعوا إلى الملائكة فوجا بعد فوج ينظرون إلى كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها، ثم جاءني رأس الملائكة واسمه لاوين، وقال: أبا يزيد إن ربك يقرئك السلام ويقول: أبا يزيد أحببتني فأحببتك، فانتهى بي إلى روضة خضراء فيها نهر يجري حوله ملائكة طيارة يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة ألف مرة ينظرون إلى أولياء الله، ووجوههم كضياء الشمس، وقد عرفوني بمعرفتهم لي في الأرض فجاءوني وحيوني وأنزلوني على شط ذلك النهر وإذا على حافتيه أشجار من نور ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء وإذا على كل غصن منها وكر طير وإذا في كل وكر ملك من الملائكة ساجد، وكنت كلما وقفت على شيء من ذلك أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض

علي كن لي يا عزيزي جارا من جميع المستجيرين وجليسا عن جميع المخلوقين، ثم هاج من سري شيء من عطش نار الاشتياق حتى أن الملائكة مع هذه الأشجار صارت كالبعوضة في جنب همتي، وكلهم ينظرون إلي متعجبين مدهوشين من عظم ما يرون مني، ثم لم يزل يعرض علي من المُلْك ما تكل الألسن عن نعته، وفي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، فلم ألتفت إلى شيء منها إجلالا لحرمة ربي، وكنت أقول يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، وتجريدي عما سواه فإذا أنا بملك قد مد يده فجذبني، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثالثة فجاءني جميع الملائكة الذين هم بها وسلموا علي، فإذا ملك منهم له أربعة أوجه يلي إلي وهو يبكي دموعه لا تسكن أصلا، ووجه على الأرض ينادي يا عباد الله اعملوا يوم الفراغ ليوم الأخذ والحساب ووجه يلي يمينه يكلم الملائكة بلسانه، ووجه يلي يساره قد سعت جنوده في أقطار السماوات يسبحون الله تعالى فيها فسلمت عليه فرد علي السلام، ثم قال: من أنت إذ فضلت علينا؟ فقلت: عبد قد من الله عليه من فضله، فقال لي: تريد أن تنظر إلى عجائب الله، قلت: بلى. فنشر جناحا من أجنحته فإذا على كل ريشة من ريشه قنديل أظلم ضياء الشمس من ضوءها، ثم قال: تعالَ يا أبا يزيد واستظل في ظل جناحي تسبح الله تعالى وتقدسه وتهلله إلى الموت، فقلت له: الله قادر على أن يغنيني عنك، ثم هاج من سري نور من ضياء معرفتي أظلم ضوء تلك القناديل من ضوئي فصار الملك كالبعوضة في جنب كمالي، ثم لم يزل جل جلاله وعز كبرياؤه يعرض علي من الملك ما تكل الألسن من نعته وصفته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، فلم ألتفت إلى ذلك إجلالا لحرمته، فكنت في كل ذلك أقول يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض علي، فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مد يده فرفعني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الرابعة فجاءوا بي جميع الملائكة بصفاتهم وهيأتهم ونعوتهم، فسلموا علي وناظرين إلي كما ينظر أهل البلد إلى أميرهم في وقت دخوله إليهم، يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل، لعظم ما يرون من انقطاعي إليه وقلة التفاتي إليهم فاستقبلني ملك يقال له يناثيل فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شط بحر عجاج لا ترى أوله ولا آخره فألهمت تسبيحه وأنطقت بلسانه ولم ألتفت إليه

ثم لم يزل الجليل جل جلاله يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني فلم ألتفت إلى ما رأيت إجلالا لحرمته وكنت أقول يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة والانفراد به إلى القصد إليه، فإذا بملك مد يده فرفعني إليه، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الخامسة فإذا بملائكة قيام في السماء الخامسة رؤوسهم في عنان السماء السادسة، يقطر منهم نور تبرق منه السماوات فسلموا كلهم على بأنواع اللغات فرددت عليهم السلام بكل لغة فتعجبوا من ذلك، ثم قالوا: يا أبا يزيد تعالى حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد، فلم ألتفت إليهم، إجلالا لربي جل جلاله وعزته، فعند ذلك هاج من سري عيونا من الشوق فصار نوري لعظمته في نور الملائكة كالشمس يوضع فيها سراج وعرض علي من الملائكة خلق عظيم، وأنا لم ألتفت إلى شيء منها مما رأيت، وذلك لعلمي إنما هو يجربني، وكنت أقول يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه فإذا أنا بملك مد يده فرفعني إليه، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءوني وسلموا علي، وهم يفتخرون بشوقهم علي ففتحت لهم شيء من طيران سري، ثم لم يزل يعرض علي الجليل من الملك ما تكل الألسن عن نعته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني فلم ألتفت إليهم وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي.

فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مد يده فرفعني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة، فإذا أنا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة مع كل ملك لواء من نور تحت كل لواء ألف ألف ملك طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام وعلى مقدمتهم ملك اسمه بيرابيل فسلموا على بلسانهم ولغتهم، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك، فإذا بمنادي ينادي: يا أبا يزيد، قف قف، فإنك قد وصلت إلى المنتهى، فلم ألتفت إلى قوله، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته، وفى كل ذلك لم ألتفت له ولم أقف معه، لعلمي أن الجليل جل جلاله يجربني بها، وكنت أقول يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض علي، فلما علم الله مني صدق

الإرادة في القصد صيرني طيرا كل ريشة من جناحي أبعد ما بين المشرق والمغرب ألف ألف مرة فلم أزل أطير في الملكوت ، وأجول في الجبروت ، وأقطع مملكة بعد مملكة ، وحجابا بعد حجاب ، وميدانا بعد ميدان ، وبحارا بعد بحار ، وأستارا بعد أستار حتى أتيت ملك الكرسي فاستقبلني ومعه عمود من نور فسلم علي ، ثم قال : خذ العمود فأخذته فإذا السماوات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي ، واستضأت كلها بضياء شوقي والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتي في القصد إليه ففي كل ذلك كنت خائفا من أن ألتفت إلى شيء من ذلك واقف معه ، فيوقفني ، وأنقطع معه لعلمي أنه يجربني بذلك كله ، فلم ألتفت إليه إجلالا لحرمة ربي جل جلاله .

ثم لم أزل أطير وأجول من مملكة إلى مملكة ومن حجاب إلى حجاب ومن ستر إلى ستر حتى انتهيت إلى الكرسي ، فإذا استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السماوات يبرق من كل عين نور يلمع منه فتصير تلك الأنوار قناديل ، أسمع من جوف كل قنديل تسبيحا وتهليلا ، ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من النور تتلاطم أمواجه يظلم في جنبه ضياء الشمس ، فإذا على البحر سفائن من نوره يظلم في جنة نوارها تلك الأبحر ، فلم أزل أعبر من بحر إلى بحر حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن ، فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما تحت العرش إلى الثرى من الملائكة الكروبيين والروحانيين وحملة العرش وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى في السماوات وفى الأرض أصغر من حيث طيران سري في القصد إليه من خردلة بين السماء والأرض .

ثم لم يزل الجليل جل جلاله يعرض علي من لطائف سره وكمال قدرته وعظيم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، ففي كل ذلك كنت أقول : يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض علي ، فلم ألتفت إليه إجلالا لحرمته فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه ناداني سبحانه وتعالى : إلي إلي ، وقال : يا صفي ادن مني واشرف على مشرفات بهائي وميادين ضيائي ، واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي أنت صفي وحبيبي وخيرتي من خلقي فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الأنس ثم صيرني إلى حال لم أقدر على وصفه ثم قربني منه وقربني حتى صرت

أقرب من الروح إلى الجسد ثم استقبلني روح كل نبي وسلموا علي وعظموني وكلموني وكلمتهم، ثم استقبلني روح محمد ﷺ وقال: يا أبا يزيد مرحبا وأهلا وسهلا فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلا، إذا رجعت إلى الأرض فأقرأ أمتي مني السلام وأنصحهم ما استطعت وادع لهم وادعهم إلى الله عز وجل. ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين وبقي الحق بلا كون ولا بين ولا أين ولا حيث ولا كيف جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قال الشيخ قدس الله سره العزيز: معاشر إخواني عرضت هذه الرؤية على أجلاء أهل المعرفة بالله فكلهم يصدقونها ولا ينكرونها بل يستقبلونها عند مراتب أهل الانفراد بالقصد إليه سبحانه وتعالى ثم يحتجون بقول النبي ﷺ: "إن العبد لا يزال من الله والله منه ما لم يجزع فإذا جزع وجب عليه العقاب والحساب"[1] وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن من العلم كهيئة المخزون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله تعالى ولا ينكره إلا أهل الغرة بالله تعالى"[2]، ولو لا كراهية التطويل لذكرنا احتجاجهم على صحتها من الأخبار الصحيحة والحكايات المشهورة المعروفة. ولكن معرفتي أن كل من جهل مراتب الأصفياء وأهل المعرفة فلا يعرف قدرهم وشرفهم ولا تغني عنهم كثرة الدلائل والبيان، ولا تنفعه كثرة الحجج والبراهين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] الآية، وقال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال برقم ٢٥٠٨٨.

(٢) ذكره الحافظ العراقي في تخريج الإحياء بلفظ "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه" وقال: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

الباب العاشر

في حكايات القاصدين إلى الله تعالى وقصصهم

قال إمام الأئمة وشيخ الشيوخ أبو القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره العزيز: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى عبادا قصدوا إليه بالكلية، وأودعهم الله سبحانه وتعالى ودائع سره، وعملوا له على محبته، فكان لهم المولى وليا مواليا، ودامت لهم المؤانسة وأعطاهم السكينة مع الله عز وجل، وتجردوا عما دونه فرفع الحجب عنهم، فلذلك لا تزن الدارين بكل ما فيها في جنب معرفتهم ووجدانهم لذائذ أنسهم وَزْن خردلة، انظر ما حكى عن إبراهيم نبي الله عليه السلام حين خرج من الكوفة قاصدا إلى الله تعالى فقيل له: إلى أين تذهب؟ فقال: إني ذاهب إلى ربي. فقالوا له: وكيف تذهب إلى ربك، وأنت لا تعرف الطريق؟ فقال: سيهدني ربي، فقالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم، فقال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه: وحرّ ناري أشد من حر ناركم، حسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وحكي عن إبراهيم بن أدهم ﷺ كان يقول في مناجاته: إلهي إنك تعلم أن الجنة وما دونها لا تزن عندي جناح بعوضة بعد ما وهبت لي معرفتك، وآنستني بك، وفرغتني بالتفكر لعظمتك وجعلتني في جوارك بالنظر إلى وجهك الكريم.

وحكي أن ذا النون المصري قال: لو أن الله سبحانه وتعالى أبدى من طيران سر العرف ذرة عند قصده إليه لاحترق من العرش إلى الثرى، لأنه ليس شيء في الدارين أعلى ولا أعظم من طيران سر العارف نحو معروفه ومقصوده.

وحكي في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه حين اتخذه خليلا: أن يا إبراهيم إنك لي خليل وأنا لك خليل فانظر أن لا يشتغل قلبك بغيري فتقطع خلتك مني وخلتي منك لأن القاصد المصدق بخلتي لو احترق بالنار لم يتحول قلبه عني إلى غيري إجلالا لحرمتي، وذكر الله سبحانه وتعالى لنا وصف ذلك في كتابه العزيز، بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ

رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١]، ثم ابتلاه باستقبال جبريل له في الهواء، حين رموه في المنجنيق، وقال له: يا خليل الله، الجليل يقرئك السلام، فقال: هو السلام ومنه السلام، وإليه يعود السلام، ثم قال له جبريل: يا خليل الله هل لك من حاجة؟، فقال: أما إليك فلا، وأما إليه فحسبي من سؤالي علمه بحالي، يا جبريل ما لك أن تدخل بيني وبين خليلي تنح عني، فإن حر ناري أشد من حر نار النمرود عليه اللعنة، حسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. فلما علم الله سبحانه وتعالى صدق التسليم قال: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم.

قال الشيخ العارف بالله تعالى شرف الدين أبو القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره: اعلم أن الله سبحانه وتعالى يوري معاملته مع خليله عليه السلام في النار لجميع العباد ليعلموا أن الله سبحانه وتعالى يعامل كل من أحبه أن لا يضره شيء في الدارين وليعلموا أن أهل المعرفة في النار أطيب عيشا وأحسن حالا وأشد سرورا مع الله سبحانه وتعالى من أهل الجنة في الجنة، وليعلموا أن كل من أوقد نار محبته، فلا تحرقه نار في الدارين، لأن نار الشوق والمحبة أحرق ما دونه، وصارت النار بردا وسلاما في جنبها.

وحكي أن عبد الله بن محمد بن عبد الله ﷺ كان يقول في بعض مناجاته: إلهي لا تدخلني النار فإنك إن أدخلتني النار صارت بردا من حبي لك.

وحكي أن ذا النون المصري ﷺ قال: أدنى منزلة العارف هو أن الله سبحانه وتعالى لو أدخله النار وأحاط به عذابه لا ينصرف قلبه عنه، ولا يزداد في قلبه إلا أنسا به وحبا له وشوقا إليه وسرورا به، ولو أدخله الجنة وأحاطت به لذائذها وراحاتها، لا يشتغل قلبه بها ولا يلتفت منه إليها إجلالا لله تعالى وعظمته، ولا يشغله ما في الدارين عنه.

وحكي أن أبا سعيد الخراز قال: رأيت رجلا على شاطئ البحر جالسا ورأيت عليه سيماء العارفين، فسلمت عليه وقلت: كيف الطريق إليه؟ قال: أما الطريق العام فهو الذي أنت عليه، وأما الطريق الخاص هو أن تغيب عن كل ما سواه كما رأيتك الآن، ثم قام ومشى على الماء وغاب عني ولم أراه بعد ذلك. قال: فبكى أبو سعيد ثم أنشأ يقول:

لو كنت من أهل الوداد حقيقة لغبت عن الدنيا وتمت عن الكل الحسن
وكنت بلا حال مع الله واقفا تصان عن التذكار للجن والأنس

وحكي أن ذا النون رأى رجلا يبكي في سجوده وهو يقول : اللهم ارزقني رزقا حلالا واسعا وزوجني من حور العين في الجنة ، فقال له ذو النون : يا مسكين في الدارين تبكي ، تبكي في الدنيا للخبز وفي الآخرة تبكي على الحور العين ، فمتى تتفرغ لمولاك .

وروي في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك : إن أعطيتكم الدنيا اشتغلتم بإمساكها وإن منعتها عنكم اشتغلتم بطلبها فإلى متى هذا؟ متى تتفرغون لي ! .

قيل : سمع بعض العارفين قائلا يقول : إلهي في الدنيا الغموم والهموم وفي الآخرة الحساب والعذاب ، فمتى الراحة ؟ فقال له العارف : يا هذا ما بلغك قول النبي ﷺ "لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه" .

وحكي أن الخواص قال مررت بشاب في البادية جالس تحت شجرة أم غيلان و هو يقول : لبيك من الدارين إليك ، لبيك تلبية منقطع إليك عمن سواك لبيك ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، ثم رمى ببصره نحو السماء ، فقال : سبحان من آنس ما دونه عن قلوب أصفيائه وأحبابه فنظروا بقولهم إليه بلا كيف ! والله للمحبين ما أملوا ، فقلت : رحمك الله كيف الطريق إليه ؟ فقال : بترك الخلائق وقطع العلائق . قال : معي شيء من الدنانير فوضعتها بين يديه وقلت له : أنفقها على أمرك ، قال : مُرْ بارك الله فيك إن الذي قصدنا إليه أجود منك ، ثم قام ومضى مسرعا . وقال : إلهي أكثر خلقك مشغولون عنك وأنت عوض من كل فائت ، ثم غاب عن بصري فلم أره بعد ذلك .

وروي في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما فإنك تصل بذلك إلى قربي ومصاحبتي . فقال له موسى عليه السلام : إلهي دلني على واحد منهم . فقال : اذهب إلى خرابة كذا فإن فيها مبتلى ، فأتى موسى الخرابة ، فإذا برجل مقعد أعمى أصم وهو يقول : الحمد لله رب العالمين كما هو أهله ، فقال موسى : منذ كم أنت ها هنا؟ قال : منذ كذا وكذا سنة كنت مواظب مؤانسته ومواصلته فأمتحنني بامتحان لا تقوم له الجبال ولا

السماوات والأرض بكل ما فيها! فقال له موسى عليه السلام: فهل تشتهي شيئا؟ قال: شربة ماء. فذهب موسى عليه السلام فأتى إليه بشربة ماء فوجده ميتا فحزن موسى عليه السلام عليه حزنا شديدا وتركه ومضى ليأتيه بكفن، فلما رجع فإذا أسد يأكله فطرح موسى الكفن، وقال: يا رب زعمت أنه من أوليائك وأهل قربك، فلما فعلت به ذلك به؟ قال: يا موسى هكذا فعلي بكل من أرادني وانقطع إلي ثم مال قلبه إلى غيري، وإني غيور على أحبابي، صرفت عنه ما سواي بالكلية.

وحكي أن شابا من أهل المعرفة قصد زيارة بيت الله الحرام ومعه رفيق، فلما وقع نظره إلى البيت استأنس به، وجعل ينظر إليه ثم جعل يضرب وجهه بيديه، حتى خرجت عيناه، وسقطتا على الأرض، ومات مكانه، فبكى عليه رفيقه، وحزن حزنا شديدا، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي لمَ صنعت هذا بصاحبي ورفيقي؟ فإذا بهاتف يقول: هكذا فعلنا بمن أقبل إلينا ثم نظر منا إلى غيرنا.

وكان سَري السقطي كثيرا ما يقول: اللهم إني أعوذ بك من ذل الحجاب وسوء المنصرف عنك بعد القصد إليك، فإنك خير جليس وأنيس.

وحكي أن رجلا أتى إلى باب زبيدة، فقال: إني عشقتها، فأخبروها بقصته. فقالت: ائتوني به، فأتي به إليها. فقالت له: أصادق أنت فيما تزعم؟ فقال: إني عشقتك. فقالت: يا هذا لا تقل هكذا فإن لي ولك فيها ملامة أعطيك ألف درهم ولا تقل. قال: لا أريد، فقالت: أعطيك ألفين، فقال: لا أريد مثل ذلك. حتى بلغت إلى عشرة آلاف درهم، فقبل الرجل تلك الدراهم ورضي بها عنها، وترك مقالته بعشقها، فأمرت زبيدة بضرب قفاه، فما زالوا يضربوه على القفا حتى قتلوه. فقالت: هذا جزاء من ادعى عشقنا ومحبتنا، ولم يكتف بنا عما لنا، فما من عارف سمع بهذه القصة في ذلك الوقت إلا فزع حتى غشي على بعضهم، وقالوا: مخلوق ادعى محبة مخلوق، فلما مال منه إلى غيره حل به ما حل فكيف بمن ادعى محبة رب العزة جل جلاله.

وحكي أن أبا سعيد قال: سألت رجلا من أهل المعرفة متى يصل القاصد إلى الله تعالى؟ قال: لقد سألت عن أمر عظيم، فإنما قبل ذلك عقبة وبحار وأودية وقفار، فمتى لم تقطعها لم تصل إليه، وهي عقبة الدنيا، وبحر النفس، وأودية الخلق، وقفار

رؤية العطايا والكرامات، لأن في قطعها الوصول إلى الرب سبحانه وتعالى.

وحكي أن بعض العارفين حج، فلما فرغ من شأن الحج أحرم من الناس ولبى مرة أخرى، فقيل له: يا هذا مضت أيام الحج، فما هذا؟ قال: أحرمت أولا، من الوطن إلى البيت، الآن أحرمت من البيت إلى صاحب البيت.

وحكي أن بهلول المجنون دخل يوما بيت الله الحرام ساكنا مبهوتا مدهوشا فقال له رجل: سل مني حاجتك؟ فإنك في بيت الله تعالى. فقال: ليس من مروءة الرجل أن يسأل في بيت الله غير الله، ثم أنشأ يقول

كلما تسرى صيرني	أوحشني أفردني
شردني في قفرها	أقلقني في وطني
إذا تغيب بدا	وإن بدا غيبني

قال الشيخ بركة المسلمين أبو القاسم الجنيد ﷺ: معاشر القاصدين إلى الله تعالى وإلى مواصلته اعرفوا مراتب القاصدين وسيرهم، واسلكوا سبيلهم ولا تستوحشوا من قله أهلها، واجتهدوا إخواني في السير فإن المدة قليلة، وقد آن ذهاب أوانها، فإن المصير إلى الله قد دنا والمنقلب قد قرب، والرحيل من هذه الدار كثيرة الأكدار إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، يا معاشر القاصدين يا إخواني وفقكم الله تعالى، ينبغي لكل حر قصد الله سبحانه وتعالى أن ينتقل إليه بالكلية ويستسلم له وينقطع إليه ويفوض أمره إلى الله بالكلية، وأن ينفرد ويرتحل عن الكل إلى الكل، ويفرغ قلبه عن شغل لا يفيده بالكلية إلى شغل لا غنى له عنه، بل إلى من لا غنى له عنه أصلا، إخواني جاء الموت وذهبت الدنيا بالكلية، وفات المقصود والمطلوب بالكلية، فالسعيد من داوم بالقصد إلى الله تعالى وخرج من الدنيا طائعا قبل أن يخرج منها كارها، فهذا بيان القصد إلى الله تعالى ومواصلته، وما ينبغي للقاصدين من التهيؤ حتى يكونوا للمقصود أهلا، فإذا حالت وفاتت من هذه حالة أو علم الله منه صدق طلبه وقاطعه أوان أجله أمر الله ملائكته بالتحية والصلاة عليه وباهى به الملائكة الكرام، لأنه مركب من شهوة ونفس وعليه أعداء يمكرون به ويسولون له دنيا حاضرة وبلايا متواصلة، فيا لها من همة عليه ونفس زكية، يجعلها الله عنده في حضرته مقبولا وتحت حجاب

القرب منه مدفونا، ثم صيره بالكلية فانيا رميما عن كل ما سواه، ثم صيره حيا باقيا لبقائه في الأبد مع الأبد إلى الأبد جل جلاله، ثم بعد ذلك تأتيه حالات ومقامات كرهت شرحها غيرة عليها حتى أجد أهلها، وفيما قد ذكرنا إشارات وعبارات لا تصلح للعوام الذين طبعوا على طبائع الأنعام، ولا يعرفون من نعم المنعم غير الطعام والمنام وحسن المعاشرة مع الأنام، بل هذا يصلح لمن له سراج الديمومية ونور الأزلية: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

افهموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى ما ذكرنا لكم من بيان التهيؤ للقصد، وما ينبغي لكم فيه إن أردتم أن تكونوا للوصل أهلا وبالله التوفيق على ما يحب ربنا ويرضى، فإنه الموفق لما يشاء، فإن وفقتم معاشر إخواني على ما ذكرنا في هذه الرسالة المباركة فبخ بخ، وإلا ففي كتاب معالي الهمم لكم كفاية إن عرفتم ما ذكرنا منه من لطائف الإشارات وجواهر مكنون العبارات، فإن وفقتم لولاية الله تعالى ونظرتم فيه بعين التحقيق وفقتم له إن شاء الله تعالى (شعر)

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش ... فتأوي عند رب العالمينا
وألسنة بسر قد تناجي ... بغيب عن كرام كاتبينا
فترعى في رياض القدس طورا ... وتشرب من بحار العارفينا
عباد فضلوا بالسر حتى ... دنو منه وصاروا قاصدينا

تم كتاب القصد إلى الله تعالى تأليف الشيخ العارف بالله تعالى أبو القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره ونور ضريحه.

فرغ من زبره يوم الاثنين لسبع وعشرين في شهر ربيع الأول أحد شهور سنة ست ومائة بعد الألف.

كتاب السر في أنفاس الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

كتاب السر في أنفاس الصوفية[1]

من كلام سلطان الحقيقة وملك الطريقة أبو القاسم الجنيد نوَّر الله ضريحه

باب صفة الأنفاس

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد – رحمة الله عليه –: الحمد لله الذي بذكره نفتتح الكلام وبحمده خاتمه التمام وبتوفيقه السداد وفى طاعته الرشاد وصلى الله على المختار وعلى آله الطيبين الأخيار، إن الله خلق القلوب وجعل داخلها سره وخلق الأنفاس وجعل مخرجها من داخل القلب بين سر وقلب ووضع معرفته في القلب وتوحيده في السر فما من نَفَس تخرج إلا بإشارة التوحيد على دلالة المعرفة في بساط الاضطرار إلى الربوبية، وكل نَفَس خلاف ذا فهو ميت وصاحبه مسئول عنه، وقال: النَّفَس ريح الله سلط على نار الله التي في داخل القلب، وقال النَّفَس هتف النور، وقال: أصل النَّفَس من خمسة من نار ومن نور، أو على نور أو على ظلمة أو من ظلمة أو من نار النور. وقال: ما عَبَدَ اللهَ أحدٌ بمثل ما عبد بالأنفاس وما عصى بمثل ما عصى بالأنفاس، وقال أبو العباس بن عطاء: في نَفَس واحد نجاة العبد وفى نفس واحد يكون كافرا بالله. وقال ابن عطاء: ليس شيء أشد على أولياء الله من حفظ الأنفاس عند الأوقات. وقال الجنيد: النفس الرحمانيه إذا هاج من السر يموت القلب والصدر والنفس، ولا يمر على شيء إلا احترق ذلك الشيء حتى العرش. وقال النوري[2] في النفس الرحمانية

(١) الكتاب مصور عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم تصوف ٢٨٧، ميكروفيلم رقم: ١٩٢٣٩

(٢) أبو الحسين النوري، واسمه أحمد بن محمد، وقيل: محمد بن محمد، وأحمد أصح، بغدادي =

والاضطرار ولا نهاية لأعلاه. وقال ابن عطاء: من كان أول مدخله بالهمة يبلغ إلى الله، ومن كان أول مدخله بالخطرة يبلغ ولكن لا يجد الوصلة إلا من شاء الله، ومن كان أول مدخله بالإرادة يبلغ إلى الآخرة، ومن كان مدخله بالمنية يبلغ إلى الدنيا. وقال ابن عطاء: عيش المحب بالنداء، وعيش المشتاق بالدموع، وعيش العارف بالذكر، وعيش الموحد بالبيان، وعيش صاحب التعظيم بالتنفس، وعيش صاحب الهيبة بالانقطاع عن التنفس وعيشة الحرق والغرق. وقال الجنيد: صاحب التعظيم صاحب الأنفاس والتنفس عنده ذنب ولا يقدر عن الكف عنه، وصاحب الهيبة صاحب حمد وهذا عنده ذنب ولا يقدر أن يتنفس. وقال ذو النون: إن الله جعل الأنفاس راحة لأوليائه ولولا ذلك لماتوا كمدا. وقال الشبلي[1] المحب إذا سكت هلك، والعارف إذا لم يسكت هلك. وقال: أنفطر أحيانا إذا تنفس نفسا لا علم لعلمي فيه فلا أقدر. وقال: إن الله جعل ممرّ الأنفاس على القلوب فلا تمر إلا بعلم فإذا علم ينقطع العذر عن العبد لأنه لم يوجد بنفسه. وقال: يقبل الله من العبد الكل وإن علم منه ما لم يشرك إلا النَّفَس فإنه لا تقبل إلا فرداً لا يعلم سره ولا قلبه ولا هو. وقال الجنيد: ما أحسن التنفس بالندامة وهو أدنى التنفس وهو أكبر من عبادة الكون. وقال النوري: أفضل الأعمال الأنفاس بالتعظيم. وقال: طوبى لمن كان له في عمره ساعة. وقال ابن عطاء: طوبى لمن كان له في عمره نفس واحد. وقال: طوبى لمن كان له في عمره خطرة واحدة وقال ذو النون: لولا الرجاء نصحة لحظة وإلا فما لي والعيش.

صفة الخطرات

وقال الجنيد: اللحظة كلام القلب والخطرة كلام السر والإشارة كلام الخفاء. وقال أيضا: أهل القلوب ابتلوا باللحظات، وأهل السر ابتلوا بالخطرات وأهل الخفاء ابتلوا بالإشارات. وقال: إن لله عباداً يرون ما وراءهم من الأشياء ومن أحوال الدنيا بلحظات قلوبهم وأحوال الآخرة بخطرات سرهم وأحوال ما عند الله

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر، ويقال ابن جعفر، ويقال جعفر بن يونس خرساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد، تاب في مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، توفي رحمه الله سنة ٣٣٤ هـ ودفن في مقبرة الخيزران، انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية، ص: ٣٣٧

بإشارات خفيهم. وقال ابن عطاء: هلاك الأولياء بخطرات السر وهلاك الموحدين بالإشارات الخفية، وقال الشبلي: اللحظة كفر والخطرة شرك والإشارة مكر. وقال الجنيد: تقصير المحبين بلحظة تقع في الأوقات، وذلك فضل الله عليهم كي يزيد في خوفهم واضطرارهم وفقرهم، وتقصير العارفين بخطرات سرهم، وذلك تنبيه من الله لهم لكي لا يأمنوا من مكر الله لأن المكر يظهر في هذا المقام، وتقصير الموحدين بالإشارات الخفية وذلك بشارة من الله لهم لكي يسكنوا به لأن ذلك مقام النفي والنفي هلاك البدن ويزيد بشارتهم قوة. وقال الشبلي: إذا أشار الموحد يكون كما أشار، وإذا خطر الخاطر فيهلك ذاك الشيء، وإذا لاحظ الملاحظ فيقوى ذلك الشيء، لأن اللحظة من ريح الله، والخطرة من نار الله، والإشارة من نور الله. وقال ابن عطاء: اللحظة شيء تصور في قلبه وذاك كما صور، والخطرة شيء يذكر في سره وذاك كما ذكر، والإشارة حكم يجري على لسانه من الاضطرار. وقال النوري: اللحظة نظر القلب إلى شيء، والخطرة سمع بالسر والإشارة الكلام الخفي. وقال الشبلي: اللحظة حرمان والخطرة خذلان والإشارة هجران. وقال الجنيد: اللحظة كفران والخطرة إيمان والإشارة غفران. وقال رويم: اللحظة راحة والخطرة إمارة والإشارة بشارة.

صفة المكر

قال الجنيد: في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] قال: في طريق الله عز وجل ألف قصر في كل قصر ألف قاطع من قطاع الطريق سلطوا على المريد السالك ومع كل واحد موكل غدر ومكر خلاف الآخر، فإذا جاء السالك غدر الموكل معه بشيء يعطي به شيئا ويمنعه عن الطريق ويحجبه عن الله. وقال الجنيد: الرجال خمسة، واحد من الخارج يدخل فيمنعه المانعون ويغدره الشيء ويرجع من الباب إلا أن يكون عاقلا يعرف ذلك ولا ينظر إليه، ورجل من الداخل يخرج فيبقى من الخارج ولا يقدر على الرجوع إذا نظر

إلى شيء دون الله، والثالث (يجيء المسلك)[١] فيه حلة من الخارج بغير منع مانع مع المستور، والرابع يدخل من طريق أصعب وأهول وأشد... [٢] لا يكون فيه المانع ولا الغادر بالتشمر والتجلد على المخاطرة فبلغ، ويغدر على الباب فإن أذن له وإلا صرخ من محبته فيسمع الملك أنينه ويدخله، فإذا دخل في الدار فلابد من القبول، وهؤلاء أهل التصوف الذين طريقهم على المخاطرة فلا يميلون إلى الخلق ولا إلى الدنيا ولا إلى أنفسهم ولا إلى أهلهم، وإن نظروا أو تميلوا منعوا وحجزوا، والخامس من الداخل يظهر ومن الداخل يقبل ومن الداخل يسكن وهو نديم الملك وذاك الحبيب محمد ﷺ، وخلاف ألف المقام ولكل مقام عذر.

وقال الجنيد: الكرامة بداية حجاب ومكر. وقال: من نظر إلى الكرامة فقد كفر بصاحب الكرامة. وقال الشبلي: الكرامة غدر الله مانع عبد الله عن الله، وهذا مكر مُكر به: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقال الصادق: مكر الله لخفي في دبيب النمل على صخرة سوداء في الليلة الظلماء. وقال الجنيدُ: المكر في الصلاة أظهر من غيره. وقال النورى: المعصية لا تخلو من الخذلان والطاعة لا تخلو من المكر. وقال الجنيد: المعرفة مكر الله. وقال: المقامات كلها حجاب ومكر للقرب وللبعيد حجاب. وقال: اخترنا طريق التصوف سلامة من مكر الله. وقال أيضا: إن مذهب الصوفية لا يخلو من المكر وهو فيه أظهر وهم يعلمون لأنهم أكيس الناس. وقال النوري: المكر لا يفهمه إلا صاحب الوصل، والمريد لا يدرى ما المكر لأنه في شوق وضيق. وقال رويم: المكر عد لوانا[٣] وقال الجنيد: الخوف من المكر فرط دائم إلى الأبد، وما آمن من المكر إلا هالك. وقال أيضا: الأمن من المكر للمريد من الكبائر، والآمن من المكر للواصل من الكفر. وقال الشبلي: حكم الله وإرادته وقضاؤه للسالك لطريق الله لا يخلو من خوفين خوف القطع وخوف المكر. وقال النوري: الخوف من الوصل أشد من الخوف من المكر. وقال ابن عطاء: لكل خوف واجد وللمانع خوف

(١) غير واضحة في الأصل.

(٢) غير واضحة في الأصل.

(٣) غير واضحة في الأصل.

ثلاثة: خوف القطع، وخوف المكر، وخوف الوصل. وقال الجنيد: المكر أن يضاف إلى شيء وإلى غيره موجود. وقال: أيضا المكر طلب الشيء والسكون إلى غيره. وقال النوري: المكر أن تضاف إلى خير ومراده الشر. قال أبو علي الروزباري المكر أن يكل العبد إلى نفسه. وقال رويم: المكر دعوة السر عند أهله. وقال الشبلي: المكر نعم الباطن والاستدراج نعم الظاهر والغدر ستر نظر والمعاينة. . .[1] وقال السري: المكر قول بلا عمل، وقال أبو حجي[2] المكر بداية صدق ومراد العبد والسكون به وسعة رزق كل ذي مكر علم من علم الله وجهل من جهل. وقال الشبلي: تحت كل نعمة ثلاثة من المكر وتحت كل طاعة ستة من المكر. وقال النوري: لولا المكر لما طاب عيش الأولياء. وقال: ما طاب عيش الأولياء لولا الوصل. وقال: ما السرور إلا بمكره ولا الفوز إلا بوصله وما النجاة إلا بعنايته وما الهلاك إلا بغدره.

صفة المشاهدة[3]

قال الجنيد: المشاهدة ثلاثة: مشاهدة الرب، ومشاهدة من الرب، ومشاهدة بالموت. وقال: المشاهدة معاينة السر مع فقدانك. وقال: المشاهدة إقامة العبودية بإزاء الربوبية مع فقدان ما دونه. وقال النوري: إذا مزج نار التعظيم مع نور الهيبة بالسر تهيج ريح المحبة من حجب العطف على النار والنور فيهتف من الاشتياق وحرقت الحجب ويلاشى العبودية فصارت مشاهدة. وقال: إذا أوقد نار العطف والرحمة يهيج ريح القدرة على النار فيهتف الهاتف من الفضل بالفضل على الفضل فأخذ الأطراف أنينا فيفنى من أنينه القلب والسر فنادى من الخفي نداء الألفة فصارت معاينة. وقال: إذا ذكرت بالسر الربوبية وتذكر بالقلب العبودية فيضم العبودية بالوفاء فلم

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٣) المشاهدة ثمرة المجاهدة ومن لا مجاهدة له فلا مشاهدة له، وهي من أسرار الصوفية، فهي وقف على من يعانيها ويجربها. انظر: التصوف الثورة الروحية في الإسلام للدكتور أبو العلا عفيفي، ص: ٢٨٦، وما بعدها

يألف فتصير الربوبية بالعطف فيألف فصار مضطرا من طريق النفي وجلاً من طريق المجازاة وفقيرا من طريق البقاء فيظهر عند الخفيات من الربوبية تسمى المكاشفة. وقال: المشاهدة حظ الملك صرفا. وقال: لو كان عرقا قائما بذات العبد لم يستحق المشاهدة. وقال ابن عطاء: إن العبد قائم بين صفات الربّ وبين الرب فإذا نظر إلى الصفات ظهرت العبودية وقوم نفسه فبان من العبد الغدرة والغدرة هلاك العبد وإن نظر إلى الله ظهرت الربوبية وغلبت فصارت العبودية مقهورة تحت الربوبية والعبد عبد الرب فإذا نظر العبد فلا يرى إلا الله من قبل ومن بعد ومن فوق ومن تحت فهذه تسمى مشاهدة، فإذا نظر إلى الربوبية فلا تكون مشاهدة فكيف العبودية. وقال أبو علي الروزباري: الطريق بين الصفة والموصوف فمن نظر إلى الصفة حجب ومن نظر إلى الموصوف ظفر. وقال الجنيد: من لم يعاين صفات الله أجمع دقائقه ولطائفه لم يوحد الله ولم يعرفه فالطريق من داخل المعرفة. وقال النوري: الفرار بالصفة حرمان المريد. وقال الشبلي: المشاهدة معاينة الموصوف بعد معاينة للصفات عند نفي العبودية. وقال: إذا عاين صفات الرب عند الرب فهي المكاشفة وإذا عاين الرب بالحق تلاشى السر والقلب والعبد فهو المشاهدة. وقال: إذا ظهر العبد عند العبد فهو العبودية وإذا ظهرت صفات الرب عند العبد تسمى الربوبية وإذا ظهر الرب تلاشى العبد فبقي الرب بالربوبية فهو المشاهدة. وقال الشبلي: إن لله تسعة وتسعين اسما فمن عامل الله بأسمائه ولم يظن به فأرجو أنه يجد ما يطلب لأن المريد من داخل الأسماء مع الأسماء. وقال الجنيد: إن لله تسعة وتسعين اسما فمن أقر بها فهو المسلم ومن عرفها فهو المؤمن ومن عامل الله بها فهو العرف ومن عامل بها ولم يسكن إليها وطلب المسمى فهو الموحد وله المشاهدة. وقال ابن عطاء: رأيت الغد الذي عرفته اليوم فمن عرف الصفة فيعمى ومن عرف الموصوف فيرى. وقال الشبلي: رأيت الغد الذي رأيته اليوم ومن لا مشاهدة له بالسر فلا رؤية له. وقال: رأيت الغد بعين الوجه مع التحير الذي رأيته اليوم بعين السر مع الحيرة. وقال النوري: حرم الله الرؤية بعين الرؤية[1]

(١) مسألة الرؤية من المسائل التي شغلت دائرة علم الكلام والتصوف، والصوفية بشكل خاص لهم رأي في مسألة رؤية الله، حسبنا أن نشير إلى ما قاله الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف: وهو لا يدع فيه مزيدا لمستزيد، حيث يقول: "أجمعوا على أن الله تعالى يرى بالأبصار في الآخرة، وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين، لأن ذلك كرامة من الله تعالى لقوله "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" =

وقال الروزباري: لو زال عنا رؤيته ماعبدناه. وقال أبو يزيد: إن لله عبادا لو حجبوا عن الله في الدنيا والآخرة طرفة عين لارتدوا. وقال الجنيد: من كان أبعد فرؤيته أخفى عدا رؤية الوجه لأنه لا حجاب بين العبد وبين السيد واليوم رؤية السر لأن الحجاب قائم، ورأى محمد ﷺ بفؤاده لأن الحجب كانت هناك حجابين. وقال ذو النون: راحتي حين افتح بصد السر إلى ذاته وقال إن الله ليس بمحجوب عن الخلق ولكن رأى من نظر وسئل أبو يزيد هل رأيت ربك فقال: لو حجبت عنه لحظة لمت. وسئل علي بن أبي طالب ﷺ تعبد من ترى أو لا من ترى؟ فقال: أعبد من أرى لا رؤية عين ولكن رؤية القلب بمشاهدة الإيمان. وسئل الجنيد: هل عاينت أو شاهدت؟ قال: لو عاينت لتزندقت ولو شاهدت لتحيرت ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة.

صفة العلم

قال الجنيد: العلم أن تدرك قدرك بذاته وقال من عرف قدر نفسه هانت عليه العبودية. وقال ابن عطاء: العلم أربعة علم المعرفة وعلم العبادة وعلم العبودية وعلم الخدمة. وقال النوري: العلم علمان داعي ومدعي. وقال الشبلي: العلم واحد أن تعلم نفسك بذاتها. وقال الروزبادي: العلم سمة العبد والجهل سمة العدو. وقال سهل: العلم ثلاثة بالله وبأمر الله وبأيام الله. وقال ذو النون: العلم علمان مطلوب وموجود. وقال أبو يزيد: العلم علم برهان وعلم بيان. وقال الصادق: العلم ثلاثة مع الله وبالله ولله. قال رويم: العلم مصنوع ومطبوع. وقال الجنيد: إن الله أراد من العباد علمين معرفة علم العبودية ومعرفة علم الربوبية وما سواهما هو حظ أنفسهم. قال ابن عطاء: من علم أوقاته فاز ومن جهل أوقاته

= سورة يونس ١٠، ٢٧. وجوزوا الرؤية بالعقل وأوجبوها بالسمع، وإنما جاز في العقل لأنه موجود، وكل موجود فجائز رؤيته إذا وضع الله تعالى فينا الرؤية له، ولو لم تكن الرؤية جائزة عليه لكان سؤال موسى عليه السلام ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف، ١٤٣ جهلا وكفرا، ولما علق الله الرؤية بشريطة استقرار الجبل بقوله: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾، وكان ممكنا في العقل استقراره لو أقره الله وجب أن تكون الرؤية المعلقة به جائزة في العقل ممكنة، فإذا ثبت جوازه في العقل ثم جاء السمع بوجوبه بقوله:

حار ومن علم آياته تملك ومن جهلها ترك. قال الجنيد: العلم الأكبر علم القيام بالدوام وعلم الحال بغير احتيال. وقال الشبلي: من علم شأنه عاد به أمر به. وقال ذو النون: من لم يعلم أيامه فإذا يومه. وقال النوري: من علم عند المعرفة فقد أشرك ومن عرف المشاهدة فقد كفر. وقال: من أجاب دعوة العلم ولم يجب دعوة المعرفة فقد حجب. وقال الشبلي: الدعوة ثلاثة دعوة العلم ودعوة المعرفة ودعوة المعاينة. وقال: الدعوة عند الدعوة كفر. وقال الجنيد: العلم شيء بمحيط والمعرفة شيء بمحيط فأين الله وأين العبودية؟ وقال الشبلي: من اشتغل بالدعوى اضطرب عليه المعنى وقال أبو يزيد: العلم عذر والمعرفة مكر والمشاهدة حجاب فمتى تجد ما تطلب. قال رويم: المقامات كلها علم والعلم حجاب. وقال الشبلي: العلم خبر والخبر جحود. وقال أبو علي الروزباري: أفكار العبد يظهر عنده علمه. وقال الجنيد: العلم والمعرفة لازم على العبد وهما ليسا من صفات العبد فإذا عرف وعلم فانظر كيف كان. وقال أيضا أولا العلم ثم المعرفة ثم العلم بالمعرفة ثم المعرفة بالعلم ثم الجحود بالمعرفة ثم الإنكار بالجحود ثم الإقرار بالإنكار ثم العلم بالإقرار ثم المعرفة بالعلم ثم الإنكار بالمعرفة ثم الجحود بالإنكار ثم الأوقات بالإنكار ثم المعرفة بالإنكار ثم الجحود بالإنكار ثم التقى ثم الغرق ثم الهلاك فإذا دفعت النظر فكل ذي حجاب. وقال الجنيد: الإثبات مكر والعلم بالإثبات مكر والحركات غدر والعلم بالحركات والموجود من داخل المكر غدر. وقال الشبلي: العلم جحود والمعرفة إنكار والتوحيد إلحاد. وقال النوري الخبر علم والإنكار إلحاد والمشاهدة كفر ولا يكفر التوحيد كفر. وقال ابن عطاء: العلم علم جهل والمعرفة معرفة الإنكار والمشاهدة مشاهدة جحود. وقال ذو النون: في طريق المعرفة ألف علم وعند كل علم جهل وألف معرفة وعند كل معرفة إنكار. قال أبو يزيد: يقولون ألف والطريق واحد إلى الله الذي يصل إليه فإذا نظرت وصلت. وقال: كل لا تجاوز من مكره ومكره من مكرهم.

صفة الوجد

قال الجنيد: الوجد هلاك الوجد. قال النوري: الوجد فقد الوجد بالموجود. قال ابن عطاء: الوجد وجد ما حجب فإذا كشف يذهب. وقال الجنيد: وجودي إن غيب عن الوجود لما يبدو على من الشهود. وقال الوجد لي فخر ولكن فخرت بفخر موجود الوجود. وقال ابن عطاء:

كتمت الذي ألقى من الوجد في الحشا ... وقد كنت في كتمان ذاك مصيب
فوجدي به وجد يوجد وجود ... الوجد وجود الواجدين لهيب
لئن مت حقا في محبة سيدي ... فإن المنايا في الوداد تطيب

قال الجنيد: الوجد انقطاع الأوصاف عند سمات الذات بالسرور. وقال ابن عطاء: الوجد انقطاع الأوصاف عند سمة الذات بالحزن. وقال الجنيد: الوجد يحيي الكل والمشاهدة تميت الكل والوجد أفضل. وقال ابن عطاء: المشاهدة أفضل. وقال النوري: الإخبار بالوجد فقد الوجد. وقال: المشاهدة الغرق والوجد الهلاك. وقال ابن عطاء: متى ما ذكرت فالوجد منك بعيد. وقال ذو النون: الوجد بالموجود قائم والموجود بالواجد قائم. وقال: إظهار المعنى هو الوجد ونفي السرور هو الموجود وإقامة القلب هو الواجد، وقال أبو يزيد: ذكر وجودي بوجوده توحيدي. وقال الشبلي: غاية التوحيد وجد والإنكار بالوجد عند أوقات الذات. وقال النوري: غاية التوحيد إنكار التوحيد إذا ظهر العبد عند وجد اللطيف بإثبات السر بجهل العبودية بلغت.

صفة المحب لحبيبه

قال الجنيد: محبة المحب كحب الحبيب. وقال: المحبة نهاية المحبة عند هيجان الربوبية. قال الثوري: المحبة المحاضرة. قال أبو علي الروزباري: المحبة الموافقة. قال ابن عطاء: المحبة الغيرة عند ذكره بعد صدقه لغيرته. قال الشبلي: المحبة الفراغة للحبيب وترك الأعراض عند القريب. وقال رويم: المحبة الوفاء مع الوجد والحرمة مع طلب

الوصل. وقال ذو النون: المحبة خوف ترك الحرمة مع إقامة الحرمة. قال أبو يزيد: المحبة استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه. قال سهل: المحبة متابعة الطاعة ومخالفة المعصية. قال جعفر الصادق: المحبة على وجهين محبة بعلاقة ومحبة بغير علاقة. وقال الجنيد: إن المحب إذا ذكر حبيبه حرم محبته. قال الشبلي: المحبة لله وحده. وقال: حرم الله المحبة على صاحب العلاقة. قال النوري: إذا أحببت في سبب فحبك السبب لا المسبب. وقال: المحبة محبة المحبة والإنكار من المحبة. وقال ابن عطاء: المراد بلغ صفاء المحبة غمسه في غير الذوق فأذاق منه المحبة مائتي وستين عرقا كل عرق محبة وهذا خلاف الآخر وإن المحبة تتقلب في كل يوم وليلة على مائتي وستين حالا. وقال: المحب إذا ادعى الملك خرج من المحبة. وقال ذو النون: إني أريد أن أحبه من قلبي فعجزت إلا محبة غرضية فأحبه محبة الحبيب الذي هو غرضه. وقال ذو النون: المحب على ثلاثة أوجه محبة الاكتساب ومحبة بر وعطاء ومحبة المحب ذاته. وقال أبو يزيد: الطريق لا تخلو من المحبة وذلك ممزوج فإذا شرب صرفا صار شهي. وقال: لا ينام المحب إلا من سروره، ولا يأكل إلا من حزنه، ولا يتكلم إلا منه. وقال: حرم الله المحبة إلا على الوافي بعهده. وقال الشبلي: صراط أولياء الله محبة الله المحبة لله. وقال: المحبة الكاملة أن تحبه من قلبه. وقال: من أحب الله قبل الله فهو مشرك. وقال: المحبة على أربعة أوجه محب البر وهو بعيد من المحبة والبر ومحب المحبة وهو قريب ووجد ووصل ومحبة الصفات وهو هالك إذا رضي به ومحب هو وذات فهو بالمحبة محب. وقال أبو علي الروزبادي: ما لم تخرج من كليتك لم تدخل في حد المحبة. قال الجنيد: تحريك المحبة كله أمره. وقال النوري: إن الأمر والنهي والسنة والأدب والحركات والخطرات واللحظات والإشارات صار الأمر كله لمحب أمر المحب. وقال النوري: لو كان نفس يخرج بغير أمر حبيبه خرج من المحبة وسلب صفة بره. وقال ابن عطاء: مقام المحبة مقام العتاب. وقال المحبة محبة الأولياء. وقال أبو يزيد: المحبة معيار الله يظهر فيه القريب من البعيد. قال ذو النون: من أحبه لسبب فهو على راحة ومن أحبه لغير سبب فهو المبتلى الممتحن. قال الجنيد: المحبة أمانة الله ولكن المحبة الدائمة لا الفرعية. وقال النوري: التوحيد هو المحبة فعلى قدر التوحيد تكون المحبة. قال ابن عطاء: من ادعى المحبة واشتغل بغير المحبة والحبيب فقد استهان على الله عز وجل.

صفة الغيرة

قال الجنيد: الغيرة لا توجد إلا في ثلاثة أوقات عند الذكر والغفلة وعند المحبة إذا رأى صاحبه مع علاقة وعند التعظيم. قال ابن عطاء: الغيرة فرض على أولياء الله. قال: ما أحسن الغيرة عند المحبة وعند المنادمة. قال الشبلي: لولا محمد ﷺ وإلا فما أذنت ونهيت عنه ولكن الأمر شديد. وقال عند الفراغ من الأذان: اللهم إنك أمرتني أن أذكر معك نبيك وإلا فما ذكرته. قال: وأذن يوما فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه فقال: أنت فرضت علي أن أذكر نبيك معك وإلا فما ذكرته. وقال الشبلي: ست وأي ست أنا صاحب غيرة وأبو العباس بن عطاء صاحب الغيرة والنوري صاحب وفاء والجنيد صاحب حرمة وأبو علي صاحب حفاظة ورويم صاحب أدب والمشقة. وقال سري السقطي: لولا أنك أمرتني أن أذكرك باللسان وإلا فما ذكرت. وقال أبو يزيد: ما ذكرت الله منذ عشرين سنة غيرة على نفسي من قتل الله تعالى لها. قال النوري: إذا خرج من المحبة يعطى له مقام الغيرة فيكون حاله عند المعصية أطيب من عند الذكر. قال ابن عطاء لو كان لصاحب الغيرة حالا صحيحا فقتله، فكان قتله أفضل من إحيائه. وقال الشبلي: يخطر على أوقات أخاف أن أقتل نفسي. وقال: طرحت نفسي مائه مرة على ماء نهر فلم يقتلني، وطرحت نفسي على النار خمسين مرة فلم تقتلني وذبحت بيدي عشرين مرة فما مت فعلمت أن لا فلاح إلا بك. وقال: الغيرة الصحيحة أن لا يكون في وقته مراد شيء. وقال النوري: الغيرة معصية، وكل من قطعه نور صار أفضل الحيرة.

صفة الحقيقة

قال الجنيد: حقيقة العبد ترك الاشتغال، والاشتغال بالشغل هو أصل الفراغة. قال النوري: الحقيقة جمع الهمة مع المراد. وقال ابن عطاء: الحقيقة اسم العبد. وقال الجنيد: قوله عز وجل "عباد" حقيقة، وقوله "عبادي" حقيقة الحقيقة. قال النوري: سمة العبد هو التصديق وغير المطالعة هو الحقيقة. قال ابن عطاء:

لكل حق حقيقة ولكل حقيقة حق[1] ولكل حقيقة حق. وقال الشبلي: الحقيقة مع جمع الكل بالواحد فردا. وقال: الباطن عند الظاهر حقيقة والسر عند الباطن حق والذكر بالدوام حقيقة بحق ومشاهدة السر حق الحقيقة. وقال: الهمة حقيقة والإرادة قوله وإن لكل حق حقيقة أي لكل إرادة همة.

صفة الهمة والإرادة

قال الجنيد: الهمة إشارة الله والإرادة إشارة الملك والخطرة إشارة المعرفة والنية إشارة الشيطان والشهوة إشارة النفس واللهو إشارة الكفر. وقال: ما عاتب الله صاحب همة وإن عصاه. قال النوري: حرم الله النار على أهل الهمة وحرم الزيادة على أهل الإرادة. وقال ابن عطاء: الهمة لا يزيلها عوارض والإرادة يزيلها العوارض. وقال: عوارض الإرادة المنية وعوارض الهمة الحقيقة. قال الشبلي: صاحب الهمة لا يشتغل بشيء وصاحب إرادة يشتغل. وقال: الهمة لله وما دونه ليس بهمة، الحفاظ مع الوفاء والإرادة عبادة مع الجفاء والمنية تحريك بالحطاء[2] قال النوري الهمة نية السر إلى شيء والإرادة معه نية القلب إلى شيء. قال ابن عطاء: الهمة لا تنزل من العرش والإرادة تنزل من الآخرة والمنية لا تخرج من الدنيا. قال رويم: الهمة لا تسكن بالمحبة والإرادة تسكن بالمحبة والمنية صاحب السعة. وقال الجنيد: من له همة فهو في ديوان البالغين ومن له إرادة فهو في ديوان المريدين ومن له منية فهو في ديوان العاصين شاء أو أبى. قال النوري: معصية الهمة طاعة وطاعة المنية معصية. وقال ابن عطاء: حاصل الهمة أن لا تبطله عوارض. وقال الشبلي: الهمة لا تكون في الدنيا. وقال جنيد: الهمة تسري لأوليائه كما أن الوحي يسرى لأنبيائه. وقال أيضا: من له همة فيبقى ومن له إرادة فيعمى. قال ذو النون: صاحب الهمة وإن كان أعوج فهو مسلم وصاحب إرادة وإن كان صحيحا فهو منافق. قال أبو يزيد: كفر أهل الهمة إسلام من أسلم من

---

(١) مكررة في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

أهل المنية، قال سهل بن عبد الله: الهمة على زيادة فإذا تم بلغ أو قطع. وقال أبو علي الروزباري: أبى الله إلا حب أهل الهمة فلذلك أحبهم. قال محمد بن حامد: الهمة لم يجد أحد إتمامه إلا أهل الصحبة. قال الجوزجاني: الهمة تغلى في القلب من المعرفة كغليان القدر من النار وذاك إذا صحت المعرفة سمى وجدا. قال جنيد: الهمة لسان السر ومن ليس له نطق السر ويعجز عن الظاهر لأنه كلام للسر مع الرب من الربوبية فكيف يدخل فيه التحريك فيه كفر.

آخر كتاب السر.

وقال أبو الحسن: الأنفاس ثلاثة وما سواه معلوم نفس في المعدوم ونفس في الموجود ونفس في ذات الحدث. وقال: الأنفاس ثلاثة نفس في عين التوحيد ونفس في عين التجريد ونفس في عين التفريد فعين التوحيد ذات الحق وعين التجريد ذات المشاهدة. وقال: الأنفاس ثلاثة نفس بالإرادة ونفس بالمحبة ونفس بالتمني، فنفس الإرادة مجذوب عن الصفة ونفس المحبة موصول بالمباشرة في عين القدم ونفس التمني ممزوج بالطرد والخذلان.

هذا آخر ما وجدت في النسخة حسبما ذكر في النسخة المنتسخ منها، ولله الحمد والشكر والمنة، والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ.

كتاب دواء الأرواح

لسيد الطائفة أبى القاسم بن محمد الجنيد
رضي الله عنه وأرضاه ونفع الله به آمين

كتاب دواء الأرواح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه الإعانة

الحمد لله الذي أبان بواضح البرهان لأهل المعرفة والإيمان بما أخصهم به في قديم القدم قبل كون القبل حين لا حين ولا حيث ولا كيف ولا أين أن جعلهم أهلاً لتوحيده وإفراد تجريده والذابين عن ادعاء[2] إدراك تحديده مصطنعين لنفسه والمصنوع[3] على عينه الملقي[4] عليه محبة منه (له)[5] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[6] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[7] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[8] وأخذ أوصاف من صنعه لنفسه والمصنوع على عينه والملقي عليه محبة منه له أن (لا)[9] يستقر له قدم علم على مكان ولا موافقة عقل على استقرار فهم ولا مناظرة عزم على تنفيذهم وهم الذين جرت بهم المعرفة بحيث[10] جرى بهم العلم إلى لا نهاية غاية خنست العقول وبارت الأذهان وانحصرت المعارف وانقرضت الدهور وتاهت الحيرة في الحيرة عند نعت أول قدم نقلت الموافقة وصف محل لمحة مما[11] جرت عليهم به

---

(١) المخطوط له نسختان: الأولى في دار الكتب برقم ٣ مجاميع، ميكروفيلم رقم: ٤٩٩٥، وسوف نعتبرها الأصل، ونرمز لها بالرمز (د)، والثانية في معهد المخطوطات العربية، ضمن رسائل في التوحيد والتصوف، برقم ١٣٥ تصوف، وسوف نرمز لها في المقابلة بالرمز (خ).

(٢) في (د) إذا.

(٣) في (خ): مصنوعين.

(٤) في (خ): وألقى.

(٥) ليست في (د).

(٦) طه: من الآية ٤١.

(٧) طه: من الآية ٣٩.

(٨) طه: من الآية ٣٩.

(٩) ليست في (د).

(١٠) في (خ): حيث.

(١١) في (د): فما.

العلوم التي جعلها لهم به[1] هيهات ذاك[2] له ماله به عنده فأين تذهبون أما سمعت علم طيه لما أبداه وكشفه لما واراه واختصاصه لسر الوحي لمن اصطفاه، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[3] في الأفق[4] الأعلى، شهد له أنه عبده وحده لم يجر عليه استعباد الغير[5] بخَفي ميل همة ولا إلمام شهوة ولا محادثة نظرة ولا معارَضة خطرة ولا سبق حق بلفَظة ولا سبق أهل الحق بنطقه ولا رؤية حظ بلمحة أوحى الله[6] إليه حينئذ ما أوحى وهو بالأفق الأعلى ضاقت الأماكن وخنست المصنوعات عن أن يجرى فيها أو عليها وحي ما أوتي إلا[7] بالأفق الأعلى إذ يغشى السدرة ما يغشى نظر من جلال نظرة من غير منظور إلى السدرة حيث غشاها ما غشى فتفتت لما غشاها وانظر إلى الجبل حيث تجلى له جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك أن[8] أعود لمسألتك الرؤية بعد هذا المقام إلى إكباره[9] وما فرط من سؤاله وإلى[10] أن العلم لو صادف حقيقتها في[11] وقت المسألة لم يكن القول سابقا يليق به وفي هذا المكان علم ليس حقه الرسم ولا يليق به الكتم[12] وانظر إلى إخباره في حبيبه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[13] العند هاهنا لا يقتضي مكان إنما يقتضي وقت كشف علم الوقت فانظر إلى فضل الوقتين ومختلف المكانين

---

(١) في (د): لهم به له.
(٢) في (د): بذلك.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ١١، ١٢.
(٤) في (خ): بالأفق.
(٥) في (خ): الغيرة.
(٦) غير موجودة في (خ).
(٧) ليست في (د).
(٨) في (د): إني.
(٩) في (د): إكثاره.
(١٠) غير موجودة في (د).
(١١) غير موجودة في (د).
(١٢) في (خ): الكتب.
(١٣) النجم، الآيتان: ١٣، ١٤.

وفرق ما بين المنزلتين في العلو والدنو، ولذلك[1] فضلت عقول[2] المؤمنين من العارفين فمنها ما يطيق خطاب المناجاة مع علم قرب من ناجاه وأدناه فلا يستره في الدنو علم الدنو ولا في العلو علم العلو ومنها ما لا يطيق ذلك فيجعل الأسباب هي المؤدية إليه[3] وبها يستدرك فهم الخطاب فيكون منه الجواب ولا تقف عند قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[4] وهذه أماكن يضيق بسط العلم فيها إلا عند المفاوضة لأهل المحاورة في الاشتغال بعلم مالك الطرقات المؤدية إلى علوم أهل الخالصة الذين خلوا من خلواتهم وبرأوا[5] من إراداتهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعصفت بهم رياح الفطنة فأوردتهم على بحار الحكمة فاستنبطوا صفو ماء الحياة لا يحذرون غائلة[6] ولا يتوقعون نازلة ولا يسرعون[7] إلى طلب بلوغ غاية بل الغايات لهم بدايات.

هم الذين ظهروا في باطن الخلق وبطنوا في ظواهرهم[8] أمناء على وحيه حافظون لسره نافذون لأمره قائلون لحقه[9] عاملون بطاعته[10] ومسارعون في الخيرات وهم لها سابقون جرت معاملتهم في مبادئ أمورهم بحسن الأدب فيما الزمهم القيام به من حقوقهم.

لم يبق[11] عندهم نصيحة إلا بذلوها، و لا قربة إلا وطئوها[12] سمحت

(١) في (د): وكذلك.
(٢) ليست في (د).
(٣) في (خ): إلى الفهم.
(٤) الشورى: ٥١.
(٥) في (د): وتبرؤا.
(٦) ليست في (د).
(٧) في (خ) يشرهون.
(٨) في (خ): ظاهره.
(٩) في (خ): بحقه.
(١٠) ليست في (د).
(١١) في (خ): تبق.
(١٢) في (خ): وصلوها.

نفوسهم ببذل المهج عند أول حق من حقوقه في طلب الوسيلة إليه، وبادرت غير مبقية ولا مستبقية، بل نظرت إلى الذي عليها في حين بذلها أكثر مما له[1] بذلت لوائح الحق إليها مشيرة وعلوم الحق لديها عزيزة لا توقفهم لائمة عند نازلة ولا تثبطهم رهبة عند قادحة ولا تبعثهم[2] رغبة عند أخذ[3] هبة حافظون بما استحفظوا من كتاب الله عز وجل وكانوا عليه شهدا أن عرج لهم[4] اللجأ عند القيام (بواجب إلى)[5] طلب الاستعانة لإتمام ما قد رأوه ولم تبخسهم المناصحة الإصغاء إلى محادثتهم ما يثبت منهم بقية حياة موجودة إشفاقًا من دخول الوهم مع وجود العلم بواجب الحقوق إلى حقوقها ترك التوقف عند استقبال التأدية[6] في حين الأمر بالسعي ليكون الفعل عقيبا للأمر بلا فصل محدود يعلم في غير صفة الأمر به، وهذه صفات أهل الموالاة من أهل المصافاة الدائم نظرهم إلى ما يجرى بهم القول مما ألزم حق العبودية في الرهبانية التي[7] وقع الذم لمن التزم بها ولم يقم بواجب حقها بترك رعايتها فسبقت نفوس العاملين إلى ما لهم بعلمهم[8] فاحتجبوا برؤية ما لهم بعلمهم عما لهم بعلم علمهم عما لهم فالإنعام[9] عليهم يكشف علم علمهم فتكاثفت الحجب بالحجب[10] فأقاموا تحت التغطية وبعد الخروج من هذه الأماكن تبدو علوم كشف التغطية: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[11] وقف على حدود الأشياء بكشف الآثار بها لها وما ألبسها من نور الصنعة وزهرة الإرادة بنفاذ القدرة على جمعها وتفريقها ومجاريها

---

(١) في (خ): لها بما.
(٢) في (خ): توقفهم.
(٣) في (د): إحدى.
(٤) في (خ): بهم.
(٥) ليست في: (د).
(٦) في (خ): المبادرة.
(٧) في (خ): الذي.
(٨) في (خ): بعملهم.
(٩) في (خ): بالإنعام.
(١٠) ليست في (د).
(١١) ق: ٢٢.

وتحقيقهـا: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1]، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[2]. تمت بعون الله تعالى، وصلى الله على محمد النبي المكرم المطهر المفضل المرحوم وعلى آله وصحبته وعترته الأطهرين الطيبين الأخيار النجباء الأبرار والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل)[3].

(١) البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٢) البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٣) ما بين القوسين لا يوجد في (د).

أدب المفتقر إلى الله

أدب المفتقر إلى الله[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وسئل الشيخ أبو القاسم رحمه الله عن أدب المفتقر إلى الله عز وجل، فقال: أن ترضى عن الله عز وجل في جميع الحالات ولا تسأل أحدا سوى الله تعالى. وسئل عن خاطر الخير هل هو شيء واحد أو أكثر؟ فقال: قد يقع الخاطر الداعي للطاعة على ثلاثة أوجه: خاطر شيطاني باعثه وسوسة للشيطان، وخاطر نفساني باعثه الشهوة وطلب الراحة، وخاطر رباني وباعثه التوفيق، وتشتبه هذه الخواطر في الدعاء إلى الطاعة ولا بد من تمييزها لإعمال الصواب منها لقوله عليه السلام: "من فتح له باب من الخير فلينتهز"[2] ولا بد من رد الآخرين، أما الشيطاني فبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3] والشهواني الذي هو خاطر النفس بقوله ﷺ: "حفت النار بالشهوات"[4] ولكل واحد من هذه الخواطر علامة يتميز بها عن صاحبه. أما الخاطر النفساني فباعثه الشهوة وطلب الراحة. والشهوة تنقسم إلى نفسانية لمحبة العلو والجاه والتشفي عند الغيظ وإصغار المعاند وأمثال ذلك. وإلى جسمانية كالطعام والشراب والنكاح واللباس والتنزه وأمثال ذلك. وللنفس احتياج إلى هذه الملاذ بحسب بعدها عن كل واحد منها وشدة توقانها إلى كل جنس منها، فلخاطر النفس منها علامتان قائمتان مقام شاهدي عدل على تميز الخاطر المختص به أحدهما حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى بعض هذه الأشياء المشتهيات مثل حضور التزويج عند شدة

---

(١) يوجد المخطوط في معهد المخطوطات العربية برقم ١٣٤ توحيد.

(٢) أورده القرطبي بصيغة التضعيف في تفسير الآية ١١٤ من سورة النساء، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم ٤٣١٣٤، وعزاه إلى ابن المبارك عن حكيم بن عمير مرسلا، وابن شاهين عن عبد الله بن أبان بن عثمان بن خليفة بن أوس عن أبيه عن جده عن حذيفة.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٤) رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم والترمذي عن أنس صحيح مسلم عن أبي هريرة أحمد في مسنده في الزهد عن ابن مسعود موقوفا.

حاجتها إلى النكاح وتلبيسها ذلك عليه بأن قصدها إعمال قوله ﷺ: "تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"(١) وتجنب قوله ﷺ: "لا رهبانية في الإسلام"(٢) ومثله في الطعام عند شدة حاجتها إليه فربما لبست عليك هذا، بدعائك إلى ترك الصيام أو تناول بعض المشتهيات بأن تقول لك(٣) في سرد الصيام إضعاف النفس عن الأمر المحتاج إليه في الطاعات وإن في ترك تناول هذا الطعام المشتهى ما كسر قلب المسلم إذا دعي إليه الصديق أو قلب العيال إذا كان ما جلبته أنت لعيالك. ربما خدعتك بلون آخر بأن تقول لك اكسر من هذه الشهوة وبتناولها هذه الكرة لئلا يلح عليك هذا الخاطر فيشوش عليك عبادتك وأمثال ذلك في سائر المشتهيات. كل هذا من تلبيسها وتدليسها ومثله عندما تكدها بالعبادة وتلزمها على الكراهية الطاعة فتختار لك نهي النبي ﷺ عن التبتل وعن أتعاب النفس مثل قوله عليه السلام: "اكلفوا من العمل ما تطيقون"(٤) ومثل قوله عليه السلام: "إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"(٥) بل ربما دعتك عند إكثارك إتعابها ومنعها شهوتها إلى ما فيه إهلاكها رأسا أو منعها من تصرفاتها، فتحملك إلى ما يؤدى إلى القتل أو السجن وأمثال ذلك لما يتخيل في هاتين الحالتين من الراحة وزوال التعب عنها، فأحد الشاهدين في هذا الباب أن يكون قد تقدم لها الكد والإتعاب عند طلبها للراحة وتقدم لها الحاجة إلى الشيء المشتهى عند باعث الشهوة فيعتبرها بهذين الحالين. فإن كان قد تقدم أحد هاتين الحالتين علمت أن الخاطر من النفس وحاجتها إلى ذلك هو

---

(١) جاء في كشف الخفاء للعجلوني: رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا بلفظ تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، قال في المقاصد جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا، تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة. ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الأوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهي عن التبتل نهيا شديدا، ويقول تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة. وصححه ابن حبان والحاكم، ولابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: انكحوا فإني مكاثر بكم.

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم ٣١٥٤، وقال: قال ابن حجر لمَ أره بهذا اللفظ لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند البيهقي أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة.

(٣) في ط: إن.

(٤) أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم ١٤٣٩، ولفظه "اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قلّ"، وعزاه إلى أحمد وأبو داود النسائي عن عائشة.

(٥) أورده العجلوني في كشف الخفار برقم ٧٩٤، ولفظه "إن المُنبَتّ لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع" وقال: رواه البزار عن جابر بلفظ: إن هذا الدين متين، فأوْغِل فيه برفق، فإن المُنبَتّ لا ظهرا

الذي حركها إلى الدعاء إليه ومجموع ذلك أن يكون الخاطر شهوانيا أو لطلب الراحة فالغالب على هذا الخاطر أنه من النفس. والشاهد الثاني إلحاح بهذا الخاطر وعدم انقطاعه حتى يأتي مواليا كلما جاهدت في دفعه عن نفسك ألح عليك ولج، ولا ينفع فيه الاستعاذة ولا التخويف ولا التحذير ولا الترغيب بل هو ملم دائم الإلحاح فهذا من أكبر الدلائل على أنه من النفس إذ هي كالصبي متى منع من الشيء ازداد إلحاحا في طلبه فهاتان الحالتان شاهدا عدل متى اجتمعتا لا تشك في أن الخاطر من النفس. ومداواتها عند هذه القضية المخالفة المحققة والإتعاب الشديدة فتمنعها الراحة عندما يكون الباعث للخطر كثرة الكد والإتعاب بالعبادة. إذ بوصف وصفة أثقل ليكون ذلك أقمع لها من التحريك لمثل هذا الخاطر، وإن كان شهوانيا جعل دواءه الحرمان للشيء الذي طلبته أو تمنع من مشتهى آخر لها ليكون ذلك أمنع لها، وأما الخاطر الشيطاني فله أيضا علامتان أحدهما تنبيهه ببعض ما تحتاج النفس إليه لداعي الشهوة أو داعي الراحة في الأوقات المألوفات[1] تحصيل للنفس مطلوباتها فيه[2] والفرق بينه وبين النفساني في هذا الباب أن النفساني يلج ولا يذهب وهذا يذهب تارة ويكر تارة، فكلما لهى الإنسان عنه غلبه[3] سبب فتور النفس ألح عليها بالتذكير بالشهوة، وتكون حركة النفس عند هذا التذكير أكثر من الخاطر النفساني إذ الخاطر النفساني إنما خطر لشدة الحاجة، والثاني أن هذا الخاطر الشيطاني يبتدئ ويطرأ على عقله، والخاطر النفساني متصل بمتحرك للطبع نحو الشهوة والراحة وذلك أن وسوسة الشيطان إنما هي تجرى مجرى مخاطبة الإنسان للإنسان غير أن الفرق بين هذا وذاك ألا يراه والإنسان يحرك قلبك من جهة حاسة الأذن عند الخطاب أو التصويت والبصر عند الإشارة والحس عند الغمز، والشيطان يحرك ذلك من الوسوسة وغمز القلب والحضور[4] فيه وهو لا يعلم المغيب وإنما يأتي إلى النفس من جهة الأخلاق التي ألف انفعالها له، فهذا الفرق بين النفساني والشيطاني. وأما الخاطر الرباني فإنه يستدل عليه بشاهدين أيضا: أحدهما وهو المقدم موافقة الشرع للخاطر، وشهادته بصحته، والثاني فتور النفس عن قبوله حتى يحصل لها نوع من

(١) في ط: المألوف.
(٢) في ط: فيها.
(٣) ليست في: ط.
(٤) في ط: والخطور.

الترغيب وهو الهجوم على النفس من غير مقدمات له كالشيطاني إلا أن سرعة النفس لموافقة الخاطر الشيطاني أكثر. وهي له أبدر وهي عن هذا أكسل. إذ الشيطاني إنما يجيئها من شهواتها وراحاتها وهذه تأتى من جهة التكليف وتنفر نفرة من التكليف عند وروده عليها.

فهذا الفرق بين هذا الخاطر الشيطاني والخاطر النفساني فإذا خطر لك فزنه بهذه الموازين الثلاث واستشهد في كل فصل منه بالشواهد التي أشرنا لك فيتميز لك الخواطر، فاصنع في الشيطاني والنفساني ما كنا ذكرناه لك في المدافعة الحاسمة لهما وبادر لهذا الخاطر الرباني ودع التشاغل والتضييع فإن الوقت ضيق غال والحال يتحول وإياك وتسويل النفس ووسواس الشيطان فإن هذا الباب من أبواب الخير قد انفتح له فارحبه حتى تستأنفه من أوله ومثاله أن يكون قد أخطر الخاطر في صيام بعض شهر قد حث الشرع على صيامه أو قيام بعض ليلة فيقول: دع هذا حتى أستكمل الليل بأوله أو الشهر بتمامه وإنما ذلك مخادعة لسد باب التوفيق المجزي فإن هذه الخواطر لا تدوم وإنما هي سريعة الاستحالة والمبادرة لإمساك الخاطر الرباني مأمور الشرع وفيه فائدتان: أحدهما أن يكون وقت أكمل من وقت كنحو الأوقات التي ورد الخبر عن مسامحة الله عز وجل وتنزل الرحمة والغفران ونظرات الحق سبحانه وتعالى إلى الخلق لا تحصى والأخرى إيلاف النفس للمبادرة لامتثال الأوامر والطاعات عندما ترجى بركة العمل وفيه إزالة حال التكاسل عنها وذلك للتعرض لنفحات رحمة الله تعالى وهذا في رياضة النفس على المبادرة في امتثال الأوامر مفيد أيضا، والله أعلم[١]. آخر أدب الفقير[٢] من كلام الشيخ أبي القاسم الجنيد قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) في ط: وأحكم.

(٢) في ط: الفقر.

كتاب دواء التفريط

كتاب دواء التفريط[1]

من كلام سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي قدّس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى: خصك الله لطاعته، وهيَّأك لموافقته، وحملك[2]. وأسرع بك إليه، ودلَّك عليه، وأوقفك على علم مراده، واستعملك بعلم ما أرادك له، وعوّدك الإصغاء إلى استنباط الفهم عنده، وحال عنك وعن العوارض القاطعة والعلائق المانعة، وجعل أقوالك لديه مرضية وعنده زاكية، وكفاك مؤنة كل شاغل عنه، وهيَّأك لخدمته، وروحك بتفويض الأمر إليه، وحال منك ومن كل ممتنع عليك في الطريق المسلوك إليه، وجعل لك على كل قيم[3] لا يسعدك في طلب ما يرضيه من لدنه سلطانا نصيرا، إنه ولي الإنعام، وكافي المصاب.

إن لله عبادا صحبوا الدنيا بأبدانهم، وفارقوها بعقود إيمانهم، أشرف بهم على اليقين على ما هم إليه صائرون، وفيه مقيمون وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتبعة للهوى، والمغموسة في البلاء، والمتمكنة بأكناف الأسواء، إلى قبول داعي التنزيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفح التمييز، وتنسموا روح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة

---

(١) المخطوط في معهد المخطوطات العربية، برقم ٣٧٣ تصوف، وبعض أجزائه موجودة في حلية الأولياء، جـ ١٠، ص: ٢٦٢، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

(٢) كلام مطموس في الأصل.

(٣) هكذا في الأصل.

البقاء في دار الغرور، فأسرعوا إلى حذف العلائق الشاغلة عن مسابقة الخدم، وتجرعوا مرارة المكابدة، وصدقوا الله في معاملته، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، وعرفوا قدر ما يطلبون، واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح، وأماتوا شهوات النفوس، وسجنوا همومهم عن التقلب إلى مذكور سوى وليهم، وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مرآة الغفلة، وأقاموا عليها رقيبا من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة من بر و لا بحر، ومن أحاط بكل شيء علما وأحاط به خبرا، فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها، واستبقت منافسة لأبناء جنسها، نفوس ساسها وليها وحفظها بارئها، وكلأها كافية.

فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت مناجاته، وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم، تر أرواحا تتردد في أجسادها أذابتها الخشية، وذللتها الخدمة وتسربلها الحياء، وجمها القرب، وأسكنها الوقار، وأنطقها التذكار، وخالفها السهر، وأنطقها الحذر، أنيسها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر، شغلها بالله متصل، وعن غيره منفصل، لا تتلقى قادما، ولا تشيع ظاعنا، غذاؤها الجوع والظمأ، وراحتها التوكل وكنزها الثقة ومعولها الاعتماد، ودواؤها الصبر وقرينها الرضا.

نفوس قدمت لتأدية الحق، ورقيت لنفيس الكلام، وكفيت مؤنة ثقل المحن، ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣١، ٣٢].

وينبغي للعاقل ألا ينفك من إحدى ثلاثة مواطن موطن. يعرف فيه حاله أمتزايد هو أم منتقص، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها، وموطن يستحضر عقله مجارى التدبير وكيف تختلف به الأحكام أثناء الليل والنهار، ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بأحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين.

فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه أمتزايد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة كي لا يعارضه شاغل فيفسد ما يريد إصلاحه، ثم يتوجه إلى موافقة ما لزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض، ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي ربه يريد أن يؤدى إليه ما أمر بتأديته فحينئذ ينكشف له من خفايا النفوس الموارية فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد، ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم، فإن رأى خللا أقام على إصلاحه ولم يتجاوزه إلى عمل سواه. وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن الله لقوي عزيز.

وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة فإن النفوس ربما خبت منها أشياء لا يقف على حد ذلك إلا من تصفح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف، فإن النفوس إذا ألفت فعل الخير صار لها خلقا من أخلاقها، وسكنت إلى أنه موضع لما أهلت له وارتدت به، وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل، ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجارى الدم فيها، فيرى بقوة كيده خفية غفلتها، فيختلس منها بمايلة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال، ألم تألم لو عرف طعنته أسرع إلى الإنابة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به، واستصقى منه علم الحال التي منها وصل عدوه إليه فحرسها بلياذة اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام كما قال الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] وعلم يوسف عليه السلام أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بتقوى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

وأما الموطن الذي يستحضر عقله لرؤية مجارى الأحكام وكيف يقلبه التدبير، وهو أعز الأماكن وأعلى المواطن، فإن الله تبارك وتعالى أمر جميع خلقه

أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [يوسف: ٥٦] فألزمهم دوام عبادته وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية، وفي الآجل جزيل الثواب، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وهذه كلها عبادة تلزم كل الخلق، ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام، وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة، ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] - يعني شأن الخلق -.

وأنت أيها الواقف لترى من الخلق الذي هو في شأنهم أو ترى شأنك مرضيا عنده؟ و لن يقدر عليه أحد على استحضار عقله إلا بانصراف عن الدنيا وما فيها، وخروجها عن قلبه، فلو انقضت الدنيا وبادت وباد أهلها وانصرفت عن القلب خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام، وتفصيل الأقسام، ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج، ولها ترك ومنها هرب، ألا ترى إلى حارثة حيث يقول: "عزفت نفسي عن الدنيا، وكأني بأهل الجنة يتزاورون، وكأني وكأني" وهذه بعض أحوال القوم.

فاحرص يا أخي على العمل في نجاة نفسك وخلاصها وعتقها من رق مزلة الهوى والانقياد إلى مسامرة أهل الدنيا قبل. . . (١) من نهر الغفلة قطرة إلا . . . ذلك قسوة المنكرات والعقل. . . الطريق وأوضحهم على محجة النجاة، الأخ لم خفي فيهم الدعوة إلى المسارعة والمنافسة عند فهم الخطاب إذ يقول عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فنهضت العقول مستحثة للجوارح بجنس التوجه لإقامة ما به يحظون عند من استجابوا لدعوته وفطنوا لإشارته وأقاموا تحت العلم بقربه وقرت عيونهم بما أورد على قلوبهم من السرور بالخلوة به خلا من أناس أكياس لا يرهبون إليه في الطريق غيره، ولا يتوسلون إليه إلا به ولا يسألونه شيئا غير إدامة

(١) هذه النقاط، والنقاط التي تليها إشارة إلى كلام مطموس في أصل المخطوط.

التمتع بخدمته وحسن المعونة على موافقته، وقد أنست منهم الأعداء وأماتت عنهم الخشية الهوى وأقرت بهم عيون الأحياء لا يرون مالا هو أعظم مما نالوا ولا يبتغون بما أنعم عليهم بدلا ولا يريدون عنه حولا، صفا بهم العلم... المعاملة وأعزهم الانقطاع إلى الله تعالى وأغناهم به عمن سواه. هم طلبة الله بطلابه ومحبو الله وأحباؤه. هلموا شوقا إلى رؤيتهم وحسرة على معاوضتهم وسرورا... بمخادمتهم. أردتم الله فأراده وطلبوا الله فوجدوه، فمن أراد النجاة فليتعجل روح الحياة بطلب الوصول. مناه فإن الله منية الأولياء وصفية العقلاء وطلب الأصفياء ولولاه ما اهتدوا إليه، ومن (ذكرتم) قلتم... ولم يحملهم إلا ما يطيقونه ولم... بل أنعم عليهم بجميل قوله... وتجاوز لهم عما عجزت عنه... على جميل الصحبة وكثرة الأيادي بالحفظ للأمم السالفة بحسن التنقيل وخلاصهم من العذاب الوبيل ودلهم على سبيل الشكر المرضى عنده وألف بينهم. ميز النظراء من الأشياء والأشكال وصان قلوبهم وأبصارهم واستماعهم عن الدنو إلى الخفاء أبقوا من محادثة... منها مما يفنى وهانت عليهم مصائب الدنيا وألفوا (واجتنا زلهم)[1].. قرب منهم التقديس والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل، وراحتهم وقرة أعينهم في مناجاتهم فما يصدرون عن لقائه في معادهم إنما قطع الخلق عز وجل اتباعهم الأهواء وطاعتهم الأعداء، ومحادثتهم بزهرة الحياة الدنيا وإشارتهم وإيثارهم ما يفنى على ما يبقى، فبادر يا أخي إلى صلاح ما مضى من العمر وما ضاع منه بالسهو والغفلة والتفريط والتواني لحفظ ما أبقى عليك منه. الانزعاج والخوف والجد والحذر قبل أوان الوقت ونزول الموت فإنه لا يرضي عمر بقي إلا بمثل العمل الغني يرضي عمر تلف فاسع في فكاك الرق بترك ملابسة العلائق الشاغلة، فإن لله يوم تبرز فيه الخبايا وتبدو فيه الأعمال يوم لا يبقى فيه شهيد ولا صديق بعلمه، ولا يرجو أحد فيه إلا التجاوز والعفو من ربه يوم تكثر فيه الندامة وتقوى فيه الملامة. فالآن ما دام العذر مقبولا والوقت مبسوطا والعمل ممدودا والتوبة مقبولة والذنب تمحوه الإنابة والندم والقول فيه مسموعا والخير فيه مسوغا والحق بينا والطريق واضحا والحجة لازمة، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ

(١) كلام غير واضح في الأصل.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩] وآثار مسببة الهداية بينة عند أهل الهدى فمن علامة من هذا نعته سهولة الطاعة ومحبة الموافقة ورؤية النفس بعين العجز والانقطاع عن القيام بالواجب والموالاة والمؤاخاة والمصافاة والمحبة والمواساة والإيثار على النفوس، لا يمل اقرب، والمواصلة في ذات الله عز وجل والمعاونة لا يمل الولاية والذب عن حريم الحق والتراضي بالصبر على ما تقدم من الأمر والاستعفاف وخفة المؤن والتعلل والتحري ومدافعة الأوقات والوقوف على حد الأمر والنهي، وهذا أشده وأصعبه والميل إلى أهل الفقر والرغبة في إدخال السرور عليهم ومخالطتهم ومجالستهم وترك السمو عليهم، فبهم أوصى الله تعالى لنبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ٢٨] جعلنا الله وإياكم ممن عرف حق الله واستعمله واشتغل به ولم يشتغل عنه وحفظ علينا وعليكم ما استرعانا وأحسن معونتنا وإياكم على أداء الشكر ودوام الذكر إنه ولي الإحسان وموعد العبيد الجنان وواعدهم بالنيران.

تم كتاب دواء التفريط لأبي القاسم الجنيد رحمة الله عليه ورضوانه والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفرق بين الإخلاص والصدق

الفرق بين الإخلاص والصدق[1]

من كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه ونور ضريحه في الفرق بين الإخلاص والصدق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، قال الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه: آنسك الله بقربه، وجدد لك في كل وقت من الزيادة في بره، وسترك في ظلال جناح رحمته، وجعل مأواك في جاره الذي أسكن فيه أرواح أهل خاصته، الذين تولاهم بحياطته، فلم يلحقهم لاحق، ولم يقطعهم قاطع، ولم يشغلهم شاغل، وصلى الله على نبيه وعلى أهل بيته وأصحابه وسلم.

أما بعد فإنك سألت عن الفرق بين الإخلاص والصدق، فمعنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها، وبعد الوفاء منك بما عليك مما دلك العلم عليه، في إقامة حدود الأحوال في الظاهر، مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل.

فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة، عند بداية الإرادة، بالقيام بما دعت إليه في حقيقة إرادتك، مما طرق الحق لك إليه، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة، مع انتصاب العلم لك وموافقتك له بالخروج من التأويل، فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص، وقد قال الله عز وجل ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٨] ثم سألهم بعد ما أوتوا بالصدق: ما أرادوا بصدقهم، وقد سمى الله الصادقين في موضع آخر على غير هذا المعنى فقال عز وجل: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

---

(١) وردت الرسالة ضمن: رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم: ١٣٤ توحيد، ٢٢٧ تصوف، ١٣٥ تصوف، وهي التي سنعتبرها الأصل ونشير إليها برمز (خ)، وللرسالة نسخة مطبوعة نشرها د. علي حسين عبد القادر مع ترجمة إنجليزية في مجلة Islamic Quarterly المجلد الخامس، ص: ٨٣ – ٩٨، سنة ١٩٥٩، ١٩٦٠، وسنرمز لها بالرمز ط.

فكان الصدق في الأول علما للخلق وفضلا بينهم وبين الإخلاص لأن الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالين: حال الاعتقاد والنية، وحال الفعل والعمل.

فالإخلاص في صفة الصادق موجود في العقد غير منسوب إلى الصدق إلا بوجود (أوائل الإخلاص في باطنه)[1]، وباق عليهم علم موارد الأشياء عند ممارسة الفعل بالجوارح عن عوارض أضداد الإخلاص، والتخلص لفعله[2] حتى يسمى[3] مخلصاً.

فأول الإخلاص أن يفرد الله تعالى بالإرادة، والثاني أن يخلص الفعل من الآفة، فالصدق الذي هو عند الخلق صدق، فرق بينه وبين الإخلاص، والصدق الذي عند الله سبحانه وتعالى هو الصدق مع الإخلاص.

وقد يقال فلان صادق لما يرى عليه من صفات العلم وبذل المجهود منه، ولا يقال فلان صادق لما مخلص لغيبة الخلق عن علم إخلاصه، فالصدق مشهود في صفة الصادق، والإخلاص معدوم من مشهده.

فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده، منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهره، مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه، باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده، يقبل[4] ما وافق الأول من معنى قصده، ويرد ما خالف علم ظاهره، فالإخلاص يعلو[5] الصدق لوجود زيادة العلم، مع وجود قوة الرد لما عارض من وسواس العدو، لوجود صفاء القلب، ولا يعلو الإخلاص شيء، لأنه لا غاية في العبودية من حيث العبد فوق الإخلاص.

ولا يقال إخلاص المخلص لأنه لا غاية بعد الإخلاص، وقد قال الله تعالى: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] ولم يقل ليسأل المخلصين عن إخلاصهم، لأن غايته من الخلق فيما استعبدهم به، فالإخلاص يعلو الصدق والصدق دونه.

---

(١) ما بين القوسين من ط.

(٢) وردت الجملة في ط: والتخلص لفعله عن عوارض أضداد الإخلاص

(٣) في ط: سمي

(٤) وردت في (ط)، وفي (خ): يقول.

والصدق على ثلاثة أشياء: صادق بلسانه، وهو القائل بالحق له كان أم عليه بخروجه عن التأويل والتدليس، وصادق في فعله، وهو الباذل للمجهود من نفسه بإخراج وجود راحته، وصادق بقلبه وهو القصد إليه في فعله.

فعند وجود هذه الخصال يكون صادقا، مع أن الصدق موجود من الصادق في كل حال لا يستغني عنه في حال من الأحوال، وقد فسرت جملة في أول الكتاب، فالصدق في التورع والتزهد والزهد والتوكل والرضا والمحبة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة، في طبقات المريد والمراد، والذاكر والمذكور، وكل ذلك لابد من أن يتولد له شاهد ظاهر يشهد له بالصدق.

ومعنى الإخلاص إفراد النية لله تعالى وحسن القصد إليه، بحضور العقل عند موارد الأشياء، وبيان تلوين الأمور عليه، بما وافق الأول في معنى صحة قصده، ورد ما خالف ذلك من موارد النفس والعدو، مع ذهاب رؤية النفس مع وجود رؤية المنة، مع وجود حسن العزاء عند المذمة من الخلق[1]، لوجود حسن المعرفة بالفضل، ووجود الكراهية عند المحمدة، لخوف فساد المعرفة لذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال، فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معدوم عند شاهد الخلق. فالصدق والإخلاص يتفقان عند حال المخلص، وينفرد الصدق بالصادق، مع أول وجود الإخلاص، فغاية وصف الموصوفين بالعبودية في الاستعباد هو الإخلاص، والصادق في حقيقة صدقه يتولى بالإخلاص، والمخلص في حقيقة إخلاصه يتولى بالكفاية، لوجود نفاذ البصيرة، وذو البصيرة في حقيقة نفاذ بصيرته يتولى بالحياطة من جميع ما يخشى فساده، ثم وقع الاستيلاء بالتولي بعد ذلك، فقهر العقل فأفناه عن مقاومة الواجد. فعند وجود حقيقة التولي بالخصوصية، خرج عن[2] عبادته لله بالنفوسية، ودخل في عبادته عز وجل بالوحدانية، فكان ذلك أول وجوده حقيقة توحيد الخصوص، بذهاب رؤية الأشياء لقيام رؤية الحق، فجرت الأحوال عليه في مجارى

---

(٥) وردت في (ط)، وفي (خ): يعلم.

(١) وردت في (ط)، وفي (خ): الحق.

(٢) وردت في (ط)، وفى (خ): خرج من.

صفاتها، (المراد مليكه فيها بسقوط صفاتها)[1] منها، فعند وصول العبد إلى هذا خرج عن صفة وجود ما يوصف بالعقل، فصارت[2] عوارض العقل عند وجود حقيقة التوحيد، وساوس تحتاج إلى أن يردها، لأن العقل كان قيم العبد عند قيام العبد بالعبودية، من حيث العبد، فعند وقوع حقائق الملكة من الله عز وجل له، ذهب العبد في العبودية من غير المعدن الأول، فكان موجودا في الصفة معدوما من المشرب، فصار عند ذلك موجوداً مفقوداً.

باب آخر في التوحيد

اعلم أن أول عبادة الله عز و جل معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفى الصفات عنه بالكيف والحيث والأين، فبه استدل عليه[3] وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه، فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له، ومن الاستجابة له وقع الترقي به، ومن الترقي إليه وقع الاتصال به، ومن الاتصال به وقع البيان له، ومن البيان له وقع عليه الحيرة، ومن الحيرة ذهب عن البيان، ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له، وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له، ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقية الشهود بذهابه عن وجوده[4]، وبصفائه غيب عن صفاته، ومن غيبته حضور بكليته ومن حضور بكليته فقد بكليته، فكان موجودا مفقودا ومفقودا موجودا، فكان حيث لم يكن، ولم يكن حيث كان. ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان، فهو هو بعد ما لم يكن هو، فهو موجودا موجود بعد ما كان موجودا

---

(١) ما بين القوسين ورد في (ط).

(٢) وردت في (ط)، وفي (خ): فصار.

(٣) يشير الإمام الجنيد إلى المعرفة الذوقية المباشرة أو (عرفت ربي عن طريق ربي ولولا ربي ما عرفت ربي) وهي تختلف عن المعرفة العقلية عند الفلاسفة أو الطريق الجدلي عند علماء الكلام. انظر: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، للمرحوم الدكتور أبو العلا عفيفي، ص: ١٥٦، وما بعدها. وانظر: دراستنا: التصوف عند ابن خلدون دراسة نقدية، دار العلم بالفيوم، ٢٠٠١، ص: ١٩، وما بعدها.

(٤) يبدو من نصوص الجنيد أنه من أصحاب وحدة الشهود، ورغم اختلاف البعض حوله، هل هو من أصحاب الصحو أم المحو، يبدو أنه قد تنازعه هذا وذاك، وإن غلب عليه الصحو لا المحو، والحضور لا الغيبة. انظر: التصوف الثورة الروحية في الإسلام للمرحوم الدكتور أبو العلا عفيفي، ص: ١٧٦، وما بعدها.

مفقود، لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحوة، وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته، ببقاء آثاره والإقتداء بفعله، بعد بلوغه غاية ما له منه.

مسألة أخرى

رجل انتصب له العلم بحقيقة، وانتصب المطالبة عليه يحدثها، وانتصب للعمل بكليته، فلم يقع الائتلاف بين الصفة والعلم في المطالبة، فاستدرك عند الاختلاف بينهما مع حضوره جمعه وانتصابه، علم مراد الرجوع إلى الحق مع الانتصاب والحضور والجمع، فرجع إليه بالصغار والذلة والافتقار والقلة بالسؤال، بحملان أثقال ما انتصب عليه من علم الحقيقة، فكان موجودا عندما انتصب له من العلم الثاني، بخروج صفته للعمل فيه، وغير واجد لما انتصب عليه من حقيقة علم الأول، لأثقال ما انتصب عليه من شروط أحكامه، فاستدرك عند اجتماع العلمين بوجود حقيقة علم الثاني وفقد حقيقة الأول – علم وقوع البلاء بحقيقته، بتجرع كأس المراقبة لإيضاح بقايا صفاته وإيضاح خفايا طبعه، بالخروج إلى صفاء التوحيد، بانحطاط وقوع البلاء، على حسب ما تقدم من الموافقة للصفة، بوجود لذة الطبع، فخرج عن ذلك بفناء الصفة من الهوى، إلى وقوع تجريد الحكم على صفاء الصفة، بذهاب الهوى، فانبسط بالإشارة بالحقيقة إلى الحق عند حوادث الأمور وتلوين الأشياء، بذهاب الوسائط، بوقوع صفاء الحكم على صفاء الصفة.

مسألة أخرى

الخوف يقبضني والرجاء يبسطني. والحقيقة تجمعني، والحق يفرقني. فإذا قبضني بالخوف أفناني عني بوجودي، فصانني عني، وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني فدعاني. وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه. فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي، بحضوري أذوق طعم وجودي، فليته أفناني عني فمتعني. أو غيبني عني فروحني وللفناء أشهدني. فنائي بقائي. زمن حقيقة فنائي أفناني بقائي وفنائي فكنت عند حقيقة الفناء بغير بقاء ولا فناء، بفنائي وبقائي لوجود الفناء والبقاء، لوجود غيري بفنائي.

مسألة أخرى

اعلم أن دليل الخلق برؤية الصدق وبذل المجهود، لإقامة حدود الأحوال بالتنقل فيها، لتؤديه حال إلى حال، حتى يؤديه إلى حقيقة العبودية في الظاهر، بترك اختيار والرضى بفعله، وهذه مواضع قبول الخلق لدلائل صفات علم الظاهر عليه، واجتماع صفته، ومن ثم تؤديه حقيقته إلى مشاهدة الحق وإدراك إشارته إليه، بتلوين الأمور اختياره، وهذا موضع[1] ذهاب الخلق عنه، لتلوين[2] صفاته فيهم، ومواضع تغيبه عنهم، وهذا مقام الاصطناع، قال الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] فمن أين وإلى أين، فمنه إليه وله وبه فني، وفني فناؤه، لبقاء بقائه بحقيقة فنائه، فإن للحق فيه مرادا، يرده عليهم، أخرجه إليهم بتظاهر نعمائه عليه، فتلألأ سناء عطائه برد صفاته عليه لاستجلاب الخلق إليه وإحسانهم عليه.

مسألة أخرى

اعلم أنك محجوب عنك بك وأنك لاتصل إليه بك، ولكنك تصل إليه به، لأنه لما أبدى رؤية الاتصال به، ودعاك إلى الطلب له فطلبته، فكنت في رؤية الطلب واجتهاد لاستدراك ما تريده بطلبك، كنت محجوبا، حتى يرجع الافتقار إليه في الطلب، فيكون ركن وعمادك في الطلب بشدة الطلب، وأداء حقوق ما انتخب لك من علم الطلب، والقيام بشروط ما اشترط عليك فيه، ورعاية ما استرعاك فيه لنفسك، حماك عنك، فيوصلك بفنائك لوصولك إلى بغيتك، فيبقى ببقائه، وذلك أن التوحيد الموحد باق ببقاء الواحد، وإن فني الموحد، فحينئذ أنت أنت، إذ كنت بلا أنت، فبقيت من حيث فنيت، والفناء ثلاثة - فناء عن الصفات والأخلاق والطباع، بقيامك بدلائل عملك، يبذل المجهود ومخالفة النفس، وحبسها بالمكروه عن مرادها. والفناء الثاني فناؤك عن مطالعة حظوظ، من ذوق الحلاوات واللذات في الطاعات، لموافقة مطالبة الحق لك، لانقطاعك

---

(١) وردت في (ط): وهذه مواضع.

(٢) وردت في (ط)، وفي (خ): لتلون.

إليه، ليكون بلا واسطة بينك وبينه. والفناء الثالث فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجيدك بغلبات شاهد الحق عليك، فأنت حينئذ فان باق، وموجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك.

مسألة أخرى

اعلم أن الناس ثلاثة: طالب قاصد، ووارد واقف، أو داخل قائم، أما الطالب لله عز وجل فإنه قاصد نحوه، باسترشاد دلائل علم ظاهر، معامل الله عز وجل بجد ظاهرة، أو وارد للباب واقف عليه، متبن لمواضع تقريبين إياه، بدلائل تصفية باطنة، وإدرار الفوائد عليه، معامل لله عز وجل في باطنه، أو داخل بهمه، قائم بين يديه، منتصف عن رؤية ما سواه، ملاحظات لإشارته إليه، مبادرا فيما يأمره مولاه، فهذه صفة الموحد لله عز وجل.

(مسألة أخرى)[1]

اعلم أن التوحيد في الخلق على أربعة أوجه: فوجه منها توحيد العوام، ووجه منها توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر، ووجهان منها توحيد الخواص من أهل المعرفة، فأما توحيد الخواص من أهل المعرفة، فأما توحيد العوام فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأضداد والأشكال والأشباه، والسكون إلى معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه. فإن له حقيقة التحقيق في الأفعال ببقاء الإقرار. وأما توحيد (أهل الظاهر)[2] فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأشكال والأشباه، مع إقامة الأمر والانتباه عن النهي في الظاهر، مستخرجة ذلك منهم من عيون الرغبة والرهبة والأمل والطمع، فإقامة حقيقة التحقيق في الأفعال لقيام حقيقة التصديق بالإقرار. وأما الوجه الأول من توحيد الخاص فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية هذه الأشياء مع إقامة الأمر في الظاهر والباطن بإزالة معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه، مستخرجة ذلك من عيون الموافقة بقيام شاهد الحق معه مع قيا شاهد الدعوة والاستجابة. والوجه الثاني من توحيد الخاص،

---

(١) وردت في (ط).

(٢) في (ط): حقائق علم الظاهر.

فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث، تجري عليه تصاريف تدبيره، في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الحق له، وعن استجابته له، بحقائق وجود توحيده، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الحق له، وعن استجابته له، بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه، بذهاب حسه وحركاته؛ لقيام الحق له فيما أراده منه، والعلم في ذلك أنه رجع آخر العبد إلى أوله، وأن يكون كما كان إذ كان قبل أن يكون، والدليل في ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فمن كان وكيف كان قبل أن يكون، وهل أجابت إلا الأرواح الطاهرة العذبة المقدسة، بإقامة القدرة النافذة والمشيئة التامة، الآن كان إذ كان قبل أن يكون، وهذا حقيقة توحيد الموحد للواحد بذهاب هو.

آخر مسألة التوحيد من كلامه ﷺ

سئل الجنيد رحمه الله إلى أين تنتهي عبادة أهل المعرفة بالله عز وجل. فقال: إلى الظفر بنفوسهم، نصب الحق لهم أعمال أدلة العمال، فوقفوا مع ما له دون التعريج على ما لهم، فشوق إليهم الأنبياء وانتسب بهم للأولياء، وسبحت لهم الملائكة، فتركوا ما لهم ووقفوا مع ما لله عز وجل عليهم وسائر الناس وقفوا مع ما لهم وتركوا ما لله عز وجل عليهم فرد الله عز وجل كلا إلى قيمته.



سئل ابن الخفيف[1] رحمه الله تعالى عن قول الجنيد: اجهد أن تكون حيث تقول، فقال: نعم، رأى الجنيد رحمه الله تعالى في السائل دعاويًا فقال له: اجهد أن تكون حيثما تشير إليه.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن خفيف، المقيم بشيراز، كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ في وقته، صحب رويمًا والجريري وأبا العباس بن عطاء وطاهرًا المقدسي، ولقي الحسين بن منصور. وكان عالمًا بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق، أوحد المشايخ في وقته حالاً وعلمًا وخلقًا. مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، ص: ٤٦٢، وانظر أيضًا: الموسوعة الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني، ص: ١٤٢ – ١٤٨، حلية الأولياء، ج١، ص: ٣٨٥ – ٣٨٧.

سئل عن قول الجنيد كما سئل عن كلام الصوفية، فقال: ما للصوفية كلام، فقال: صدق أبو القاسم رحمه الله؛ فإن الصوفي يراعى الغيب فإن فتح لسانه وأذن له في الكلام نطق وإلا سكت لأن الكلام لمن حفظ ودرس، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[فاطر: ٢] فافهم.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا تصفو لك المجاهدات إلا على صفاء النيات لمفارقة معائب الخطرات، وهو ترك مطالعة العوارض والتحكم على الله عز وجل بالأقوات لأن من كثر حكمه على الله تعالى دام سخطه على الله تعالى!.

كتاب الغناء

كتاب الفناء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلواته على محمد وآله وسلم تسليما

كتاب الفناء

كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه

الحمد لله الذي قطع العلائق عن المنقطعين إليه ووهب الحقائق للمتصلين به المعتمدين عليه حين أوجدهم ووهب لهم حبه فأثبت العارفين في حزبه وجعلهم درجات في مواهبه وأراهم قوة أبداها عنه ووهبهم منّة من فضله فلم تعترض عليهم الخطرات بملكها ولم تلتق بهم الصفات المسببة للنقائص في نسبتها لانتسابهم إلى حقائق التوحيد بنفاذ التجريد فيما كانت به الدعوة ووجدت به أسباب الخطرة[2] من بوادي الغيوب وقرب المحبوب.

---

(١) المخطوط من رسائل في التوحيد والتصوف، رقم ١٣٤ توحيد، معهد المخطوطات العربية. يمثل الإمام الجنيد مدرسة التصوف المعتدل، أو فناء الإنسان عن إرادته وبقاؤه بإرادة الله، وحال الفناء عند الجنيد من الأحوال العارضة لأنه لو دام لتعارض مع أدائه الشرعية، ولهذا فمدرسة الجنيد تثبت الأثينية بين الله والإنسان، ومن ثم فإن الوحدة عنده تمثل وحدة الشهود، انظر: دراستنا: مشكلة الموت وعلاقتها بحال الفناء عند الصوفية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عدد ٢٥ يوليو ١٩٩٧، ص: ٤٠، وانظر أيضًا: د. أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص: ١١٠، وما بعدها، د. إبراهيم يس: حال الفناء في التصوف الإسلامي، دار المعارف، ص: ٣٠، د. مجدي إبراهيم: التصوف السني (حال الفناء بين الجنيد والغزالي)، مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٤٧، ٥٢. هذا بخلاف مدرسة ابن عربي الذي يمضي في أطوار فنائه عن إرادة السوي إلى الفناء عن الشهود السوي، ليتحقق في النهاية بوحدة الوجود، فلا يرى موجوداً سوى الحق تعالى، هو عين حقيقة كل موجود، ولا موجود خارج عن وجوده تعالى، وهو يعبر عن هذا المعنى في فتوحاته بقوله: فما شيء إلا الله لا شيء غيره وما ثم إلا وحدة الوحدات. هذه الوحدة الوجودية – وإن لم يستعمل ابن عربي هذا الاصطلاح – ثابتة لا شك في كل مصنفاته، ولكنها وحدة روحية لا مادية، وحدة قوامها أن الله هو الوجود الحق، وأنه عين كل موجود في حقيقة وجوده، لا من حيث أنه عينية أو شيئية. د. أحمد محمود الجزار: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٩٠، ص: ٢٣٢.

(٢) في ط: الخطوة

ثم سمعته يقول: وهبنيه ثم استتر بي عني فأنا أضر الأشياء على الويل لي مني أكادني وعنه بي خدعني كان حضوري سبب فقدي وكانت متعتي بمشاهدتي كمال جهدي فالآن عدمت قواي لفناء سري لا أجد ذوق الوجود ولا أخلوا من تمكين الشهود ولا أجد نعيما من جنس النعيم ولا (أجد)[1] التعذيب من جنس التعذيب فطارت المذاقات عني وتفانت اللغات من وضعي فلا صفة تبدى ولا داعية تجدي كان الأمر في إبدائه كما لم يزل في ابتدائه.

قلت فما أبان منك هذا النطق ولا صفة تبدوا ولا داعية تجدي[2] قال نطقت بغيبتي عن حالي ثم أبدى على من شاهد قاهر وظاهر شاهر أفناني بإنشائي كما أنشأني بدءا في حال فنائي فلم أوثر عليه لبرائته من الآثار ولم أخبر عنه إذ كان متوليا للأخبار ليس قد محى رسمي بصفته وبامتحاني فإن علمي في قربه فهو المبديء كما هو المعيد.

قلت: فما قولك أفناني بإنشائي كما أنشأني بدءا في حال فنائي؟

قال: أليس تعلم أنه عز وجل قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إلى قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ فقد أخبرك عز وجل أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم إذا كان واجدا للخليقة بغير معنى وجوده لأنفسها بالمعنى الذي لا يعلمه غيره ولا يجده سواه، فقد كان واجدا محيطا شاهدا عليهم بدءا في حال فنائهم عن بقائهم الذين كانوا في الأزل فذلك هو الموجود الرباني والإدراك الإلهي الذي لا ينبغي إلا له جل وعز.

ولذلك قلنا إنه إذا كان واجدا للعبد يجرى عليه مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التي لا يشارك فيها كان ذلك الوجود أتم الوجود وأمضاه لا محالة، وهو أولى وأغلب وأحق بالغلبة والقهر وصحة الاستيلاء على ما يبدو عليه حتى يمحى رسمه عامة ويذهب وجوده إذ لا صفة بشرية ووجود ليس يقوم به لما ذكرنا تعاليا من الحق وقهره.

---

(١) بياض في الأصل، والكلمة من ط.

(٢) الكلمة في أصل المخطوط: تجدوا. وفي ط: تحدوا.

فإذا كان[1] هذا تلبسا على الأرواح (ما لها من الأزلية)[2] نعيماً ليس من جنس النعيم المعقول وسخاء بالحق لا من جنس السخاء المعلوم إذ كان عز وجل لا يجس ولا يحس ولا يبدل ذاتيته ولا يعلم أحد كيفية لطائفه في خلقه وإنما معنى ذلك رباني لا نعلم غيره ولا يقدر عليه إلا هو. ولهذا قلنا إذن[3] إن الحق أفنى ما بدا عليه وإذا استولى كان أولى بالاستيلاء وأحق بالغلبة والقهر.

قلت: فما[4] يجد أهل هذه الصفة وقد (مُحِي)[5] اسم وجودهم وعلومهم؟

قال: وجودهم بالحق بهم وما بدا عليهم بقول وسلطان غالب لا ما طالبوه فأدركوه[6] وتوهموه بعد الغلبة فيمحقها ويفنيها فإنه غير متشبث بهم ولا منسوب إليهم. وكيف يصفون أو يجدون ما لم يقوموا فيحملوه أو يقاربوه فيعلموه، وإن آية[7] الدليل على ذلك من الخبر الموجود، أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: "لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به"[8]

وفى الحديث زيادة في الكلام غير أنى قصرت الحجة منه في هذا الموضع. فإذا كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فكيف ذلك بكيفيته أو تحده بحد تعلمه. ولو ادعى ذلك مدعٍ لأبطل في دعواه لأنا لا نعلم ذلك كائنا بجهة من الجهات بعلم أو بعرف.

وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق وذلك فعل الله جل وعز[9] فيه وما وهبه له منسوبة إليه لا

---

(١) في ط: إنما.
(٢) ليست في خ.
(٣) موجودة في ع، وليست في خ، ولا في ط.
(٤) في ع: فماذا.
(٥) في الأصل: محوت.
(٦) في ط: فأذكروه.
(٧) ليست في ط.
(٨) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، في كتاب الرقاق، حديث رقم: ٦٠٢١.
(٩) في ط: عز وجل.

إلى الواجد لها لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به وإنما كانت واقعة عليه من غيره وهي لغيرها أولى وبه أحرى، وكذلك جاز أن نكون بهذه الصفة الخفية وهي غير منتسبة به على النحو الذي ذكرنا.

قلت: كيف يكون الحضور سبب الفقد والمتعة بالمشاهدة كمال الجهد وإنما علم الناس هاهنا أنهم يتمتعون ويجدون بالحضور لا يجهدون في ذلك ولا يفقدون. قال: ذلك علم العامة المعروف وسبيل وجودهم الموصوف فأما أهل الخاصة والخاصة المختصة الذين غربوا لغربة أحوالهم فإن حضورهم فقد ومتعتهم بالمشاهدة جهد لأنهم قد محو عن كل رسم ومعنى يجدوه بهم أو يشهدوه من حيث هم بما استولى عليه فمحاهم وعن صفاتهم أفناهم حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم وثبت دواعي ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه فوجدوا النعيم به غيبا بأمتع الوجود على غير سبيل الوجود لاستئثار الحق واستيلاء القهر فإذا[1] فقدت الأرواح النعيم الغيبي الذي لا تحاسه النفوس ولا تقاومه[2] المحسوس. ألفت فناءها عنها وجدت بقاءها يمنعه فناءها فإذا أحضرها أثبتها[3] وأوجدها جنسها استترت بذلك عما كانت به (وكان بها)[4] فغضت نفسها وألفت بجنسها إذ أفقدها التمام الأول والإكرام الأكمل وردت إلى تعلم وتعقل فالحسرة فيها مستكنة وغصة الفقد بها متصلة في حال حضورها وكائن وجودها ولذلك تاقت إلى الشهرة ورجعت إلى الحاجة، فكيف لا يكلمها ما أخرجها بعد غيابها وتوقانها بعد امتلائها فمن هاهنا عرجت نفوس العارفين إلى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة والرياض الخضرة وكل[5] ما سوى ذلك عذاب عليها مما تحن إليه من أمرها الأول الذي تشمله الغيوب وتستأثر به المحبوب.

ويحك إن إشارته إلى الصفة إشارة لا يشارك فيها غيره[6] ومراده فيها ومنها

---

(١) في ط: فلما.
(٢) في ط: تقاربه.
(٣) في ط: إنيتها.
(٤) ليست في خ.
(٥) في ط: وكان.
(٦) ليست في خ.

هو ما استأثر به عليها فمن كان مستترا أو ذاكرا لها أو مختصا بها كان لا ينبغي للمراد بذلك حضور البوادي عليه ولا البواعث منه إليه ، فتأمن صفته عن الفناء بحقيقة ذاهبا عن الحضور ما هو به اقتدارا من الغالب له القائم به المستولى عليه حتى إذا حضر وأشهد ضمن حضوره الاستتار وانمحت في شهوده الآثار حتى لا يجد السبيل إلى درك الشقاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى كذلك يرى في صفته العليا وأسمائه الحسنى ، وإنما جرت سنة البلاء على أهل البلاء من هاهنا حتى جاذبوا وأقاموا ولم ينخدعوا أقيم عليهم ما محقهم في نفس القوة وعلو المرتبة وشرف النسبة .

قلت : فما أعجب ما أخبرتني به وإن أهل هذه النسبة العالية ليجري عليهم البلاء فكيف ذلك حتى أعلمه؟

قال : افهم لما طلبوه في مراده ومانعوه عن أنفسهم فطلبوا له في استيلاءه عليهم بساط البلاء على صفاتهم لأن لذة الأشياء فيهم سترهم به ليقضوا بإنيتهم ويحترفوا بحسوسهم ويلذوا برؤية أنفسهم في مواطن الفخر ونتائج الذكر وغلبات القهر وأنى لك بعلم ذلك ، وليس يعلمه إلا أهله ولا يجده سواه ولا يطيقه غيرهم أو تدرى لما طالبوه ومانعوه فتوسلوا به بما منه بدا إليه واستعانوا في التوسل بالحقائق عليه لأنه أوجدهم وجوده لهم وثبت فيهم وعليهم غيب سرائره الواصلة إليه فانمحت الآثار وانقطع الأوطار حتى توالت النسب وتعالت الرتب بفقدان الحس وفناء النفس ثم أحضرها[1] الفناء في فنائهم وأشهدهم الوجود في وجودهم فكان ما أحضرهم منهم وأشهد من أنفسهم سترا خفيا وحجابا لطيفا أدركوا به غصة الفقد وشدة الجهد لاستتار ما لا تلحق به العلل إحضار ما يلحق العلل به وتليق الآثار بصفته فطالبوه فيما كان مطالبهم وما يعرفه من نفوسهم لأنهم حلوا بمحل القوة ونالوا حقائق الحظوة فأقيم عليهم منهم لهم فنشأ منه فيهم تمام كان ولا كان على الصفة وإن كانت غصة البلاء تزيد .

قلت : فصف لي تلوين البلاء عليهم في موطنهم العجيب ومنزلهم القريب؟

---

(١) في ط : أحضرهم .

قال: إنهم استغنوا بما كان بدا فخرجوا عن الفاقة وتاركوا المطالعة وألبسوا الظفر بجهد الاقتدار وصولة الافتخار وكانوا بذلك ناظرين إلى الأشياء بما لهم دون التعريج على ما له بإقامة الفرق والفصل لما رأوا ووجد ما بالعينين فاستولى الأمرين فإذا بدت عليهم بوادي الحق ألجأ منه لهم مما لهم على التجريد اقتداراً وافتخاراً خرجوا عن ذلك غير مشاكيين له مؤثرين لما انفردت به متعتهم دالة عليه ويقينا بالسماحة لا يرون رجوعًا عليهم ولا مطالبة تجرى عليهم فإذا كان ذلك أحاط بهم المكر من حيث لا يعلمون.

قلت: قد أغربت على عقلي وزدت في خبائي فادن من فهمي؟

قال: إن أهل البلى لما اتصلوا بحادث الحق فيها وجارى حكمه عليهم تغربت أسرارهم وتاهت أرواحهم عمر الأبد لا تأويها المواطن ولا تجنها الأماكن تحن إلى مبتليها حنينا وتئن بفناء النأي عنها أنينًا قد شجاها فقدانها وذللها[1] وجدانها أسوفة عليه موجعة لديه متشوقة في الوجد إليه أعقبها بها ظمأ ويزيد الظمأ في أحشائها نماء فهي الكلفة بمعرفتها السخية بفقدها أقام لها عطشها إليه مع كل مأتم مأتمها ورفع لها في كل كسوة علما يذيقها طعم الفقر ويجدد عليها رؤية احتمال الجهد مما له مع آثار المؤن تواقة إلى ممثلات[2] الشجا طلابة لشفائها متعلقة بآثار المحبوب فيما يبدو وكل أبعاد تراه بعين الدنو خفيت خفاء لفقد سترها فما استترت وابتلاها فما نكلت وكيف تستر وهي مأسورة لديه محتبسة له بين يديه سمحت له بهلاكها فما أبدا عليها من ابتلائها ولم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبه وتعلقا به في محل قربه ترى مقادير الألحاظ منه في سرعة يقظتها يستغرق هلاكها بالجاري عليه في دوام البقاء وتشديد البلاء حتى أمتعها بلاؤها وآنسها به بقاؤها لما رأته قريبا لمنعها واتيا بلسعتها فلم تلو عن حمله كلالا ولا برمت ملالا هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسر إليهم أقاموا في قهره انتظار أمره ليقضي الله أمرا كان مفعولا وأهل البلاء انقسموا[3] على قسمين فمنهم من أوى إلى بلائه فساكن مراده

---

(١) في ط: ذلها.

(٢) في ط: مثلات.

(٣) في ط: يقسمون.

وما بلي هواه في الأشياء إيثارا لمتعة نفسه وتمتعه بوجود حسه حتى أنكى به ومكر به وأزال بالمكر عنه مزايلة حاله واعتد ببلائه شرفا ورأى أن سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف.

تم كتاب الفناء وكانت النسخة المنقول منها نسخة أعجمية كبيرة السقم جداً فلنتوقع نسخة مرضية للتصحيح بها إن شاء الله تعالى والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

كتاب الميثاق

كتاب الميثاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

من كلام الجنيد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الحمد لله الذي جعل ما أنعم على عباده من أنواع نعمته دليلا هاديا لهم إلى معرفته، بما أفادهم به من الإفهام والأوهام التي يفهمون بها رجع الخطاب أحمده دائما ديموميا، واشكره شكرا قائما قيموميا وأشهد أن لا إله إلا الله الفرد الفريد الأحد الوحيد الصمد القدوس وأشهد أن محمداً ﷺ الكامل بالنبوة والتام للرسالة صلى الله عليه وعلى آله أجمعين. ثم إن لله عز وجل صفوة من عباده وخلصاء من خلقه، انتخبهم للولاية واستخلصهم للكرامة وأفردهم به له، جعل أجسادهم دنيانية وأرواحهم نورانية وأوهامهم روحانية وأفهامهم عرشية وعقولهم حجبية، وجعل أوطان أرواحهم غيبية في مغيب الغيب، وجعل لهم تسرحا في غوامض غيب الملكوت، ليس لهم مأوى إلا إليه و لا مستقر إلا عنده، أولئك الذين أوجدهم لديه في كون الأزل عنده ومراكب الأحدية لديه حين دعاهم فأجابوا سراعا كرما منه عليهم وتفضلا أجاب به عنهم حين أوجدهم، فهم الدعوة منه، وعرفهم نفسه حين لم يكونوا إلا مشيئة أقامها بين يديه، نقلهم بإرادته ثم جعلهم كذر أخرجهم بمشيئته خلقا، فأودعهم صلب آدم عليه السلام، فقال جل وعز: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقد أخبر جل ذكره أنه خاطبهم وهم غير موجودين بوجوده لهم إذ كانوا واجدين للحق من غير وجودهم لأنفسهم، فكان

---

(١) المخطوط من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، رقم: ١٣٥ تصوف.

(٢) جاء في ط بعد البسملة: قال كاتبه: يليق بهذا الكتاب أن يسمى كتاب الميثاق، ولسهل رحمه الله كلام في ذلك سمي بكتاب الميثاق.

معنى ذلك أن تؤدى الحقيقة من الحق ما يشاء كيف أثبت بهم وعليهم وقام عنهم بما لهم وثبت دواع ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه فوجد النعيم من غير جنس النعيم ووجد البلاء في معلوم النعيم ووجد الوجود في غير سبيل الوجود باستتار الحق واستيلاء القهر.

فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبي الذي لا تحاسه النفوس ولا تقارنه المحسوس ألقت فنائها عنها وطرحتهم في مفاوز مهلكات بلواها ثم ألفت بعد الفهم للفناء فناء لأن لا يجدوا طعم معلوم ولا يستريحوا إلى موجود، (امتلأ بهم)[1] بلا إشارة إلى صفاتهم، ولا رسوم من رسوم الموصوفات إلى البواعث منه إليها، وامتحت شواهده في الآثار حين لا يوجد السبيل إلى درك الشفاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى كذلك من في صفته العليا وقوة شاهده بوارد سلطانه وإنما جرت البلاء على أهل البلاء حين جاذبوا وقاموا وثبتوا ولم ينخدعوا أقيم عليهم ما محقهم في نفس القوة وعلو المرتبة وشرف المنزلة وسنا النسبة ثم أحضرهم الفناء في فنائهم وأشهدهم الوجود في وجودهم (سترا خفيا وحجابا لطيفا)[2] أدركوا به عظم الفقد وشدة الاستينار ما لا يليق العلم ولا تليق[3] الآثار بصفته فطالبوه فيما كان مطالبهم ومانعوه ما كان بمانعهم وتعرفوا منه ما عرفوه إليهم لا بهم حلوا بمحل القوة ومالوا حقائق الحظوة، وتعالوا إلى حقيقة الحضرة فأقام عليه شاهدا منه فيهم، وأدركوا منه به ما أدركوا، وأوقف كل واحد منهم عند إدراكه وأفرد كل ما أنفرد منه تعالى الله عن صفة الخلائق وعز أن تشتبه الخلائق علواً كبيراً.

تم بحمد الله ومَنِّه.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) ليست في خ.

(٣) ليست في خ.

في الألوهية

في الألوهية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام الجنيد قدس الله روحه في الألوهية

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: اعتزل الحق بهم، وجردت الألوهية لهم، فحان أول وارد الحق بتأدية شواهد إبرازه لهم، وإنزاله إياهم في أول الألوهية أنزل الأزلية على سرمد الأبد في ديمومية البقاء إلى ما ليس له غاية ولا منتهى، ثم أتبع مع ذلك بشاهد منيع العز وطول الفخر وظهور القهر وشامخ العلو وقاهر السطوة وشدة الصولة وعظيم الكبرياء وجليل الجبرياء فاعتزل منفردا بذلك، وتكبر وتعالى بالعظمة فكان الحق بالحق للمحسق قائمًا، وكان الحق بالحق للحكم حاكما وتوحد في تفرد جبروته أحدا فردا صمدا.

وهذا أول شاهد إنزاله من أنزل في غلبة هذا الاسم عليه، وأحله به لديه، وتابع مع ما ذلك ما أمكن في أجنان صونه[2] به له من أسمائه الحسنى ما وقعت إليه الإشارة، وما لم يقع من أسماء الجمع والتفرقة على ما شاء من الإبداء والإخفاء، فمنها ما بدت في شواهدها وظهرت في مطالبها وعلت في مذاهبها وسرحت في مساكنها، وترددت في مراكبها.

ثم تفاقت[3] النعوت بجواز الاحتواء على ما تكيفته الحقيقة، فسترته، وكمنت فيه فغيبته، وطوت عليه فكتمته، وتمكنت منه فأتلفته وغلبت عليه فقهرته، ثم تذهب بواديها على الانفصال من غير انفصام، وعلا[4] من غير جنس النظام فعلا بظاهره وبظافر أبداه لتمكين إحجامه فتصاول عند ذلك الصول وتفاخر الفخر وتقاهر القهر فأين الأين عند ذلك وليس حين إنيه، وأين ذهاب الأين على دوام أزليته، وأين ما لا أين له ولا أين فيه على تفرد الألوهية، وهو بعض ما لوح الحق به في اسم الجمع.

---

(١) المخطوط ضمن رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم: ١٣٤ توحيد.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) في ط: تفانت.

(٤) في أصل المخطوط: وعلا بالألف.

ثم يجرى فيهم ما توقع منهم به النظر في شواهد ما لاقى الحق به من هذا نعته على اسمه المنفرد وعلمه المجرد، فهذه إشارة ما لا يقع به الشرح أكثر، ثم لا ينال فهم ذلك من جنس الإشارة إلا بتقدم الكون في ما تقدم بـه النعت وقد طويت ما فيها ولم أفصح به، فخذها من حيث لا تنـال به إلا بـه إن أدرك الحق بإدراكك في إدراك، ومن بعض ما أوجد الحق في اسم التفرقـة أن حبس بـه إظهار ما ألبسهم وألبسهم إظهار ما به حبسهم، فكانوا في ابتدائه[1] شـواهد مكنـون إخفائه فكلما طالعهم بما لاحظهم أرمس مستدرك المكان بكون خفي الكتمان ولهم في شواهد ما يطالعهم به على ترادف ما أطلعهم به عليه.

ثم يطالعهم فيما به يطالعهم مطالعات سر المحترز المرتجف عليهم بـه في إظهار ما كمنه[2] وذلك قبل أن يشرف بهم على حجاب غريب هذه الصفة ثم يبدي لهـم شـواهد البـذل ومستعطفات سـوابق الأمر ويظهر لهـم به عند إقباله بـه عليهم وإجلاله منزلة لديهم بأنباء كـون دوارك الوفـاء والاحتـواء علـى كـل محبـوب ومطلوب ومرغوب باستتمام كمال المصافاة واتحاد منح الموالاة، ثم يعطف عليه في قرار أمن ما أحلهم فيه بإشهاده إياهم الغيبة عنهم والأخذ بما أقبل به عليهم وانتزاع لكل ما آنسهم من منحه وعطف عليهم من بذله وأوقف عليهم لما يريـد أن يبلغهـم إليه ويطلبهم به أضداد الشواهد المتقدمة فلو رأيتهم بعين إشهاده إياهم وكـون فيمـا فيه أحلهم لرأيت رهائن من أشباح أسرى واحتياج جوائب أرواح سري.

كيف قد رهقوا بالمحق في ملكوت عزه وأرهقوا بفرط ابتلاء الحق لهم بفقده مما هم به منه يصرخون، وبه إليهم في غمرات الكرب يضجون، قد جمع أنفاسهم في أنفاسـهم وحبس أرواحهـم في أرواحهـم فهـم بـه عليـه يـترددون ومنـه بـه إليـه يتوحدون، وهذا بعض علم التوحيد مما لوح إليه به صفوته.

تم بحمد الله ومنـه وصلـى علـى محمـد وآلـه وسـلم تسـليما. وكـانت نسخة الأصل أعجمية سقيمة جدا فلنتوقع نسخة صحيحة للمقابلة إن شاء الله تعالى.

---

(١) في ط: إبدائه.

(٢) هكذا في الأصل.

كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي

كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي رحمهما الله تعالى[1]

أوتيت من العلم والحكمة أعلى منازله وتناهيت من الرسوخ في المعرفة إلى غاية أماكنها، وأدنيت في مجالس القرب إلى أزلف مواطنها وتبوئ بك من كمال جوامع الأنباء إلى استيعاب معالمها فجرى ذلك لك بالتمكين وأنت مستبصر وعلوت في سمو انتهائه مشرفا مستظهرا قد تضمنته بقوة الاشتمال عليه فأفضوا[2] إليك واستغنيت عن السعاية إليه بمنيعة صولة التمكين، لأنك ذلك كله بواضح الحق مستبين، ولأنك فيما اختلفت فيه من العلم على صحة اليقين، وجعلك الله مع ذلك من سعد به إخوانه، ونالوا البغية من العلم بوصفه وبيانه وانكشفت لهم الحقائق المشفية، من تعبير لسانه، وأنس منهم من غاب أو حضر بشرف مكانه بل جعلك الله نورا يملأ بسنا ضيائه الخافقين ويلوح مضيئا طالعا على سائر الثقلين فينال عند ذلك كل فريق منهم حظه الكامل ويصل إلى مراده الشامل الفاضل حتى تكون هذه الظواهر أموره التي ألبسها وبوادي أحواله التي أريد بها وقد نظر فيها، فوقفت به الضنة عن ظهوره وتضمنه الصون والحجبة والكتم عن حضوره وذلك سر تضل العقول عن الإشارة إليه، وتنقطع الفهوم عن شيء من المورود عليه. هيهات، هيهات طمست عن ذلك أطواق كوامل العلماء وضلت عنه مقاليد أكابر الفهماء فهو في تفرد توحده علي ويعزل قيومته تجرده، فكم من مومئ إليه بتوهمه، ومن مظهر التحقق به بالطيب عنده أن يعرض لينطق به تلجلج لسانه وتحير عند الإيماء به

---

(١) من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، برقم ٣٩٦ تصوف، ٢٢٧ تصوف، ١٣٥ تصوف، ١٣٤ توحيد وعمرو بن عثمان المكي وهو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، وكنيته أبو عبد الله كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة ولقي أبا عبد الله النباجي وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء. وهو عالم بالأصول وله كلام حسن مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال: سبع وتسعين والأول أصح. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، ص: ٢٠٠ - ٢١٠، وانظر أيضا: ترجمته في حلية الأولياء، الجزء العاشر، ص: ٢٩١ -٢٩٦، وطبقات الشعراني، الجزء الأول، ص: ١٠٤، والرسالة القشيرة، ص: ٢٨، وشذرات الذهب، الجزء الثاني، ص: ٣٣٥.

(٢) في ط: فأفضى.

إلى بيانه، ويظن الجاهل إذا سمعه أنه قد أصاب وهو في عمياء مظلمة عند الخطاب يكون في دعواه وحقيقة الحق تدفعه ويوهم بوصفه السامع في القصد إلى ما يقع الفهم به في النفاد فيما أمر به والترك لما نهى عنه، وذلك بعض حق العلم على من حمله، فمتى اقتضيت لنفسك نفع[1] العلم لها قبل إعطائك منها، حق ما للعلم واجب احتجب عنك نفحه ونوره وبقي عليك رسمه وظهوره وذلك حجة للعلم عليك وإن كان رسمه ظاهر لديك فاحذر أيها الرجل الذي قد لبس من العلم ظاهر حليته، ظاهر لديك، وأومئ المشيرون إليه بجميل لبسته وقصر عن العمل[2] بمحض حقيقته ما وقعت به الإشارة إليك، وانبسطت به الألسن من الثناء عليك، فإن ذلك حتف لمن هذه الصفة صفته وحجة من الله تعالى عليه في عاقبته، فلما سمع العالم من الحكيم ما نطق به وقرع سمعه بيان ما شرحه له أطرق مفكرا ثم انتحب بعد الفكرة باكيا، فطال بكاؤه وعلا نحيبه واشتد اضطرابه فأقبل عليه عند ذلك الحكيم فقال له: الآن حين بدت شمس الحكمة تطلع عليك وواضح نورها يصل إليك، وعند ذلك تنجلي عنك ظلمات ما أعرضت عنه من علمك وأغفلته من موانع العلل لفهمك وإني أؤمل بذلك صلاح ما أفسدته والتلافي لحفظ ما ضيعته، فلما سمع العالم إقبال الحكيم عليه بذلك سكن من اضطرابه وهدئ من شدة بكائه ثم أقبل على الحكيم فقال: زدني من دوائك هذا فقد لاوم جرحي، وقويت الأطماع في الوقوع لحجتي فخلصني[3] بلطيف حيلتك ورفيق حكمتك من وبال ما أنت أعلم بما كمن منه في سري واستتر عني من خفي هوى الشر فقد انطوى عني في سالف الأوقات الماضية خفي مستبطنات كانت في السرائر كامنة وكشفت لي عنها بجميل نعتك وأوقفتني على ما بطن منها بلطيف رفقك. قال له الحكيم: تحمد الله أبدا فيما أنعم به عليك من اطلاعه إياك على ذلك وإيقافه لك على مواضع خللك، فكن بالذلة[4] بين يديه خاضعا وافتقر إليه بالاستنكانة والخضوع ضارعا فإنك تلفاه لخفي (لا تخفى) مناجاتك له سامعا وإنك إذا كنت كذلك كان لك إليه شافعا، واعلم مع

---

(١) في ط: يقع.

(٢) في ط: العلم.

(٣) فتخلصني.

(٤) في ط: بالذل.

ذلك أن ألسنة الحكمة لا تنطق إلا من بعد أن يؤذن لها وإذا نطقت وقع النفع لمن أسمع بها وإنما مثل ذلك من فضل الله على خلقه، مثل غيث سمائه الذي إذا أنزله أحيا به ميت أرضه، أما سمعت الله تعالى يقول ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٥٠] وكذلك يحيي الله تعالى بألسنة الحكمة ما أمات الإعراض عنه من قلوب أهل الغفلة. قال العالم لحكيم: أجل إن الذي وصفته كما وصفته وإني أومل من الذي ابتدأتني[١] بلسان حكمتك وجاد علي بعطف[٢] رحمتك أن استنقذني[٣] من وبال التقصير بدلالتك وتخرجني من ذلة التخلف بمصادفة رؤيتك، وقد علمت الآن أن أربي إلى التكشف لي عما لزمني من وبال تركي للعمل بعلمي وتخلفي عما أوجبه حق العلم علي وعما استتر في نفسي وانطوى بالاستخفاء في سري ما لم أكن له مدركا ولا بما معي من العلم عليه واقفا وقد أشرفت الآن بقدر ما أيدني الله تعالى به منك ومن به علي وكشفه لي بأسبابك على بعض ذلك فبعلمي بالقليل من ذلك علمت أن علي منه كثيرا لم أدركه وخفيا مستنبطا لم أره ولم أعرفه فاكشف لي أيها الحكيم من أمري عما أنت أعلم به مني فإن الطبيب أعلم بداء السقيم من نفسه وأحق أن يصف له من الدواء ما يكون سببا لبرئه. قال الحكيم: قد بدت مطالعات الفهم تلحقك بمعرفة ما عليك من ذلك ولك وبدت أوائل معاني الصحو تلوح لعقلك وبدت أوائل الإفاقة تسنح[٤] بحركاتها لبعض ما في سرك واعلم أن ضرر الأديان أشر من ضرر الأبدان وسقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام، لأن علل الدين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبوار وموردة لأهلها على النار ومؤدية إلى سخط الجبار وما عدا ذلك إلى غيره وكان واقفا فيما سواه من الأمراض والأسقام الكائنة في الجوارح والأجسام فذلك ضرر يؤمل برؤه ويزول مكروهه وشره ويرجى من الله تعالى ثوابه وأجره واعلم أن الطبيب العالم المجرب والحكيم الناصح المؤدب أعلم بزيف الأبدان والعلل المخامرة بآفاتها للأديان لأن

---

(١) في ط: انتدبتني.
(٢) في ط: تعطف.
(٣) في ط: تستنقذني.
(٤) في ط: تسعى.

المعبر عنهما يعبر عما يجد من ذاته والواصف مقصر عن بلوغ نعته لذلك مختلف عن الوصف لما هنالك ووصف المتطبب الخبير المجرب البصير يكشف لأهل الأمراض عما وجدوه وينبئهم عن زوال ما فقدوه حتى كان الموصوف بعبارة اللسان منظور إليه بحقيقة العيان وإني أصف لك على أثر ذلك أمورا تقوى لك حالك وتبلغك غاية البغية من سؤالك والقوة بالله العظيم أعلم أيها المنسوب إلى العلم بوقوع الصحو لك تبين حيرة السكرة وبكون الإفاقة تقف على وقت الغمرة وبصحة الذكر ينكشف لك وبال الغفلة وبالسلامة والعافية يتميز لك وقت العلة فاعلم أن ذلك كله مشغل في حين كونه عن حقيقة معرفته صار لأهله بما لبسهم منه عن وجود حيرته إلا بحملة علم مزاجه ، واللبس والظلمة ليثبت الله تعالى بذلك عليهم الحجة فخل عن نفسك أيها المعنى بها والحريص على تعجيل استنقاذها وبال السكرة والغمرة والغفلة والحيرة باستعمال ما أصفه لك والإسراع إلى ما أحسك عليه والمبادرة إلى ما أشير به إليك فإن صحة الصدق وجودة القصد يؤديانك إلى المحل الذي هو باب المدخل فيما تحبه والمخرج مما تكرهه .

ولن يحجبك عن بلوغ ما تريد والقوة بالله إلا بتقصيرك عن المجاهدة في واجب حق السعي عليك فأحذر ثم أحذر أن تكون على شيء من ذلك مقصرا أو ألقاك وقتا وأنت عنه فاترا راجع فإن مطيتك الموصلة لك إلى بغيتك صدقك في إقامة المناصحة في محل مجاهدتك فقد أوقفتك على وجه المنهج والمدرجة وقربتك من المسير على أوضح المحجة .

واعلم أيها الرجل الحاذر المحسوس المبادر أن الإقامة المانعة لك ولنظرائك بعد الحمل للعلم وطول السعاية فيه ودوام العناية بجمعه والاستكثار من الحمل له الميل إلى التأويل والدخول به فيما خفي من النفس من الميل إلى الدنيا والركون إليها وهم في ذلك على معاني مختلفة فمتأول متبين الإغماض والإعراض فيما استكن في خفايا نفسه فمضى فيه على ما عليه منه والعلم بنكته ولا يتركه في كثير من الأوقات ويستتر ذلك عليه في بعض أوقاته ، ومتأول قَصَدَ قَصْد الصحة والتحقيق فيما تأوله ولحقه في ذلك الميل من حيث لم يستدركه وانطوى عليه ما عليه فيما قصد له وكان عنده إن الذي عمد له وتأوله أولى به من غيره فمضى على ذلك

وهذا نعت حاله فكان مما قصد له في التأويل على معنى الصفة الأولى التي تبين لصاحبها خفي إغماضه وطوى ما في نفسه إذ جعل العلم ذريعة وسببا إلى ذلك، فلبس حليته وتحمل بلبوسه وأظهر بالتأويل أثرا العلم ودعا إليه ونصب نفسه للشهرة به ليعلم الناس ما علم منه، فلما عرف موضعه ومكانه وسمع منه وأقبل الناس عليه نحوه استحسن اجتماع العوام عليه وثناء الجاهلين بما ليس فيه فقوي عليه بذلك سلطان التأويل وأوهم نفسه حظ اجتماعهم وانبساط ثنائهم وكثرة تعظيمهم وحسن قبولهم له بما ظهر من نفسه وتحسن به مما يعلم الله تعالى منه خلاف ما أسره وأضمره فيما[1] استوى له ذلك عند العوام والجهلة.

وكثرة حمد الحامدين بالغلط والغفلة مال إلى ما في نفسه من أخذ العوض على ما نشر من علمه ورضي بما تعجله من ذلك ثوابا لعلمه وصار بائعا للعلم بالثمن اليسير والخطر القليل ورضي بالدنيا عوضا من الآخرة ومن ثواب الله تعالى على الأعمال الصالحة في جملة من ذمه الله تعالى في كتابه وقص علينا من بيانه على لسان نبيه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فذمهم الله تعالى وقص علينا في كتابه وصرح بذلك إلى العقلاء من عباده وبينه بيانا محكما قويا لئلا يكون لمحتج في ذلك حجة ولا لقائل فيه مساغ ولا مدافعة.

ثم إن الله تعالى قص علينا قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبرنا بما نعتهم به وبما أخذ عليهم من ترك الدنيا والتشمير إلى الآخرة وألا يأخذوا على شيء من ذلك ثمنا ولا يريدون عليه أجرا ولأن حق العلم وحق تأديته إلى الخلق ألا يكون لشيء منه جزاء إلا ثواب الله عز وجل عليه والجنة التي جعلها دار من اتقاه وأطاعه.

---

(١) في ط: فلما.

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وكذلك قص علينا في قصص الأنبياء عليهم السلام قول[1] نوح ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]، ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى، وهذه سيرة الأنبياء عليهم السلام في الأمم وسيرة العلماء في الناس أن لا يأخذون على شيء من العلم ثمنا ولا يطلبون على شيء مما يعلمون أجرا وسيما ما أخذه العلماء على العلم سحتا وسيما ما أخذه الربانيون والأحبار مع نهيهم عن ذلك فقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] والأخبار في النهي عن ذلك كثيرة والاستقصاء في ذلك من الحجة يطول وصفة وقد تبين لك ما بعض ما فيه كفاية وبلاغ والله الموفق. وأما الطوائف التي تأولت ورأت أن الذي تأولته هو الحق فإنهم قوم لحقهم الزلل من حيث غابت عنهم علم الحقيقة ونالهم من المشكلات التي لا تبين لأهلها إلا بعد التورط فيها والانغماس في مكروهها جعل القوم أئمتهم فيما تأولوه رجال قلت مناصحتهم لأنفسهم ولم يصادفوا صواب الحقيقة فيما عمدوه. قالوا بالحق إلينا فيما علمناه أشد الحاجة وعلمنا إقامة الحق في سائر الخلق فمن ذلك تقدم الأئمة والمشورة عنهم والتقوى منهم وكذلك الأمراء والرؤساء وعظماء أبناء الدنيا، فجعلوا السعي إلى الخلفاء والأمراء والحكماء وعظماء أبناء الدنيا عملا لهم يحتسبونه ويؤملون ثوابه وجعلوه من أجل الأعمال وأعظمها قدرا وأوفرها عند ربهم ثوابا فحملوا العلم إليهم وطرقوا به أبوابهم وسعوا بما حملوه منه إلى من يطلبهم له ولم يدعهم إليه ولم يعرفهم به فلحقهم في أول الأمر ذل السعاية والتوسل إلى الحجاب ومهانة الوقوف على أبوابهم فمن بين مأذون له ومن مردود وقد لحقتهم المذلة وعلتهم

---

(١) في ط: قال.

العقوبة ولبستهم الذلة ورجعوا بخضوع المذلة ولم يزالوا كذلك في نصب الغدو والرواح وذلك بسبب الهلكة والاجتياح حتى وصلوا إلى الذين قصدوا ونسوا الإله الذي عبدوا وأوردتهم الغفلة والنسيان موارد الأموات وغمرتهم كثرة العلل والآفات واتصلت بأبصارهم وقلوبهم فتنة ما أعد أبناء الدنيا لأنفسهم وآثروه على أمور آخرتهم من بهجة رونقها ونضرة زينتها ولوعة زهرتها ، واعلم أيها الباحث عن واجب العلم وشرفه وطالب المصافاة[1] بخالص العلم[2] والأعمال لسيده ، أن إقدام القوم عن مناهج الحقيقة انحرفت وأن قلوبهم على صحيح الإرادات ما استوت وأنهم مالوا بخفي ما في النفوس على جميل ما أظهروه وإلى محبة علم الخلق به وتعظيمهم عليه وإجلالهم من أجله وأحبوا اجتماع الخلق عليهم وإشارتهم إليهم حتى تصوب آراءهم. وتصدق أقوالهم وتكبر غايتهم ويتصل الثناء عليهم[3] وأن قصر عن شيء من ذلك عنهم كرهوا وإن لم يقع لهم ما يحبون غضبوا ولا تسل عن فرط الغضب منهم والرضا والتعتب منهم على من خالف مواقع الهوى وصفهم بكل ما هم فيه يطول به الشرح ويطول به الكلام وقد شرحت لك من وصفهم ما انبسط به لساني واجري لك من نعتي وبياني وفي ذلك كفاية.

فالبس الآن أنت[4] جلابيب الحذر وتدرع بأدرع الخوف وخذ على نفسك جنة التقوى وقم لله تعالى على نفسك بدوام الرعاية ودوام التفتيش وشدة المحاسبة وجودة التحصيل وصدق البحث وصل سرك مع ذلك بدوام الذكر وقوى الفكر فكن ممن جاهد في الله عز وجل حق جهاده ، وممن أثنى الله تعالى عليه من صالحي عباده ، مع ما يقع لك من الوعد الجميل والثواب الجزيل ، قال الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾ [النساء : ٦٦] فهاتان آيتان موجبتان لمنالات الخير ووقوع الهداية والرشد فخذ بحظك الأوفر

---

(١) في ط : والطالب بالمصافاة.

(٢) في ط : الأعمال.

(٣) في ط : لهم.

(٤) ليست في خ.

من العمل بهما واللزوم لما أمر الله تعالى فيهما وكن على حذر من موافقة شيء مما تقدم به النعت من ذلك التأويل وخطأ الرأي فإن ذلك مؤدى إلى إحباط العمل وشدة الندامة في المنقلب. قال له العالم: أيها الحكيم قد أتيت على الذي في نفسي وبلغت مدى ما كان يجول في صدري وزدت على ذلك من الوصف أشياء عرفت فضلها وانكشف لي صواب العلم بها وأرجو أن يكون ذلك من فضل الله تعالى علي ورحمته وقد جعلك الله تعالى سببا لتنبيهي عن أمور لولا منة الله تعالى علي بك فيها لذهب بي التقصير عن العلم بها حيث ذهب بمن تقدم وصفك فاوقفني على حقيقة علمك بها على ذلك وخطأ رأيه وقد أنعم الله علي بما أيدني به منك وعظم عندي قدر ما جعلك الله له أهلا وموضعا من شرحك لما تقدم من نعته ووصفه من أحوال الطبقات الثلاثة المتأولين ووقع لهم من الخطأ في القصد والميل بالعمل إلى غير منهجه وإلى الإنحراف فيه عن سواء السبيل وقدر احتجت أن تصف لي مقام العاملين لله تعالى بحقيقة العلم القائمين بحقه الصادقين فيما حملوا منه وفيما قلدوه من ناديه الممدوحين بنشره وبما نقلوا إلى من دونهم منه والمحتسبين في تعليمهم الناس على صحة الإرادة وإصلاح النية وجميل السيرة الذين لم تمل بهم الأطماع ولم يفتنهم الاختراع ولم تعرج بهم الأهواء ولم تسترقهم إرادات النفوس ولم تعطف بهم الدنيا ولم يجر عليهم الزلل والخطأ وكانوا في ذلك كله على صحة المعنى. قال الحكيم: أبشر بما فتح الله تعالى لك من باب السؤال ويسرك له من صحة المقال فإن ذلك إن شاء الله تعالى سبب لك إلى ركوب الأعمال ومباشرة جميل الأفعال ومؤديا لما أومله لك إلى تمهيد صدقك وأخلص الإرادة منه تعالى في حقيقته قصدك واجعل توسلك إلى الحكمة واستدعائك لما تحب منها تحصين سرك من العلل المانعة عنها وأصلح الضمير بإجمامه لما يحب لها. فإن الحكمة لمن اشتملت عليه فيها الرغبة واستولت على خالص سره المحبة أشد عطفا وحنينا وميلا من الأم الشفيقة والأب الرفيق وكأني مع ذلك أرى سحابا من العلم غدقة منبسطة عليك مؤنقة قد أظلك غمامها وقويت لك الآمال باستمامها واستمطر الغيث الكائن فيها بدوام الوقوف بحضرة فنائها وأدم الاستغاثة بمنزل الغيث ومنشر السحاب وكاشف الضر ومعتق الرقاب واعلم أنه جل ثناؤه يحيي بقطرة من غيث رحمته موات ما أنزلها لها عليه من بريته

فتحر طلب الحياة يكون السقيا فإن أوائل تلك الغمام توجدك الشفاء وإن غدق ما بها يغسل عن سرك الميل إلى الدنيا ومباشرته بجسمك يغسل عنك سائر الأدواء وذوقك لسائغ طعمه يميت من نفسك الهوى، واعلم أن الله تعالى إذا أراد عبدا سهل له السبيل ووطأ (له التنقيل)[1] وأسرع به في الترحيل وبلغه المنزل الفضيل ومنحه الحظ الجزيل وإني أؤملك من الذي عرضك لنجيح السؤال وصحيح القصد في المقال أن يبلغك بفضله عليك ورحمته إياك منازل المسبحين من أوليائه والأصفياء المستخلصين من عباده وأنا واصف لك إن شاء الله تعالى ما سألت عنه من نعت أهل الحقائق من أهل العلم العاملين به الصادقين في القصد إليه المجتهدين في إقامة حقه المريدين للعلم لما وجب عليهم منه. الذين لم تفتنهم فيما قصدوه أطماع الدنيا ولم تمل بهم عن الأخذ بحقيقته ولم يستفزهم الغواة من الأعداء أؤلئك حزب الله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] اعلم أن أول ما أوتوا المحققين من أهل العلم من العمل في أول الطلب، فلم يبيحوا أقدامهم السعي ولم يتحركوا في ذلك بالجوارح إلا من بعد ما أحكم جميل النظر لهم بالانبساط فيه فسعوا فيه على أصل ما أدبهم العلم به في أول الأمر ومضوا على صحة الحال وشهادة العلم بذلك والزم صحة ما يبدو به الحق، قلوبهم الأشفاق والحذر والتقية فضمهم وجود ذلك والزمهم حصر الجوارح وضبط السرائر ودوام الصمت وخافوا مع ذلك أن يكونوا قد قصروا عن واجب حق السعي في طلب العلم واشتد تحصيلهم على النفوس وصحبهم جميل الذكر ودوام الفكر في مواطن السعي فحماهم ذلك عن الانبساط عن معاشرة الطالبين له والساعين معهم فيه، فكانوا بحال والحاضرين معهم بحال كلما بدا من غيرهم لغو أعرضوا وكلما بدا من سواهم غفلة أو لعب خافوا وحذروا وكلما ظهر لهم من غيرهم مزعج يجري إلى تأكيد حالهم وتشديد خيطهم لما عليهم يدعون لمن حضرهم بالسلامة ويحبون لهم الصلاح والاستقامة لا يؤذون الناس ولا يحقرونهم ولا يغتابونهم ولا يزمونهم بل يشفقون عليهم إذا رأوا منهم الزلل ويدعون لهم إذ بدا منهم الخلل يعرفون المنكر وينكرونه ويتجنبونه ويعرفون المعروف ويحبونه ويستعملونه لا يزدرون المقصرين

(١) في خ: بالتنفيل.

لكثرة وجوده ولا يغضبون من دونهم لما به من حالهم حمدوه بل يعرفون ذلك بدلالة العلم عليه ولا يخفى عليهم من القوم ما نسبهم الحق إليه فصواب ذلك وخطابه لهم بالعلم مميزا والسلامة من رؤية مكروه ذلك لهم صاحبا وفيما ألزمهم الإشفاق والتقوى شاغلا ولهم على طلب العلم مقيلا ألسنتهم بحمد ربهم عند سماع العلم ناطقة، وقلوبهم إلى اعتقاد العمل به مبادرة وآذانهم بحسن الإصغاء إليه سامعه وأبدانهم بالخدمة لله تعالى ساعية أحسنوا على جميل السيرة جمعه وبالوفاء بفضل الله تعالى عليهم فهمه ولم يزالوا بدوام السعي إليه[1] وشده الإقبال عليه وبكثرة اللزوم لمن العلم حضر لديه حتى أخذوا منه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر فلما بلغوا منه إلى ما به يستعينون وغاية ما إليه يحتاجون وبحقائقه في سائر الأوقات، يعملون ترجع[2] إلى تفتيش ما كتبوا وإلى البحث عما منه طلبوا فكان ذلك مانعا لهم من السعاية جامعا لهم إلى الخلوة بالعبادة ووقفت بالناس إليهم الحاجة وعرف موضعهم بجميل الإرادة وعرف أماكنهم من العلم وشرفت أحوالهم من الفضل وانبسط ذلك ونشأ وظهر ذلك وبدا فمن بين حال بعلمه متشاغل عن الخليقة بعبادته مؤثرا للعمل فيما فتح الله تعالى عليه منه ولا يريد بإدامة الخدمة لله تعالى بدلا ولا بما فتح ولا بالخلوة بما فتح الله تعالى من ذلك حولا ومن بين من حضرته في نشره العلم النية وقويت له على تعليمه العزيمة وسنحت له في ذلك رؤية الفضيلة فانبسط في نشر العلم محتسبا وكان في العمل لله تعالى بذلك مخلصا يرغب إلى الله عز وجل في جميل الثواب ويؤمل من الله تعالى جميل العائدة في المآب مصحوبا في ذلك بمصادفة الصواب إذا قال نطق بقوة العلم وإذا سكت، سكت بوقار الحلم وإذا قصد إلى اللسان قرب منال الفهم، وإذا كثروا عليه أحب نفعهم وإذا تفرقوا عنه نصحهم يؤدي إليهم ما حمل من العلم بلسان فصيح وبيان صحيح بقلب نصوح وقول صادق ولا يعجل على من جهل ولا يجافي من ذل أو خطأ ولا يوافق بالمرآة أحدا يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويحسن إلى من أساء إليه، ويتجاوز عمن تعدى[3] عليه، لا يريد على شيء من

---

(١) في ط: عليه.

(٢) في ط: رجعوا.

(٣) في ط: يتعدى.

أعماله من الخلق أجرا ولا يميل إلى مدحه ولا ثناء يجتهد لله تعالى في إخلاص أعماله ويريد وجهه بجميل أفعاله لا يقبل الدنيا ممن يبذلها له ولا يعرج على من انبسط بها إليه يضع الدنيا حيث وضعها خالقها ويغنيه منها ما قسمه له رازقه ولا يشتغل منها بما يزول ولا يعمل فيها بما لا يدوم منصرف بقلبه عن زينتها منحرف عن كل ما ادعى إليها من بهجة رونقها يكفيه ما قل وصفا ويجزيه ما سلم واستوى يوقف منها عند الشبهات وانصرف عن الأمور المشكلات بل هو للحلال البين تارك وفى الأخذ لما لا بد له منه مقتصد فقد أثر فيها وفى كل ما دعي إليه الزهد ولزوم الكد والعبادة يرحم من مال برغبته إليها ويرى لمن أقبل يطلبه عليها لا يراها حظا لمن طلبها ولا ثمنا يسعى من اشتغل بها ينظر إليها بعين زوالها ويقرب انتقالها فهذا محل الدنيا عنده ومكانتها في العلم بها لديه وهو مع ما وصفه لك دائم العزلة كثير الخلوة متصل الخدمة يجد راحة قلبه وقرة عينه وسر فؤاده فيما خلص من صالح العمل إلى سيده وأمل عائده ثوابه في معاده فإذا ظهر للناس في وقت اجتماعهم عليه وطلبهم العلم العتيد لديه ظهر بجميل النية وصحيح الإرادة فكان ذلك عنده بعض الأعمال المقربة الصالحة فهو لا يخلو من حال هو بها في الخلوة متعبدا وإلى الله تعالى فيما تقرب إليه مجتهدا ومن حاله أن يكون قد حضرته النية ويبرز للخلق فيكون للعلم ناشرا ولهم مما علمه الله تعالى معلما والوجل والخوف من الله عز وجل في أحواله والحذر والإشفاق دائما لا يفارقه يقوم بشرائط علمه ويعدل في قوله وحكمه هو من أقوم الناس بالأحكام وأعلمهم بالحلال والحرام وأبصرهم بشرائع الإسلام يقع على آثار المرسلين ويتبع سنن الأنبياء والصالحين لا يميل إلى بدعة ولا يقصر عن الأخذ بالسنة بعلم بارع محكم قوي وحال واضح بين مستوى متوسط بجميع المذاهب يتحرى لأقوم الآراء لا يميل إلى الكلام ولا يخطر به منه اهتمام، لا يطعن على الأئمة، ولا يزمها، ويحب لها من الصلاح ما يعمها يرى السمع والطاعة ولا ينزع يدا من جماعة، يرى أن الخروج على الأئمة من فعل الجهلة الفاسقين والغواة المارقين الذين يريدون الفتنة ويبتغون الفساد في الأرض أولئك العداة والفساق والظلمة المراق الذين سلكوا غير سبيل الهدى واستصحبوا الغواية والردى ومالوا بالفتنة إلى الدنيا وقد رفع الله عز وجل عن ذلك أقدار العلماء وجعلهم أئمة هداة نصحاء أخيار أبرار أتقياء خلصاء سعداء

نجباء سادة أجلة عُطاء حلماء كرماء أولياء جعلهم الله أعلاما من الحق منشورة ومنارا الهدى منصوبة ومناهج للبرية مضروبة أولئك علماء المسلمين وأمناء المؤمنين وأجلة المتقين فهم في نوائب الذين يقتدوا به وبنورهم في ظلمات الجهل يهتدوا وبضياء علمهم في الظلمات يستضاء جعلهم الله عز وجل رحمة لعباده وبركة على من شاء من بريته يعلم بهم الجاهل ويذكر بهم الغافل ويرشد بهم السائل ويعطي بهم النائل ويزيد بهم العامل ويبلغ بهم إلى المحل الفاضل ويحث بهم الراحل ويمكن بهم القوى الكامل. أولئك الذين عمروا بالذكر لله تعالى أعمارهم وقطعوا بالعمل الفاضل الزكي آجالهم وباتوا بذلك للخليقة محمودا آثارهم ووضحت للبرية ضياء أنوارهم فمن اقتبس من سنا نورهم استضاء ومن قفا على آثارهم اهتدى ومن اتبع سير ما هم عليه سعد ولم يشقى أحياهم الله تعالى حياة دائمة وتوفاهم وفاة سالمة وأنسوا بما قدموا به إلى الآخرة جعل الله تعالى خواتم أمورهم أفضلها وأحوالهم التي قبضوا عليها أجملها وبعد أيها السائل عن نعت المحققين من العلماء العاملين بالعلم في مدة البقاء فقد وصفت لك بعض أحوالهم، ونعت لك كثيرا من جميل أفعالهم ولو أردت بلوغ الاستقصاء لوصفهم وذكر ما يستحقونه من نعتهم لطال بذلك كتابي، واتسع به جوابي وفيما أجرى الله تعالى ذكره من ذلك كفاية لمن اهتدى وبلاغ لمن عمل بما هو أولى قال العالم للحكيم: أيها الأستاذ العطوف الرحيم والمعلم الناصح للحكيم لقد أزعجت بوصفك للقوم قلبي وملأت بالخيفة صدري وعرفت بذلك موضعي وقدري وخفت أن يعجز عن حمل ما عرفه صبري لما بينته من شدة تقصيري ودوام تخلفي فاحتقرت عند المعرفة نفسي وأيقنت بليتي ونقصي فكيف لي بما أكون به من ذل التخلف خارجا وعن مذموم أخلاق نفسي راحلا وفى أوائل طريق القوم داخلا فإني أرى الوقوف عن ذلك مأثماً والبقاء مع الحال التي أنا عليها مغرما. قال له الحكيم: لقد سألت عن شيء عظيم وأمر عالي جسيم يسهل على العالمين بفضله ركوب الأهوال في طلبه وحمل الأثقال والتغرب عن[1] الأوطان والخروج عن الأموال وقل من قويت فيما عند الله تعالى رغبته إلا سهل

(١) في ط: من.

عليه بذل بدنه ومهجته ولم يعظم عليه شيء في بلوغ بغيته . فكن أيها السائل عن منازل النجباء ودرجات العلماء وأحوال الأئمة العظماء المقتفين على أياد[1] الأنبياء على ترك كل سبب عن منهاج القوم بعطفك عن سبيل الهداية والرشد يمنعك ، فكن إلى الله تعالى راغبا فيما إليه يرفعك ، واعلم أم ملاحظتك بالرغبة إلى ما قل من الدنيا أو كثرة حجاب لك في الآخرة وعلة على ملامحتك في حين نفاد البصيرة فنح عن ملاحظة الضمير ما يورثك روية النق والتقصير وصفي الضمائر وطهر السرائر بتجريد الاعتزام وإجمام الاهتمام تفردا منك بما له قصدت وفى إدراكه رغبت ، فإن في إصلاحك لمن بطن في سرك إحجام لمن علن وظهر من جهر فإياك أن تميل لشيء وإن قل خطرك فيميل بك عن محمود وضح لك أمره فإن أغبن الغبناء من باع كثر بقليل ما يفنى ، ومن شغل نفسه عن أمور الآخرة بأمور الدنيا واجعل أيها الرجل الطالب لفصل الأحوال والمذاهب أول ما تبدأ من علمك وتقرب بفعله إلى ربك الزهد في الدنيا والإعراض علىن ما مالت إليه النفس من قليل أو كثير فإن قليل ما ملت به إليها يأخذ من سرك ويشغل من قلبك ويعترض على ذكرك وعلى قدر قوة ما معك من مواده وكثرة القليل منها وضعفه . كذلك تكون قوة المعترض منه وضعفه وعلى حسب الواقع من ذلك المعترض منه وضعفه وعلى حسب الواقع من ذلك يحتجب عنك فهم ما قصدت الهمة وإنما تؤثر العمال وتحصن القلوب إذا انقطعت عوارض الدنيا عنها ، فإذا اعترض منها شيء وإن قل فهو المراد والعمل معا وكان ذلك يبعد المحاضر والأفهام ويوقف الحال عن لحوق الاستتمام فاحذر ما عاطفك منها ومال بك وإن قل قدره إليها يخلص بتلخصك من ذلك إلى سوى الحال وصحة الفعل والمقال فقال له العالم ، وضعت لنصيحك خدي وجمعت له همي وفرغت له قلبي وتبينت فيه رشدي وقد أملت برشد هدايتك وحقيقة دعايتك وصدق مناصحتك أن يبلغني الله تعالى إلى كل ما أومله وغاية ما أطلبه وقد رأيت ينابيع الحكمة الجارية من مكنون سرك على لسانك واصله إلى بعض ما تقصدني به وقد ذقت سائغا من مائه فأوجدني انتعاش تبينه محبة نفعك لي فردني منه ما تقوي به الحياة الباعثة لي من موت ما مضى في الحال

---

(١) في ط : آثار.

إلى مستقبل ما وقع من الانتقال فإني لم أجد شيئا أرجع به فيك إلى الله تعالى إلا مناجاتي له بجميل مجازاتك عني ومكافأته لك هو له أهل وولي وبعد إيقاظك لي أيها الحكيم من رقدة الغفلة وإنباهك لي من وسن السهو والسنة فقد وجدت استقلالا إلى استدراك الفهم عنك يحملني ما وجدت منه إلى العمل ببعضه ووجدت مطالعات ما بقي علي من التقصير يزجرني عن الوقوف عنها لمحكم بيان وعلم إيقان. . فأما بين ما سنح من تيسير الله تعالى للعلم وبين ما نبه العلم عليه من النهوض إلى ما بقي. . [1] ونحن نعوذ بالله من كل ظاهر لا يصدقه حقائقه، ومن كل علم لا يتبعه من العلم وثائقه، ومن أنا عبد الله أخلصك الله المعبود بصفو وداده وجعلك من خيار. . . [2] وصالح. فإن كتابك وصل إلي في وسط السنة فقرأته وأنست به وسررت بما ضمه وذكرت أيدك الله على سبيل أبا الحسن أسعده الله وذكرت عنايتي بما يصل من كتبه وتوجيه ما يصل من ذلك إليك ولم أزل أترقب لورود كتبه فما وصل إلي منه منذ فارقتنا إلى وقت كتابي هذا إليك غير أبى أرجو أن يرد.

(١) كلام مطموس في الأصل.

(٢) نفس الملاحظة السابقة.

كتاب الجنيد إلى يوسف بن الحسين الرازي

نسخة من كتاب الجنيد

إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رحمة الله عليهما[1]

كشف الحق لك عن حقيقة أنبائه، وتولاك بعظيم مننه وآلائه وتضمنك في ضمه إياك سوابغ نعمائه، وجرت عليك برفعه لك إليه وإعلائه فكنت بحيث لا تكون الأغيار لك إليه سببا بل يكون بما يوجد به منك منتسبا قد أخلصك بما اصطفاك به من خلصاء صفوته وأوجدك[2] بالانتحال من خصه بولايته وتخيرك بالاجتباء من كبراء أهل مودته الذين آثرهم بالاصطفاء لعظيم خلته فكانت أوائل أقدامهم المجردة لديه الموضوعة على مناهج الورود عليه، النزوع عما دونه إليه فسبقت إليه به كل سابق وسمت إليه وحده عن سنيات المطالب على أنوار فواتح البذل تخر عليهم خريرا وتدر بمنائح الأفضال عليهم درورا بسكب غيث هاطل منهمل ومدرارا غلف بغرائب البر متصل يذهل ببوادي وروده عقول من لاحظه به ويبهر بأوائل شهوده من أراد له فإلى أين وبماذا يتخطى ذلك قلوب المكرهين به فكيف وأنى يتحاماه عقول المصادفين له وذلك لا يكون يفعل مكون وإن كان مكرما ولا ينفد عنه بتخطيه ولي وإن كان ممكنا ولن يحمل ذلك عن أهل مجالسه وأنسه إلا الحامل بقوته وقدرته حملة عرشه فهو ولي المحاماة من اصطنعه لنفسه فعند ذلك إذا أراد ذلك دعا إلى إخلاص من ذكره وأقبل بمن تفرد به عليه، وأوى بمن استأثر بمكنون سره إليه فكان ما جمعه لأهل الزلفى لديه والمقربين عنده لهم تبعا وسائر أوليائه فيما عاطفوا من ذلك شيعا لهم منه ما بذله من عظيم عطائه، وجاد به من جليل مننه وآلائه، فذلك حظهم المبذول وعطاؤهم الدائم الموصول وذلك كله على عظيم قدره وجليل ما خصهم الله تعالى به من نفيس بره حجاب عما أخلص به المنفردين بخالص ذكره

---

(١) من رسائل في التوحيد والعدل، معهد المخطوطات العربية، برقم ١٣٥ تصوف، ٣٩٦ تصوف، ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد.

(٢) في ط: وأوحدك.

ومع حقيقته وجود ذلك والكون بالنزول فيما هنالك يبدوا أوائل علم من تفرد به ولراده بالاختصاص لما يوجد له ولن يصلح لمعاينة ذلك عين بقيت عليها منها بقية ولن يلامح ذلك[1] طرف مواقع لرزية جعلنا الله وإياك يا أخي ممن اصطنعهم[2] لنفسه واستأثر به عمن دونه. كتابي إليك يا أخي وسبل الحق مسهلة المناهج وطرق الرشد زاهرة، قد وطئت بالتمهيد لأقدام السالكين وفتحت بالتوسعة لسير الطالبين وزينت ببهجات الأنوار لقلوب الراغبين وهى مع ذلك لقلة القاصدين إليها، ولقلة السائرين بالصدق عليها كالعشار المعطلة[3] والمواطن القفار الخربة ليس لها على ما عظم الله من قدرها ووعد من جزيل الثواب على سلوكها من أكثر الناس عامر ولا في عظم خطرها من الخلق راغب وإني أرى العلم مع كثرة منتحليه وانتشار طالبيه بقلة صدقهم في قصده وتركهم العمل بواجب حقه كالعازب والمتغرب البعيد المنفرد وأرى الجهل والدعاوي على كثير من الناس غالبا وقلة العلم للمتنحلين للعمل بينا وأرى هموم أكثر الخليقة على الدنيا عائقا ولما يعجل من حطامها طالبة ولقليل ما تعجل منها مؤثرة قد انكفت العقول والقلوب بالانكباب على طلبها وانصرفت إلى الرغبة في القليل منها وأراهم بشر المراد وكثرة الفساد و قلة العمل للمعاد في غمرة سكرتها وحيرة هوالك ما استولى عليهم منها ليس فيهم لغلبة ذلك عليهم مفيق ولا راجع إليك، إن وعظته بتحقيق قد اشتملت عليهم الفتنة بالعاجلة، فتحيرت عقولهم عن أمور الآجلة.

والحق[4] يا أخي إذا كانوا كذلك أشد الحاجة إلى عالم رفيق ومؤدب ناصح شفيق وواعظ يدلهم على الطريق.

وأنت يا أخي رضي الله عنك بقية ممن مضى وواحد من يشار إليه من العلماء وجليل من أكابر الحكماء وقد علمت رضي الله عنك أن الله عز وجل قد أخذ الميثاق على أهل معرفته وأولى العلم به الذين آثرهم بكتابه وفتح لهم في الفهم عنه

(١) ليست في ط.
(٢) في ط: اصطنعه.
(٣) في ط: المتعطلة.
(٤) في ط: بالخلق.

وخصهم بما استخلصهم به من تبيانه وقلّدهم من عظيم أماناته أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، وقال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وقال جل ثناؤه: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[2].

وأنت يا أخي أحد من بقي من قلد من ذلك ما قلدوه وعرف من أنباء الحكم بعض ما عرفوه وعليك عندي تبيان ما وهبه الله جل ثناؤه لك والقول بعظيم ما أنعم به عليك فاعدل رضي الله عنك إلى المريدين بهمك وأقبل عليهم بوجهك، وانصرف إليهم بحجتك، وأعطف عليهم بفضلك وآثرهم على غيرهم بذلك وجميل رعايتك وأبذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك وكن معهم في ليلك ونهارك وخصهم بما عاد به عليك ولك فذلك حق القوم عليك وحظهم مما وجب لهم عليك.

أما سمعت الله جل ثناؤه وذكره وهو يقول لأعظم خلقه عنده قدرا وأعلاهم لديه منزلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٨، ٢٩] فهذه وصية الله عز وجل ثناؤه لنبيه المجتبى محمد ﷺ المصطفى يا أخي رضي الله عنك لم أنبهك على خط كنت عنه غافلا ولا على أمر رأيتك عنه مقصرا وأعيذك بالله من كل هفوة وتقصير وعن كل نقص وفتور ولكن الله عز وجل يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذريات: ٥٥] وقد بدأتك بكتابي هذا متوسلا به إلى مواصلتك ومستزيدا به من إقبالك على مؤانستك ومتسببا به إلى مكاتبتك فكن حيث أحببته منك وزدني فيما رغبت فيه إليك جعلك الله سببا لنفع إخوانك ومع ذلك يا أخي هديت لرشدك فقد سنح لي شيء أريد أن أقوله بدأت بنفسي فيه قبلك وأحب أن أكون فيه تبعا لك بعدك وأقدم مع ذلك الاعتذار

(١) في ط: بالخلق.

(٢) في ط: بالخلق.

إليك إن لم يقع مقبولا لديك فخذه وإن كان له في الحق موضعا وكن له على المناصحة مستمعا فهو لك مني على المناصحة مبذول، فإن رددته علي فهو لدي مقبول، يا أخي رضي الله عنك كن على علم بأهل دهرك ومعرفة بأهل وقتك وعصرك وأبدأ في ذلك أولا بنفسك وكن عاطفا بعد إحجامك[1] فيه موجبة ومعاني مختلفة والله عز وجل يؤيد بنصره من يشاء وذلك في ديوان العلم موجود وفى موضوع الشرع مذكور والله أعلم.

واعلم أن الناس في أسباب الموجبة للسكر من رؤية وجود الأذكار مختلفين ومشاربهم متفاوتة فمن سالم ناج ومفتون قد غرقته الأمواج ووقع في بحر عجاج، فانتسفته ريح هياج فصار في سكرة من الهالكين وأما أهل السلامة من أهل الصدق والتحقيق بمن سلموا في من تلا علم الجمع والتفريق ولم يبالغوا القعر العميق من المرادين بالصيانة، وسقاهم من الرحيق لأن بادي من الحق كان جاريا لهم على بداية المقاصد بسلامة شربهم وبشرائط الأدب في سكرهم وترك الانزعاج في سقيم فولد عليهم قوارع الزعج بالتشمير وعلاهم شدة الذعر والتهديل فغشيت أسرارهم قوة الحال فغطى بقوته بعض الأحوال المنوطة بأخلاق الذوات عن غير استغراق بجميع الصفات ولا فنيت عن كل الأحوال فتساكر بإظهار سكرة عن غير تحقيق سكر وتظاهر بحقيق الشراب قبل احتواء الشراب.

وطائفة بدت شواهد البادي فاختلس منه بمقدار ما تحكم وشاعت في الصفات حتى كشفت به عن بعض القناع فباح بالسر المكتوم وأسقط الحشمة عن الأنام وكشف ستر الحياء بالتمكين بترك الاحتشام عند الخاص والعام فكان آثار سكره حاكمة وأحكام غمرتها ظاهرة بالذهاب عن رؤية الخلائق والموافقة معهم لتحقيق حاله وآخر تقوى عليه شاهد سقيه فغشيه باحتوائه فاختطف همه عن موافقة وصفه وأزال عنه الوقوف مع تمييزه لاستغراق فهمه وفناء همه والذهاب عن أذكار خلقه فيعلوهم الحال وتتحكم عليهم استغراق ما استوفى عليهم الشراب فبقوا حيارى والهين وعن رؤية التميز آخذين وعلى سكرهم مغمومين وبالحق مؤيدين وبه محفوظين وأخر تقوى سقى الوداد وغلب عليهم كأس المحاب وتتسمر

(١) في ط: بعد إحجامك فيه بحالك. وإلى هنا ينتهي الكتاب في النسخة المطبوعة.

الأرواح برؤية التلاق فاشطاط بنسيم تستعر نيرانها واحتجب عن رؤية أوصافها واستولى عليه المحبوب في شربه فغاب عن أرضه وسمائه فخامر عقله من وده ما انجلت صفاته وزاب قلبه وتلاشى همه وآخر فاض بحار شرابه فاصطلمه باستغراق أمواجه وانقلب فيها فتاه هيجانه، فغمره بسلطان قهره، فأرمسه قبل وفاته و﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٢، ٢١] فلم يبق له نسبة في حيويته ولا علم وفاته عند خلقه وقد قال جل ثناؤه: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

هذا جملة ما أشرنا إليه من أوصاف أهل السكر وأومات إلى نعوتهم بالتعريض ولم استقصى ذلك بالتصريح لتعلم موضوع أقدامهم على مرسوم أهلها فيها وأن لا تخفى كيفية أقدامهم ونعت سلوكهم وبالله التوفيق.

فصل في الإفاقة

وأما أحكام الإفاقة فإن كل طائفة من هؤلاء المذكورين فإفاقتهم فمنهم منوطة بمقدار سكرتهم على مقدار ما يغشاهم من بروز الحال الساكرة ومخمور السكرة يحييهم الحق بالإفاقة وينعسهم بالصحو والدارية فيكون صحو أهل الإرادة منوطة بالفتوة والرجوع إلى السنة والتعلق على منهج الرسالة وذلك إفاقة أهل الأحوال الآخذين ذلك على الميثاق والإفاقة الثانية على أوصاف المتعرف إليهم في المنصوص والمنكشف عن حقائق الغيوب المخبر عن ذلك بألسنة البيان والداعي بذلك إلى ولاية الرحمن بتذكار ما أخبر الحق عن نفسه وما جاءت به الأخبار في شرعه وإفاقة أهل النهايات علم التوحيد وما تجلى لهم من التفريد فاستوطنت الأسرار وجود الكمال وأقام على ما هو متفرد به جل ثناؤه من الأسماء والصفات التى لم يزل موصوفا بها جل ثناؤه، واعلم أن كشف التعريفات على حقائق التنقيلات لم أبسطه على ترتيبات موضوع ما رسمه أصحابنا وفى بعض الإشارة إلى ذلك جملا الأرواح فتختلط أحكام العقول لما يعلوها فيخامرها بالتغطية فتستتر تحتها الصفات ويخنس دونها كثير من التميز والبصائر المعهودة والرازية المفهومة، وذلك لما يخامرها ويغشاها من قوة تحكم الوارد ولذلك سمى الخمر خمرا لأنها تخامر العقل يعنى تغطية وسمى خمار المرأة

خمارا لأنها تغطى رأسها به وسميت الإفاقة لكشف تجلي ما كان تغطي تحتها الصفات وخروج العقل والروح من غمرة الحال والانفكاك من تحت الاستيلاء بالقهر عند تكشف ما كان مخامرا تحتها فيصحو صحوا والصحو الإفاقة كما قال الشاعر:

صحا قلبه عن سكره وتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

ولذلك يقال أصحيت السماء إذا ذهب الغيم عنها وصحا السكران من سكره، إذا أفاق يصحو صحوا وكذلك كلما برزوا بدأ وظهر وتكشف الأسرار من بوادي الأذكار وسني الأحوال فتلحق القلوب بما يكسي من ذلك لقوة حاله حتى أدهشه واختلط عن تمييز ما كان ذلك سكرة لحقت أهل الأذكار. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] وذلك لما يغشاهم من هول يوم القيامة ودهشة الحال للوقوف للعرض والمسائلة والإفاقة ما يكشف لهمن الوجود بما أسكره والإفاقة بمن أسكره وهيمه وأصل السكر والإفاقة مبنية على ثلاثة أوجه فأول ذلك سكرة الأحوال، والثاني سكرة الوجود للصفات، والثالث سكرة التوحيد وغشاوة التفريد، ثم يختلف أهل السكرة عند غلبة الأذكار واستتار الأفهام تحتها على مقدار مشاربهم من سقى الله لهم من لطيف أذكاره وسني أحواله وغاية بلوغهم على مقدار تمكنهم ومكين مقاماتهم في مكاشفات الحق إياهم ولا يصلح الإفاقة إلا بعد السكر ولا السكر إلا بعد بذل المهج واستفراغ القوى باستفراغ الجهد بحق المحبوب.

فأما أول سكرة أهل البدانات من المعانقين للأحوال فإنه يغشاهم بسرعة الزعج بالتنبيه وحدة الإرادة بالترغيب والترهيب فيلبسهم الجسدة والتشمير ويغشاهم الجد بشدة الزعج عند غلبة الوارد فيغطي ما كانوا به من الإرادات الدنية والهموم المشتتة والأماني الكاذبة والأفعال الردية والأقوال المسخطة فيكون أحكام قوة ما غشيهم باغتسالهم على ذلك مما يطول ذكره ويكثر شرحه عند تفصيل[١] عن أوصافهم بغمرة الأحوال وغشاوة الأذكار.

والقسم الثاني هو سكرة الوجود مما انكشف وتحقق بالصفات من بروزه رؤية

---

(١) في ط: التنقيب.

الأوصاف مما بدا وانكشف فتسطع بانكشاف على الأسرار فيغشاها مواجيدهم فانغطا تحتها الأطوار على اختلاف مشاربهم وتفاوت مذاقاتهم فيختلف ذلك على مقدار الحال متفرغ من ذلك تعريفات مختلفة وذلك سمي عند أهل العلم بالخوف والرجاء والمحبة والرضا على أكثر أذكار الأحوال فيكون في سكرهم من هذه الأحوال المسميات على مقادير ما أبرزهم إليها وكاشفهم بها وشواهد نعوتهم عند أهل العلم بالروايات مما بدا على ظواهرهم مكتوبة وذكرهم من دواوينهم مسطورة ممن لحقهم من البلاء والزهق والمرض وأداهم إلى التلف والخروج بانسلاخ الأرواح من ضيق فيكون إفاقتهم على ذلك بعد ذك على مقدار ما وجدوا وصحو ما أدركوا فتختلف صحوهم على اختلاف سكرهم، وطائفة خرجوا إلى الصحو من جميع الجهات، وطائفة صحو عن بعض الصفات ويغمرها بعضها، وطائفة تصحو على الأوقات ثم تغمره الحال ليؤدى بذلك الموظفات من العبودات، وهذا بمقدار قيام أحكام الأجسام ثم يرد إلى الإغراق وانصباب الأمواج عليه.

القسم الثالث: هي سكرة التوحيد وغمرة التفريد وغشاوة التجريد المتحكم باستيلائه عند ظهوره والمتعالي بقهر سلطانه عند بروزه السالب للعقول عند تجليه والمميت بعز ألوهيته وأنبيائه، والمتلف لأرواح مرسليه والمفزع للملائكته المقربين وذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ: ٢٣].

واعلم أن أحكام كل سكرة مشاهدة آثار وتحكمها في الصفات موجودة تسعر بنيران تلهبها في ذواتهم محرقة ودبيب الفناء في رسومهم مثبتة وكل من أسكره معلومة لأن وجودهم وسكرهم غير مجهول، لأن أحكام سكرة أهل الجد هي تغطية لهمم الشهوات وهب ذكار الملمات ورفض المستلذات وقطع التمني والإرادات والهموم الشاغلات وذلك لتدارك كسرهم الغالب عليهم وانتشار ما ألبست الصفات نعوتها وأحكام جبلتها ونشوء بشريتها على بداية الخلقة ثابتة فيخلص مرة ويظهر ثانية وأما شواهد أحكام السكرة عند تحقيق الإتقان بالمكاشفات للصفات وإن أحكام ذلك تغطى البشرية وتفنى للذوات والنفوسية وتقوي بها أحكام الحقيقة وينعش بها مودعات الحق الخفية وتزكوا معها الأنفس

الطاهرة وتلتحف على أطواره صفات العبودية المتصلة بالحقيقة إلا أن المعارضات من رؤية الغلبات متحكمة في أكثر أوقاته فتندرج تحتها أوصاف الحقيقة ويظهر بسطوة تسعرها في ثاني الوقت حتى قبل العطاء في سواد لحق وجهه ما أصاب وجهك فغشي عليه حتى فاتته أربع صلوات وذلك في دواوين أهل العلم معلوم وشواهدهم مسطورة وأما أحكام سكرة التوحيد وغمرة التجريد عند تحققهم بعلم الألوهية وتجلى الإيقان بالفردانية فإنه يعلو بسطوة شامخة فتجتاح الصفات وتخنس الذوات ويغير إحكام الذاتية ويزيل رسوم الدراية يخرج عن حد الآدمية ويبقى بعلاقة الإلهية المتحكم عن نسب البرية والغالب على شاهد الحقيقة كما قال جل وعز: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] وقد قال ﷺ: "إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي أخذت السماوات رجفة فإذا سمعها أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فأول من يفيق جبريل عليه السلام فيقولون ماذا قال ربكم فيقولوا الحق وهو العلي الكبير"[١].

فيكون سكرة أهل الحق من هذه الحالة على مقدار ما نكشف لهم من تجلى ظهور توحيده وتفريده فيكون إفاقتهم سكرة أهل الأحوال لأن سكرتهم خارجة عن المعتاد وغير معلوم عند العلماء من أهل الدار فيكون هيمانهم في البراري والقفار والآجام والآكام على تقطع الأوصال وزهق الأنفس وتلف الأرواح فكانت إفاقتهم لائقة بسكرتهم وسكرتهم لائقة بصحوهم وإفاقتهم وقد أشرت إلى جميل من أوصالهم بالتعريض ولم أسمهم بالتصريح فأكون من المتكلفين وذلك أن أحكام الحق مع هذه الطائفة أحكام غير مدركة ولا داخلة تحت الأوهام المضبوطة لأن الله جل ثناؤه قد يستنطق المفيق بألسنة السكرة ويستنطق السكران بألسنة الصحو والإفاقة لنفاذ مراده وإمضاء تدبيره لأسباب كست أحوالهم وبها وصلوا إلى محبوبهم فيما ألزمهم وبذل المهج فيما قربهم وترك الهجوم منهم عما هم عنه ممنوعون، وفي القيام بعبوديته (أيام سياستهم)[٢] وأوقات مجاهدتهم لله قائمين وبحرمته صائمين

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال، المجلد الثاني، برقم ٣٠٢٨. وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والطبراني عن النواس بن سمعان. وفي سنده نعيم بن حماد والوليد بن مسلم وعبد الرحمن بن يزيد متكلم فيهم الأسماء والصفات للبيهقي ص: ٢٠٣

(٢) ليست في خ.

ولمراعاة حقه ملازمين إلى وقت بروز أحكامه وما بقى عليهم آثار ما به ساروا وشاهدوا ما من أجله قصدوا فلا زال عيون يؤدى لرسالاته متصلة وأياديه متحكمة حتى غطى عليهم فيهم أوصافه واستولى عليهم آثار تحكمه فغطى منهم العقول وخمدت منهم الفهوم واندرست فيهم العلوم ظهر عليهم شاهد ما نعته وأحكام ما ذكرته من كون الخلاف على ظواهرهم وصحة العقد في شاهد حقائقهم مما هم به موصوفون قبل أوان أخذه جل وعز لهم عنهم وغطى عليهم منهم ما كانوا به قبل أوان أحوالهم وذلك في ديوان العلم موجود وفى مصنفاتهم مكتوب مثل الربيع بن خثيم رحمه الله لما قوي عليه آثار ما شاهد من توقد النيران ، تقوى عليه آثار ما من الحق شاهد وبالحق وجد حتى غطاه تحت الحال وأرمى منه الصفات وظهر منه ترك الصلوات المفروضات في الأوقات المختلفات وعبد الله بن مسعود ﷺ واقف عليه وهو يقول لقد لو رآك رسول الله ﷺ لسر بك .

فصل

وأما ذكر للأسباب الموجبة للسكر فإن الناس في ذلك مختلفين وفي وجودهم متفاوتين فطائفة يسكرهم ما يتجلى لهم من المغيبات وما ينكشف لهم من المكنونات فتبقى القلوب واقفة بسطع التجلي وثابتة في ذلك بأحكام التولي فتغشاها البهتة وتعلوها السكرة وذلك لمطالعة العلي وما انكشف له من مستأثر الضياء الأوهجية والأنوار الأبهجية وطائفة سكرهم بوادي الحق بالتحقيق وما يظهر من إرسالاته بالتجريد فيجمعهم عنهم إليه عن التفريق واحتوت عليهم بوادي التفريد فيغشاهم بوادي أنوار الزاهر به وأياديه الساطعة فتغشى أسرارهم ما يسترها عن كل مذكور ويفنى عنه كل موجود وطائفة يسكرهم ما نصب الحق للاعتبار وما أجرى من لطيف الخلقة والبهاء على إتقان صنعته فشاع ذلك في الأسرار وانتشر جماله في الأرواح ولا يزال ذلك منتشرا حتى يخرجهم إلى العزيز الغفار فيسكرهم عن حالة ويغمره رؤية أذكاره وطائفة علقت على أرواحهم طيب الحياة وكسيت أرواحهم صفاء الروحانية المقدسة . قد استدامت لمخامرة الذكر أرواحهم فلا هم بالإفاقة موصوفين ولا بالسكر مأخوذين فيطرأ على مسامعهم القول من حكمة فيصادفوا في ذاك معاني ثلاث أحدها طيب النعم الملذة مما كسي الحنجرة من الأصوات المطربة وما يظهر في

القول من البيان النعشة فإصغاء إصغائه وطيب (جماره)[1] واستدامة ما غشيه من أذكاره في طيب نعمائه حتى يغمرهم فيه اشتياقا ويتيه افتخارا ويرعد ويرتعد هيجانا وذلك مبلغ حاله. والثاني مصادفة القول ما قد صرح الحكمة بصحة حاله وتحقيق مكانه فيحكم القول وشهد الحالة مع تغطية الماضي والمستقبل في وقته فلا زال تذكار حاله جاريا له فيما فهم عن الحق مصعبا في نشر أحواله حتى تغمره السكرة ويعلو الحب فيخرج عن الحد ولا يضبط نفسه الوصف. والثالث مصادفة مضى تذكار أوقاته وما تحمل مع الحق من مشاقة وبذل مهجته للعزيز الغفار فعلاه حاله ولم يتوجه له العلم بمودعات خطابه في وقت مصادفة استماعه فآثار تذكار حاله المكنات، واستثار منه المخبآت وهيج من أوطاره الساكنات فلحقه دهشة العقول وحار منه الفهوم فأسكره وجده وأمرضه شجوه فذاك مقدار سكره والسبب الموجب لحاله. وطائفة انكشفت لهم بصائر الإطلاع مع فناء الاهتمام. فشاهد المنشئات وما بسط في الدار من أجناس الحيوان وما أظهر من حسن الصورة النضرة ووجود (الزاهر إلهية) وما كساها من الهيئة الجميلة وقديم العناية فأظهر في خطابه فريق في الجنة وفريق في السعير فأغمره رؤية البهتة وما غشيه من رؤية الحكمة فأداه ذلك إلى الحيرة وعلته السكتة لعظيم الفكرة لأنه الموصوف بالعدل والقدرة واعلم بأني اختصرت ذلك للأسباب الوجبة للسكرة فذلك لأفراد كتاب جمعت فيه اختلاف مواجيدهم وبسطت في ذلك تفاوت شربهم وكرهت الإعادة للتطويل في هذه الحالة فإن أصحابنا قد سموها بأسامي مختلفة وعلى تغاير الألفاظ يؤول بحقيقتها إلى جمل واحد. فطائفة سمتها السكرة وطائفة سمتها الذهل وطائفة سمتها الوله وطائفة سمتها المواجيد وطائفة سمتها غلبات، وطائفة سمتها الغيبة و طائفة سمتها قوة الأذكار وطائفة سمتها الهيمان وطائفة سمتها الفناء والذهاب وطائفة سمتها الغشيان وطائفة سمتها الاستهتار وطائفة سمتها الاشتياق وعائشة رضي الله عنها سمت ما لحق رسول الله ﷺ عند نزول الوحي البرحاء وكل ذلك لاتساع أسماء الشرع واختلاف الوجود من نعت القلوب واعلم أن هذه الأحوال فهي لأهلها مستخرجة من طول المعاملات والمنازلات بشاهد التنقيلات في الأحوال فأما علماء

(١) ليست في خ.

الأمصار والفقهاء بالآثار الموصوفين بالكتابة والدراسة والنقل والرواية فغير داخلين في ذلك ولا عارفين بشيء منه ولا يوصفون بشيء من ذلك إلا من ساعده التوفيق وحاداه أيادي الحق إلى المنازلة فاستعمل الرياضة ولزم المجاهدة وعمل في بذل المهجة وذلك بشرائط مرسومة في دواوين علمائنا من ترتيب الأحوال من أوصاف الزاهدين والخائفين والشاهدين والصامتين الرائضين لنفوسهم من المجاهدين والسائسين لهمومهم من المراقبين والمفتقرين بالفقر من الهائمين والتاركين للشهوات من المريدين والمفارقين لأوطانهم من المتوكلين والقائمين في بلائه من الصابرين إلى إحكامه من الراضين والباذلين مهجتهم من المحبين والباكين في سواد الليل من الخائفين المجردين لتوحيده من العارفين فأما غير هؤلاء فليس لهم في السكرة مقيل ولا لهم إلى الإفاقة سبيل إلا أن هؤلاء العلماء الظاهرين فلهم في الحق منازل جليلة ودرجات رفيعة لأن السلوك إلى الحق كثير واتساع الذاهبين إليه طويل عريض بسيط ولذلك احتيج إلى مطالعة علومنا معهم إلى إظهار الدليل وكشف الحجاج من ظاهر الشرع لصحة إيراد مقالنا وذلك مما أوجب لهم. ولطائفة من منتحلي المذهب على التقليد والناطقين من غير تحقيق فذلك لبعد الدراية وقلة الرعاية وإسقاط العناية منهم لذلك وإلا فالفاضلين من الحكماء المتأخرين من المتكلمين مثل بشر بن الحارث[1] وسري السقطي وذي النون المصري وحارث المحاسبي والجنيد ورويم والخراز وسمنون والنوري والجريري وابن عطاء من العارفين من العراقين وشفيق وحاتم وأبو تراب ومن مضى منهم كانت أوصافهم معروفة ومضت أحكامهم وعلومهم في إطلاق الحكمة ورمى الإشارة وإظهار النكتة وتركوا من لم يكن منهم في خوضهم يلعبون.

واعلم أني قد أقللت الحكايا في هذه المسألة لأني قد اختصرت من الإكثار والحكايات فإن عامتها تراد للاستشهاد فيطلب ظواهر الحكاية لتستقر في أوهام من تخاطب صحة ذلك ليستدل بشاهد ما يرى إلى غائب ما خوطب به من نعوت القوم المشار إليهم بهذه الأوصاف لأن ذلك إخبار عن مواجيد القوم، عاملوا الله بالصدق والوفاء أيام حبوتهم فأتحفهم في الدنيا ببعض أفضاله ليكشف لهم ما باداهم من حسن المعاملة وأنه شكر سعيهم ولم يخلهم أيام حبوتهم من ذلك ما روى عن ابن الزبير

---

(١) في الأصل (الحرث)

(ومثل)[1] أبى العالية إنه وقع في أصبع كافية لأهل الدراية مفصلا وإنما طالعت على الاختصار دون الإكثار وأسقطت الترتيب والتنزيل في المنازلة عند بروز الأحوال وتغطية كل نسبة تحت كل صفة وذلك إنما علقت باستذكار العقلاء من الربانيين.

فصل منه

اعلم أن أوصاف أهل السكرة من المحفوظين ممن قد غلبت عليهم رؤية الحق وأخرجهم إلى الخلاف عن غير المقاصد وانبسطوا في ركوب الأحوال المانعة في العلم بما لا يليق بأوصافهم فإن أهل الحق في ذلك محولين لعدم المقاصد للخلاف وصحة التوجه في التوجه إليه وإنهم لم يخرجهم عن حدود المرسوم إلا الوفاق فيما علاهم في حسن الظن وقوة الآمال فيما أبسطهم واستولى عليهم الحكم فاستنطقهم وما تجلى لهم منه فاستعطفهم فكانت بوجود ما له جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] يعني على الخلاف فحمله رؤية الخلود في جواره وتقوى عليه بآثار أطماعه فغشيه من رؤية حبه والكينونة معه في داره فصادف الخلاف بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٠] فقال عليه السلام: ما علمت أن أحدا يحلف بك كاذبا، فهجم عليه رؤية الخلود الوقوف في الخلاف طمعا في الوفاق مع التلاق عن غير قصد وذلك موجود في شرائعنا ومرسوم في ملتنا من ذلك أن أبا طيبة حجم النبي ﷺ فشرب دمه، فقال له رسول الله صلى الله عيه وسلم: "ما حملك على ذلك؟" فقال: محبتك. فقال: " أما إنك قد احتظرت بحظار عن النار "فكان شربة محظورا في العلم ممنوعا في الشرع فلما استنطقه خبر عن وجده وما غشيه من محبة رسول الله ﷺ فأجاز قصده وأسقط ما ثم فعله وما كان من فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما تقدم يصلي بالناس فخرج فأتى النبي ﷺ فمشى أبو بكر القهقري فلما أشار إليه أي مكانك لم يقف وخالف فلما صلى قال له النبي ﷺ ما منعك أن تقوم مقامك لما

---

(١) ليست في خ.

أشرت إليك فقال له : ما كان لابن أبـي قحافـة أن يتقـدم رسـول الله ﷺ فلمـا استنطقه عن فعله خبر عن وجود التعظيم والإجلال لرسول الله ﷺ عن خلافـه وكـان ذلـك أتم في الحالة وأعلى لجوازه له عليه السلام ومن ذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسـلام أن رجلا كان قال لبنيه : إذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني فوالله لئن قدَّر الله علي ليعذبني قال : ففعلوا ذلك قال فما كان أن جمعه الله تعالى فقال عبدي ما حملك علـى ذلك فقال يا رب خشيتك ، فغفر الله له عز وجل له وذلك لعلمه سبحانه بصحـة خوفه عظيم ما علم من سطوته وأليم عذابـه فكـان ذلـك منه صـدق الإيقـان وتحقيق للإيمـان وكان قوله فوالله لئن قدر على ظاهره كفـر وخـلاف فتجـافى الحـق سبحانه تعـالى عنه لصدق اعترافه وسرعة انقياده وكان الغالب فيما يغشاه فيه معرفته بعظيـم عقوباتـه قبلـه الحق على ما كان من خلافه لصدق حاله وغلبة وجوده وكذلك رواه عبد الله بـن دينـار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لما عرج بي إلى السماء سـمعت تذمرا علـى الله تعالى فقلت : "من هذا يا جبريل" فقال : موسى عليه السلام يتذمر على الله عز وجـل ، فقلت : لم ذاك ؟ قال : عرف ذلك منه فاحتمله ، ألا تـرى أن التذمر علـى موضـوع مـا رسم لنا داخل في باب التضجر والتبرم وتـرك الرضـا بالسـخط فأجـاز لـه الحـق سبحانه وتعالى ذلك عن غير وصف الخلاف بـل ذلـك بصحـة البسـط في الوفـاق فاحتملـه عن شيء له أن يطالبه وإن شاهد حاله متدرجة تحت آثار قوليه واصطناعه لأنهـم المعروفـون بالحفـاظ والوفـاء والصدق والوفـاق فبهـا (فنضت)[1] صفـاتهم ، وعنهـا ورد فغلبتنـي عيني وكنت بين النـائم واليقظـان رأيـت كـأن ملكـا نـزل مـن السمـاء فجـاءني فنفـث في روعـي ثـم حرفني : قـم وأنـا أبكـي . وعـن الحسين المـالكي سـمعت الجنيـد رحمـه الله يقول : كنت في حداثتي وابتداء أمري أطلب رجلا أتأدب به فكنت يوما في نساء بنى نهر عيسى فإذا أنا برجل يصلي فغلبتني هيبته فصليت بجانبه فقام ومر فتبعتهـم ، فقـال : مـا تريد؟ قلت : كلمة أنتفع بهـا . فقـال : أو تفعـل؟ قلـت : نعـم . قـال لـي : الخلـق كلهـم يريدون الله عز وجل فاجتهد أن يريدك الله ، فهذا كان بدء إرادتي[2] .

---

(١) ليست في خ .

(٢) تنتهي المخطوطة بصفحة غير واضحة فيها بعض أبيات الشعر .

رسالة أبي القاسم الجنيد إلى يوسف بن يحيى

رسالة أبي القاسم الجنيد إلى يوسف بن يحيى رحمة الله عليهما[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاطك الله بحياطته التي يحوط بها المخلصين من أحبائه، وثبتنا وإياك على سبيل مرضاته، وأولج بك قباب أنسه وأرتعك في رياض فنون كرامته وكلأك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه والطفل في مهده، وأدام الله لك الحياة المستخلصة من قيوميته الحياة على ديمومة الأبدية، وأفردك عما لك به وعما له بك تكون فردانيته في دوامها لا أنت ولا حالك ولا العلم به فيكون الله وحده (يأباني)[2] أنت ما أقول لدوام البلاء ودرك الشقاء وإزعاج القلب من أوطانه وتغلبه في دوام نيرانه بنفسه في نفسه من حيث لا إدراك ولا قول ولا جله ولا وجد ولا روح جهد ولا معنى الفناء ولكن قائم بلا دوام يغلبه لا معنى له ولا يستدل عليه ولا يبلغ نهايته ولا يقادم في أنفاسه فإن قال فالقول بلا وإن سكت فالسكوت بلا فإلى الله الشكوى، بلا اشتكاء ولا رد جواب ولا يستبين قائم بالاستغراق وقد غاب بالانفراد فبدا وغاب وبدا وغاب فلا أدري ما أقول وما يقول من قد انفلت عذاره وانقطع حزامه وساح في مفاوز المخاطرات بلا (خطر)[3] أحكام السعادات بقول في حداثه كيف السبيل إلى مرضاة من غضبا من غير جرم وربما قال سأعطيك الرضا وأموت غما واسكت. . .[4].

وقد أردت يا عزيزي أن أكتب إليك بالهذيان والوسواس وكلام المعتوه والمبرسمين ولكن. .[5] بك إنك تعلم أن القضاء أملك بالعبد من عزمه نورك الله بولايته ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١] وآنسك العلم المكنون عن صنعه الباري

---

(١) من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، برقم ١٣٤ توحيد.

(٢) غير واضحة في الأصل.

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٥) كلمة مطموسة في الأصل.

من نفسه إلى خاصته الذين قلب عليهم الأحوال ونقلهم في الدرجات وعلا بهم في تمكين حال الأفعال ثم علا بهم في حقائق الوصول إليه، وحجب عنهم أبصار القلوب من حيث لا يقوم بحد ولا بوصف إلا بما أقامها بحياتها وبوحدانيته، وأخلا لها في حقائق الغيب بنفسه وأي عجب أعجب مما هم فيه من يقين لا شك فيه ومن شك لا يقين فيه، فالله الله وحده يا أخي فتوجك الله تاج الكرامة في مصطبة القيامة وباهى بك الأنبياء والحكماء وسائر العباد فإنه المأمول المرجي، وله الحمد أولاً وأخراً وصلى الله على محمد النبي وسلم كثيراً.

كتبت أعزك الله عن ستر الله وعافيته، أسأل الله لنا ولكم شكرا يوجب المزيد من فضله وكرمه وصل كتابك حاطك الله وبرك ووصل من اتصل بك ووقفت على سمو همتك في دعائك استجاب الله تعالى لك فيما صالح الدعاء و. . .[1] برحمته. ثم وقفت بعد ذلك على لطيف ألفاظك في نصيحتك فلا زلت في مزيد من نعم الله عندك (وما. . .)[2] بقربك وقرير العين بك أحبابك. فلله أنت لقد وعظت فبالغت ونصحت فاجتهدت وأطعمت[3] فأشبعت وضربت فأوجعت وبسنن الأنبياء اقتديت في لين القول، والله لقد وهمت. . .[4] عند إكراه قراءة كتابك موسى وهارون صلوات الله عليهم حين أمرا بلين القول، على أن يكون محلي الفراعنة في اجتهادك في الرفق بي.

وإنما يدارى العاتي والجاهل والصبي فما حملتني إن كان محلي عندك محل من يجب الرفق به بالقبول الحق والتخلف عن قصد السبيل لا كني أتمثل بما قال القائل:

ولم أوت من عجز ولكن سوابق ... من الله جرتها على المقادر

وأقول أيضا: لتعرف نفسي قدرة الخالق الذي يريد منا الخلق وهو شكور فأشركم في السر والجهر هائبا إن كان قلبي في الوثاق أسير. فإياه أسأل أن يمن علينا بما به أمرنا ويحفظنا عما عنه نهانا. سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت أبا سليمان يقول

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٣) في الأصل وأطمعت.

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل.

ليس أعمال العباد بالتي ترضيه ولا تسخطه لكنه رضي عن قوم فاستعملهم بأعمال الرضا وسخط على قوم فاستعملهم بأعمال السخط والهارب مما هو كائن إنما يتقلب في يد المطالب فإلى الله الشكوى فمنه البلوى، أعاذنا الله وإياك من سخطه ومنّ علينا برضوانه الأكبر في خير وعافية. وقد علمت أعزك الله أن الأنبياء ملكوا الرسالة ولم يملكوا الهداية قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ثم قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فأسأل الله الذي أنطقك بنصيحتي وشغلك بمكاتبتي أن لا تعدمني دعائك في موطن يرجى بركته.

يا أخي وقرة عيني مقبول منك جميع ما لوحت به وأشرت إليه على الحذق والله أسال العون على ذلك مع مكافأتك عنا ولو أن لكل شعرة على جسدي لسانا لكنت مستحقا مني ذلك فتولى الله شكرك ومجازتك عنا بما هو أهله، وذكرت يا عزيزي أنه شرعت لك إلى حاجة أملتني لها وهي أن أجتنب مجالسة غير أبناء جنسي وذكرت حاطك الله كلاما هذا معناه، لقد رفقت وتلطفت وأستعين بالله على ذلك وأعوذ بالله أن أجعل الاعتذار حجة وأن أدفع حقا بحق وأنت تعلم أن وضع الحد للحق عز فاسأل صدق قبول الحق. وبعد فأماتني الله يوما أتوهم أنى أثبت أهل عصري من العوام والخواص بذرة سوى عبارة اللسان ولا أدري هل لي أم على فأما سبيل الاستحقاق في التحكم فأعاذنا الله وإياك من دونه ذلك وإني لأرضى أن يبقي علي في أعلى درجات الربانيين جملة توحيده وفى أعلى درجات الرهبانيين بتجنب الكبائر وربما تمثلت بهذا البيت:

يا موقد النار في قلبي بقدرته   لو شئت أطفأت عن قلبي بك النار

لا عراني مت من خوفي ومن حزني   لي فعالك بي لا عار ولا عارا

وربما تمثلت بهذا البيت:

كيف أرجو نومة تدركني   وأرى قلبي بويلي يشتعل

وبلغني أن حكيما كتب إلى حكيم: إذا قل الله طعم نفسك فإنك إن ذقت طعمها لم تجد طعم غيرها، وأرجو أن يكون كذلك، وسمعت ذا النون يقول: من

جهل قدره هتك ستره. فأسأل الله صدق الاعتراف وأعوذ بالله من التزين بلوم النفس أو بترك . . . [1] وإياه أسأل أن يديم لي اخوتك ونصيحتك ومكافأتك وتفضلك ودعائك وأن يجعلني منك ببال فلقد زينتني بكتابك وأيقظتني بنصيحتك لو صادفت همة متيقظة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] وما لم يكن في القلب للقلب زاجر من القلب لم يخش لزجر الزواجر.

حبيبي بلسانك خاطبتك وبما أفادني الله منك قديما وحديثا جاوبتك فإن يكن أعزك الله في الكتاب سقط أو لغط أو عثرة لسان فأنت أحق من عفا وما كان فيه مما رضيته فمنك وبك فأنت المحمود على كل حال وسنح [2] من بقى من النساك بل الحكماء والعارفين من أهل عصرك. والحمد لله على ذلك فلم أشك أعزك الله أن بعض من غشيك من ناحيتنا من النساك والمائلين إلى التقلل استزادونا، ولعمري إبا في موضع المستزاد ولو أن امرأ مثل القدح لوجدت له غامرا ورضي الناس غاية لا منتهى له ولعمري من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، أسال الله صلاح شبابنا برحمته. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. ما دامت الدنيا والآخرة وعلى من حضرك من الراغبين فيما عند الله تبارك وتعالى والمائلين إلى قربك ومحبيك أكثر سلام الله وأطيبه، أ رأيت أدام الله عزك أن تتفضل بكتابك فيه تعرفني فيه سلامتك وعاقبة الله إياك مع حاجة إن بدت قبلنا فإنك تسرني بذلك وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم كثيراً.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

رسالة أبي القاسم الجنيد بن محمد إلى يحيى بن معاذ[1] رحمة الله عليهما[2]

لا غبت بك عن شاهدك ولا غاب شاهدك بك عنك، ولا حلت بتحولك عن حالك ولا حال حالك بتحويله عنك ولا بنت عن حقيقة إنبائك، ولا بانت أبناؤك بغيبة الأنباء منك، ولا زلت في الأزل شاهد الأزل في أزليتك، ولا زال الأزل يكون لك مؤيدا لما زال منك، فكنت بحيث كنت كما لم تكن ثم كنت بفردانيتك متوحدا وبوحدانيتك مؤيدا بلا شاهد من الشواهد، يشهدك ولا غبت لدى الغيب من الغيب بغيبتك فأين ما لا أين لأينه إذ مؤين الأينات مبيدا لما أينه وإذ الإبادة مباده في تأبيد مبيد الابادات وإذا الاجتماع فيما تفرق والتفريق فيما جمع فرق في جمع جمعه، وإذا الجمع بالجمع للجمع جمع فيما جمعه[3].

ففتح كتابي واحد ففضه واستعجم بعض ما فيه على قوم فأتعبني تخلصهم ولزمني من ذلك شفقة عليهم، والخلق بحاجة إلى الرفق وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون، ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون وربما وقع عن قصد الله وأنعمه له وجعل الله عليه واقية باقية وسلمنا وإياك. فعليك بضبط لسانك ومعرفة أهل زمانك وخاطب الناس بما يعرفون ودعهم مما لا يعرفون، فإن الناس كإبل مائة ليس فيها راحلة وقد جعل الله العلماء والحكماء رحمة من رحمته يبسطها على عباده فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك، إن كان الله سبحانه وتعالى قد جعلك بلاء على نفسك و أخرج إلى الخلق عن حالك بأحوالهم وخاطبهم من قبلك على حسب مواقعهم. فذلك أبلغ لك عليهم والسلام.

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، توفى سنة ٢٥٨ هـ ٨٧٢ م، فريد عصره، له لسان في الرجاء وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ، وأقام فيها مدة، ثم رجع إلى نيسابور. قال: كيف من يكون زاهدا من لا ورع. تورع عما لا ليس منك، ثم ازهد فيما لك. الرسالة القشيرية، ص: ٤١٤.

(٢) من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، رقم ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد، ٣٩٦ تصوف.

(٣) يشير الإمام الجنيد إلى الجمع والفرق، وكما يقول القشيري في هذا الصدد: ولا بد للعبد من الجمع والفرق، فإن من لا تفرق له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له. فقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى الفرق، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى الجمع. الرسالة القشيرية، ص: ٦٥. ويشير الكلاباذي أيضا: والجمع الذي يعنيه لا تتفرق همومه فيجمعها تكلف العبد، بل تجتمع الهموم فتصير بسهود الجامع لها هما واحدا، ويحصل الجمع إذ كان بالله وحده دون غيره انظر أيضا: د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، ص: ١٠٨.

رسالة أبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه[1]

صفا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك وأخلصك بما به خصك وحباك، وكشف لك عن حقيقة ما به بداك وآثرك بما استأثر به عمن سواك. وقربك في الزلفى لديه وأدناك. وبسطك بالتأنيس في حمل قربك[2] وناجاك وانتخبك لجميل أمره وصافاك وأيدك في عظيم تلك المواطن وقريب تلك الأماكن بالقوة والتمكين والهدوء والدَّعة والتسكين لئلا تقوى عليك البداية الواردة والأنباء الغريبة القاصدة فيلزمك لقوة ذلك عليك في ابتداء خلوصه أبهات الذهل لما لا يجد لما لا يقال منه محتمل فكيف يحتمل ذلك أو تقف العقول لضبط[3] ما هنالك إن لم يمسكها بالكلاءة ويكتف سرائرها بالرعاية فإن أنت وقد أقبل بك كلك عليه وأقبل بما يريده منك لديه وقد بسط لك في استماع الخطاب وبسطك إلى رد الجواب فأنت حينئذ يقال لك وأنت قائل وأنت مسئول عن إنبائك وأنت مسائل في درة الفرائد وترادف الشواهد بدوام الزوائد واتصال الفوائد تهطل بعز من المجيد عليك من كل جانب فلولا إحلاله عليك النعمة وتمسيكه لقلبك بالسكينة لذهلت عند كون ذلك القلوب ولتمزقت عند حضوره العقول لكنه جل جلاله[4] وتقدست أسماؤه جاد بالفضل على من أخلصه وعاد بالعطف على من اصطنعه فحمل عنه ما تحملها إياه وحملوا ما أراده لهم وتفضل به من إدراكهم له جعلنا الله وإياك من أقرب أوليائه لديه منزلا إن ربي سميع قريب.



(١) من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربية، برقم ٢٢٧ تصوف، ١٣٤ توحيد، ٣٩٦ تصوف، وسنرمز لها في المقابلة بالرمز خ، والنسخة المطبوعة بنشرة على حسن عبد القادر بالرمز ط.

(٢) في ط: قربه.

(٣) في ط: بضبط

(٤) في ط: جل ثناؤه.

وكتب الجنيد إلى بعض إخوانه[1]

يقول: أيدك الله يا أخي بالاصطفاء وجمعك بالاجتواء وخصك بعلم أهل النهى واطلعك من المعرفة على ما أولى، وتمم لك ما يريد منك له ثم أخلاك منك له به لتفردك في تقلبه بما شهدك من حيث لا يلحقك شاهد من الشواهد يخرجك، فذلك أول الأول الذي يحيى به رسوم ما ترادف بما غيبه به عنك بعلو ما استأثر به له، ثم أفردك منك لك في أول تفريد التجريد، وحقيقة كائن التفريد فكذلك إن انفردت (منك)[2] أباد وأفنى الإبادة ما سلف من الحق من الشواهد بعد فناء محاجر الخلق فعند ذلك تقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق ومن ذلك ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد.

(١) من رسائل في التوحيد والتصوف، معهد المخطوطات العربي، رقم، ٣٩٦ تصوف، ١٣٤ توحيد.

(٢) هكذا في الأصل.

رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه [1]

لا زلت أيها الموجود بباب الله راتبا، وبه منه إليه لما يحبه منك طالبا، وله في آلائه وغريب أنبائه راغبا، فحبك به عليه فيما يحبه لك ويبلغك إليه باصطفائه إلى ما يريده منك ليصطفيك فيما يوليك بما ينتخبه لك ويجتبيك، ثم يبديك فيما يوليك ويخفيك في عزيز ما يبديك، إعلاء لك عن مصادفة النواظر لحقيقتك، وضن بك عن معرفة القلوب لمكانتك، وضم لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلتك، فكنت عند ذلك بحيث أرمس المكان مكونه، وطمس الدلائل عليه من وهم متوهمه، فكنت فيما هنالك بغيب لغيب انتفت عن حقائقه الشكوك والريب، كما أن الحقائق بحق اليقين تعلم وملاحظة العيان لها محتجبة لا تتوهم، ومن وراء ذلك توحيد الموحد وربانية الألوهية المتفرد على أولية أزلية وبقاء سرمد الأبدية وهناك ضلت مقاليد الفهماء، ووقفت علوم العلماء، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء، وهذه غاية لما هذا نعته وسنا ذروه، وانتهت الصفة إلى صفته، ومن وراء ذلك برزخ إلى يوم يبعثون. وإذا بعث الخلق بعد انقضاء مدة برزخهم وأحيوا لحقيقة البعث بعد ميتتهم عرفوا إحياء الحي لمن أحياه، وتركه في سرمد البقاء لمن أبقاه، وفيما أشرت به من ذلك شرح يطول وصفه، ولا يحتمل الكتاب نعته على كنهه.

يا أخي رضي الله عنك، وصل كتابك السار ظاهره وباطنه وأوله وآخره وسررت بما ضمنته من علم غريب وحكم عزيزة وإشارات واضحة منيرة، ولم يخف علي ما عرضت به مع ما صرحت به وكل ذلك على علمي به وسبقي على فهم ما قصدت له بين عندي إلى أين موئله وإلى أين نهايته ومصدره، ومن أين أوله وآخره وكيف جرى علي من جرى الحكم به، لا عدمت استعصامك به منه وقيام عصمتك به له، غلبت غوالب قاهرة وبدهت بواده باهرة، أودت بقوة سلطانها تقاوم سلطانها بالتقاهر فيما قام منها ثم حمل بعضها على بعض فركدت متوارية وهي في الحقيقة بالقوة متظاهرة تحكمت بمنيع عز التصاول بلا أين ولا إلى

(١) هذه الرسالة مما نشر عن علي حسن عبد القادر ضمن رسائل الجنيد، ص: ٣-٦.

أين متكون بكنه نهاية ولا هو إلى مواضع محدودة، فتعرف لها غاية، إبادتها إبادة مستظلمة وسطوتها للكل منتظمة. هيه ثم ماذا بعد ذلك. نصبهم غرضا للبلاء وعرضهم للحين والجلاء، وأنفذ عليهم المكاره بماضي القضاء، وجرعهم الموت صرفا وأجرى عليهم بقدرته ما يشاء، فمن بين متمانع مستعصم مغلوب، ومن بين مستسلم مسلوب فلا كان المستسلم فيها باستسلامه ناجيا ولا المتمانع بالاستعصام من طلبها خارجا، حبست أنفاسهم في أنفاسهم فهم على فرط البلاء كاظمون وتغصصوا بتجرع المر المتلف فهم على التلف مشرفون، فلو أطلقت الأرواح أن تفيض لكان في ذلك راحتها، لكنه في الموت ألم مذاق الموت حابسها، لا يأملون بعد الموت فرجا، ولا لهم قبل الموت من فرط البلاء مخرج.

يا أخي هؤلاء قوم هذه بعض صفاتهم وكرهت الإطالة عليك في نعت حالهم، وسمع سامعون ببعض نعت ما بلغ القوم إليه، وما القوم من حقائق ذلك كائنون لديه، فسموا بالهموم انتهاء إلى مطالبته قبل النزول بالكون في محض حقيقته. وشبه عليهم فيه كائنات المحظي وخفي عليهم المعزز من كون التولي، وجرت عليهم أحكام أولئك في أحكامهم واستمر مترادف الزلل على مضي أيامهم، وكان عندهم أنهم أولئك وليسوا بأولئك، وقوي عليهم موهم حالهم أنهم فيما هنالك.

هيهات هيهات ما أبعد من ذلك منالهم وما أعظم ما يجرى عليهم من الخلل في توهم حالهم، أعاذنا الله وإياك يا أخي من كل حال لا تكون لمحض الحقيقة متصادفة، ولا تكون لما أحكمه الحق مؤالفة. ومع ما ذكرته من هذه الحال وما فيها فهي واسطة بين حالين والذي جرى منها فرق إذا انكشفت بين منزلتين وليس مراد الحق بها هي بعينها، لكن ذلك على صحة كونه ليكشف بها ما وراءها. وعلم الأكابر ومنازل العظماء وأماكن الحكماء وصريح حقيقة فهم الفهماء بعد عبور ذلك وتجاوزه إلى ما لو سنح سانح لتعبيره وجرى الحكم ببعض وصف تفسيره لخشعت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما.

يا أخي لا عدمت إشارتك بالحق على ما بسط الحق إليك وقرت عيني فيك ببلوغ النهاية إلى ما أطلعك الحق عليه. أنت بعض أناسي وشركاء رغبتي وكبير من كبراء إخوتي وخل من أخلاء قلبي بخالص محبتي، ألست أحد من بقي من

كبراء إخوتنا وأحد المشار إليهم من أبناء جنسنا ومن عظمت نعمة الله عليه فيه فيما وهبه لنا منه ، لا تدع يا أخي متفضلا متطولا محسنا مكاتبتنا ومواصلتنا نستريح عند ذلك إلى طيب خبرك ونتفرج ببقاء أثرك ونبتهج بعظيم ما وهبه الله لك ، فإن كان ذلك عندك مما نستحقه فعلته وإلا جعلت ذلك تطوعا منك علينا وامتنانا يصل منك إلينا . وعيك سلام الله ورحمته وعلى جميع إخواننا .

رسائل منشورة في الحلية واللمع

رسالة إلى جعفر الخلدي[1]

كتب إلى جعفر بن محمد بن نصير الخلدي وسمعت أبا طاهر المحتسب يقول: قرأت على أبي محمد جعفر بن محمد بن نصير وهو يسمع قال: كان الجنيد بن محمد يدعو بهذا الدعاء على ممر الأيام الحمد لله حمدا دائما كثيرا طيبا مباركا موفورا لا انقطاع له ولا زوال ولا نفاد له ولا فناء كما ينبغي لكريم وجهك وعز جلالك وكما أنت أهل الحمد في عظيم ربوبيتك وكبريائك ولك من كل تسبيح وتقديس وتمجيد وتهليل وتحميد وتعظيم ومن كل قول حسن ذاك جميل ترضاه مثل ذلك اللهم صل على عبدك المصطفى المنتخب المختار المبارك سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى أشياعه وأتباعه وأنصاره وإخوانه من النبيين وصل اللهم على أهل طاعتك أجمعين من أهل السماوات والأرضين وصل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك اللهم وصلِّ على الكروبيين والروحانيين والمقربين والسياحين والحفظة والسفرة والحملة وصل على ملائكتك وأهل السموات وأهل الأرضين وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلها صلاة ترضاها وتحبها وكما هم لذلك كله أهل وأسألك اللهم بجودك ومجدك وبذلك وفضلك وطولك وبرك وإحسانك ومعروفك وكرمك وبما استقل به العرش من عظم ربوبيتك أسألك يا جواد يا كريم مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا والتجاوز عن كل ما كان منا واد اللهم مظالمنا وقم بأودنا في تبعاتنا جودا منك ومجدا وبذلا منك وطولا وبدل قبيح ما كان منا حسنا يا من يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أنت كذلك لا كذلك غيرك اعصمنا فيما بقى من الأعمار إلى منتهى الآجال عصمة دائمة كاملة تامة وكره إلينا كل الذي تكره وحبب إلينا كل الذي ترضاه وتحبه واستعملنا به على النحو الذي تحب وأدم ذلك لنا إلى أن تتوفانا عليه أكد على ذلك عزائمنا واشدد عليها نياتنا وأصلح لها سرائرنا وابعث لها جوارحنا وكن ولي توفيقنا وزيادتنا وكفايتنا هب لنا اللهم هيبتك وإجلالك وتعظيمك ومراقبتك والحياء منك

(١) حلية الأولياء، جـ١٠، ص: ٢٨٤-٢٨٧.

وحسن الجد والمسارعة والمبادرة إلى كل قول زكي حميد ترضاه وهب لنا اللهم ما وهبت لصفوتك وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكر لك وخالص العمل لوجهك على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبه إليك وأعنا على العمل بذلك إلى منتهى الآجال اللهم وبارك لنا في الموت إذا نزل بنا أجعله يوم حياء وكرامة وزلفى وسرور واغتباط ولا تجعله يوم ندم ولا يوم أسى وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة عين واجعلها رياضا من رياض جنتك وبقاعا من بقاع كرامتك ورأفتك ورحمتك لقنا فيها الحجج وآمنا فيها من الروعات واجعلنا آمنين مطمئنين إلى يوم تبعثنا يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه لا ريب في ذلك اليوم عندنا آمنا من روعاته وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا من ظمئه واحشرنا في زمرة محمد ﷺ المصطفى الذي انتخبته واخترته وجعلته الشافع لأوليائك المقدم على جميع أصفيائك الذي جعلت زمرته آمنة من الروعات أسألك يا من إليه لجؤنا إليه إيابنا وعليه حسابنا أن تحاسبنا حسابا يسيرا لا تقريع فيه ولا تأنيب ولا مناقشة ولا مواقفة عاملنا بجودك ومجدك كرما واجعلنا من السرعان المغبوطين واعطنا كتبنا بالأيمان وأجزنا الصراط مع السرعان وثقل موازيننا يوم الوزن ولا تسمعنا لنار جهنم حسيسا ولا زفيرا وأجرنا منها ومن كل ما يقرب إليها من قول وعمل واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك وحبورك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وقراباتنا وذرياتنا في دارة قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها وضم إلينا إخواننا الذين هم على ألفتنا والذين كانوا على ذلك من كل ذكر وأنثى بلغهم ما أملوه وفوق ما أملوه وأعطهم فوق ما طلبوه واجمع بيننا وبينهم في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها وعم المؤمنين والمؤمنات جميعا برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك كن لنا ولهم وليا كالئا كافيا وارحم جفوف أقلامهم ووقوف أعمالهم وما حل بهم من البلاء والأحياء منهم تب على مسيئهم واقبل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصر مظلومهم واشف مريضهم وتب علينا وعليهم توبة نصوحا ترضاها فإنك الجواد بذلك المجيد به القادر عليه وكن اللهم للمجاهدين منهم وليا وكالئا وكافيا وناصرا وانصرهم على عدوهم نصرا عزيزا واجعل دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا أسفك الله دماءهم وأبح حريمهم

واجعلهم فيئا لإخواننا من المؤمنين وأصلح الراعي والرعية وكل من وليته شيئا من أمور المسلمين صلاحا باقيا دائما اللهم أصلحهم في أنفسهم وأصلحهم لمن وليتهم عليهم وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم اللهم اجمع لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة وأعذنا من البلاء كله تقول ذلك لنا بفضلك من حيث أنت به أعلم وعليه أقدر ولا ترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ولا ترنا بينهم خلافا اجمعهم على طاعتك وعلى ما يقر إليك فإنك ولى ذلك وأهله اللهم إنا نسألك إن تعزنا ولا تذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكن علينا وتجمع لنا سبيل الأمور كلها أمور ا لدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك ومعونة لنا على موافقتك وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا وعليها معولنا وإليها منقلبنا فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبت لخاصتك من صفوتك من حقيقة العلم والمعرفة بك من علينا بما مننت به عليهم من آياتك وكراماتك واجعل ذلك دائما لنا يا من له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير اللهم وهب لنا العافية الكاملة في الأبشار وجميع الأحوال وفى جميع الإخوان والذريات والقرابات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات أجر علينا من أحكامك أرضاها لك وأحبها إليك وأعونها على كل مقرب من قول وعمل يا سامع الأصوات ويا عالم الخفيات ويا جبار السماوات صل على عبدك المصطفى محمد وعلى آل محمد أولا وآخرا ظاهرا وباطنا واسمع واستجب وافعل بنا ما أنت أهله يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

رسالة في المعرفة[1]

أخبرني جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه الحسين بن يحيى الفقيه الأسفيعاني قال سمعت الجنيد يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه وقرأت على محمد بن علي بن حبيش فقلت سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول سألت عن المعرفة وأسبابها فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة لأن المعروف بها واحد ولكن لها أول وأعلى فالخاصة في أعلاها وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية إذ لا غاية للمعروف عند العارفين وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة ولا تحيط به العقول ولا تتوهمه الأذهان ولا تكيفه الرؤية وأعلم خلقه به أشدهم إقرارا بالعجز عن إدراك عظمته أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله إذ هو القديم وما سواه محدث وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ وإذ هو الإله وما سواه مألوه وإذ هو القوي من غير مقو وكل قوي فبقوته قوي وإذ هو العالم من غير معلم ولا فائدة استفادها من غيره وكل عالم فبعلمه علم سبحانه الأول بغير بداية والباقي إلى غير نهاية ولا يستحق هذا الوصف غيره ولا يليق بسواه فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية والعامة من المؤمنين في أولها ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها وعلى أدناها فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله وخلع الأنداد من دونه والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه واتقاؤه في كل وقت وإيثاره في جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق واجتناب مالا يقرب منه فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال والقدرة النافذة والعلم المحيط والجود والكرم والآلاء فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته ونفاذ قدرته وأليم عذابه وشدة بطشه وجزيل ثوابه وكرمه وجوده بجنته وتحننه وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه ورأفته ورحمته فلما

(١) حلية الأولياء ج: ١٠، ص: ٢٥٧-٢٥٩.

عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم فأجلوه وهابوه وأحبوه واستحيوا منه وخافوه ورجوه فقاموا بحقه واجتنبوا كل ما نهى عنه وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره وقدر ثوابه وعقابه فهم أهل الخاصة من أوليائه فلذلك قيل فلان بالله عارف وفلان بالله عالم لما رأوه مجلا هائبا راهبا راجيا طالبا مشتاقا ورعا متقيا باكيا حزينا خاضعا متذللا فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من حلية الأولياء عوام المسلمين وكذلك وصفهم الله فقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال داود عليه السلام إلهي ما علم من لم يخشك فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب صارت يقينا قويا فكملت حينئذ أخلاق العبد وتطهر من الأدناس فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال والتذكر والتفكر في الخلق كيف خلقهم وأتقن صنعتهم وفى المقادير كيف قدرها فاتسقت على الهيئات التي هيأها والأوقات التي وقتها وفى الأمور كيف دبرها على إرادته ومشيئته فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته والاتساق على مشيئته وقد قال بعض أهل العلم إن النظر في القدرة يفتح باب التعظيم لله في القلب ومر بعض الحكماء بمالك بن دينار فقال له مالك عظنا رحمك الله فقال بم أعظك إنك لو عرفت الله أغناك ذلك عن كل كلام لكن عرفوه على دلالة أنهم لما نظروا في اختلاف الليل والنهار ودوران هذا الفلك وارتفاع هذا السقف بلا عمد ومجارى هذه الأنهار والبحار علموا أن لذلك صانعا ومدبرا لا يعزب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه فعبدوه بدلائله على نفسه حتى كأنهم عاينوه والله في دار جلاله عن رؤيته ففي ذلك دليل أنهم بعظيم قدره أعرف وأعلم إذ هم له أجل وأهيب.

رسالة الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني[(١)]

أخبرنا محمد بن أحمد المفيد في كتابه وحدثنا عنه عثمان بن محمد قبل أن لقيته ثنا عبد الصمد بن محمد الجبلي قال كتب الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني يا أخي كيف أنت في ترك مواصلة من عرضك للتقصير ودعاك إلى النقص والفتور وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك وكيف إعراض سرك ونبو قلبك وعزوف ضميرك عنه حقيق عليك على ما وهبه الله لك وخصك به من العلم الجليل والمنزل الشريف أن تكون عن المقبلين على الدنيا معرضا وأن تكون لهم بسرك وجهرك قاليا وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعا فذلك بعض حقك لك وحري بك أن تكون للمذنبين ذائدا وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائدا وفى استنقاذهم وافدا فتلك حقائق العلماء وأماكن الحكماء وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله وأعمهم نفعا لجملة خلقه جعلنا الله وإياك من أخص من أخلصه بالإخلاص إليه وأقربهم في محل الزلفى لديه أيحسن بالعاقل اللبيب والفهم الأديب الطالب المطلوب المحب المحبوب المكلأ المعلم المزلف المقرب المجالس المؤانس أن يعير الدنيا طرفه أو يوافقها بلحظة وقد سمع سيده ومولاه وهو يقول لأجل أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه : ١٣١] الآية ، أفشاهد أنت لفهم الخطاب وإمكان رد الجواب فترك حظه من الله مما فاته ومصافاته وكافأته ومكانه منه وموالاته أن يواد من لا يواده أو يألف من لا يوافقه غض يا أخي بصر سرك وبصيرة قلبك عن الإيماء إلى النظر إليهم دون المواصلة لهم وصن بالمضمون من ضميرك عن أن تكون لك بالقوم مؤالفة فوالله لا والى الله من يحاده ولا أقبل على من يبغضه ولا عظم من يعظم ما صغره وقلله إلا أن ينزع عن ذلك فكن من ذلك على يقين وكن لأماكن من أعرض عن الحق مستهينا وبعد يا أخي فتفضل باحتمالي إن غلظ عليك مقالي وتجشم الصبر على أن يوافق قلبك ما في كتابي فإن المناصحة والمفاصحة خير من الإغضاء مع المتاركة وأنى أختم كتابي وأستدعى جوابي بقولي الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) حلية الأولياء ، ج : ١٠ ص : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

رسالة إلى بعض إخوانه[1]

سمعت علي بن هارون يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول وقرأه علينا في كتاب كتب به إلى بعض إخوانه اعلم رضي الله عنك أن أقرب ما استدعى به قلوب المريدين ونبه به قلوب الغافلين وزجرت عنه نفوس المتخلفين ما صدقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلى أمر لا يكون عليه شعاره ولا تظهر منه زينته وآثاره وألا يكون قائله عاملا فيه بالتحقيق وبكل فعل بذلك القول يليق وأفك من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين وأمر بالترك وكان من الآخذين وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين وحث على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين إلا قل قبول المستمعين لقيله ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله وكان حجة لمن جعل التأويل سببا إلى اتباع هواه ومسهلا لسبيل من آثر آخرته على دنياه أما سمعت الله تعالى يقول وقد وصف نبيه شعيبا وهو شيخ الأنبياء وعظيم من عظماء الرسل والأولياء وهو يقول: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] وقول الله جل ذكره لمحمد المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] وأمر الله له بالدعاء إليه بقوله عز من قائل أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فهذه سيرة الأنبياء والرسل والأولياء والذي يجب يا أخي على من فضله الله بالعلم به والمعرفة له أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال وأن يصدق القول منه الفعل بذلك أولا عند الله ويحظى به من اتبعه آخرا واعلم يا أخي أن لله ضنائن من خلقه أودع قلوبهم المصون من سره وكشف لهم عن عظيم أثرهم به من أمره فهم بما استودعهم من ذلك حافظون وبجليل قدر ما أمنهم عليه علماء عارفون قد فتح لما اختصهم به من ذلك أذهانهم وقرب من لطيف الفهم عنه لما أراده أفهامهم ورفع إلى ملكوت عزه همومهم وقرب من المحل الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء بحبهم وأفرد بخالص ذكره قلوبهم فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون وإذا سكتوا فبوقار العلم به يصمتون وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون جعلنا الله يا أخي ممن فضله بالعلم ومكنه بالمعرفة وخصه بالرفعة واستعمله بأكمل الطاعة وجمع له خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٠، ٢٦١.

رسالة إلى بعض إخوانه[1]

حدثنا علي بن هارون بن محمد قال سمعت الجنيد بن محمد يقول وكتب إلى بعض إخوانه : الحمد لله الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه وخصهم بالعلم والمعرفة به فاستعملهم بأحب الأعمال إليه وأقربها من الزلفى لديه وبلغهم من ذلك الغاية القصوى والذروة المتناهية العليا وبعد فإني أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال ماضية فإن الالتفات إلى ما مضى شغل عما يأتي من الحالة الكائنة وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة وبترك المنازلة لها بجولان الهمة لملتقى المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده ونسق ذكر موجوده فإنك إذا كنت هكذا كنت تذكر من هو أولى ولا تضرك رؤية الأشياء وأوصيك بتجريد الهم وتفريد الذكر ومخالصة الرب بذلك كله واعمل على تخليص همك من همك لهمك واطلب الخالص من ذكر الله جل ثناؤه بقلبك وكن حيث يراك لما يراد لك ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك واعمل على محو شاهدك من شاهدك حتى يكون الشاهد عليك شاهدا لك بما يخلص من شاهدك واعلم أنه إن كنت كذلك له كان لك بكل الكل فيما تحبه منه فكن مؤثرا له بكل من انبسط له منك ومنه بدا لك ومنه به يبسط عليك ما لا يحيط به علمك ولا تبلغ إليه أمانيك وآمالك وإذا بليت بمعاشرة طائفة من الناس فعاشرهم على مقادير أماكنهم وكن مشرفا عليهم بجميل ما آتاك الله وفضلك به وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٩، ٢٨٠ .

رسالة إلى بعض إخوانه[1]

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول وكتب إلى بعض إخوانه كتابا يقول فيه إن الله جل ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه ولا يعريها من أحبائه ليحفظ بهم من جعلهم سببا لحفظه ويحفظ بهم من جعلهم سببا لكونه وأنا أسأل المنان بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره تجميلا منه لنا بأعظم الرتب وإشرافا بنا على كل ظاهر ومحتجب وقد رأيت الله تعالى وتقدست أسماؤه زين بسيط أرضه وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأولى العلم به وجعلهم أبهج لامع سطع نوره وعن لقلوب العارفين ظهوره وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها ونور شمسها وقمرها أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته وهم أبين في منافع الخليقة أثرا وأوضح في دفاع المضار عن البرية خيرا من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يهتدي وبآثارها عند ملتبس المسالك يقتدي لأن دلالات النجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان وشتان ما بين من يفوز بسلامة دينه وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه .

(1) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٠ .

النظر الصحيح إلى الدنيا[1]

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب قال سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول إن لله عبادا صحبوا الدنيا بأبدانهم وفارقوها بعقود إيمانهم أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون وفيه مقيمون وإليه راجعون فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء والداعية إلى المهالك والمعينة للأعداء والمتبعة للهوى والمغموسة في البلاء والمتمكنة بأكناف الأسواء إلى قبول داعي التنزيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل إذ سمعوه يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لم يحييكم فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفح التمييز وتنسموا بروح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله في معاملته وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح وأماتوا شهوات النفوس وسجنوا هومومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة وأقاموا عليها رقيبا من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر ومن أحاط بكل شيء علما وأحاط به خبرا فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها واستبقت منافسة لأبناء جنسها نفوس ساسها وليها وحفظها بارئها وكلأها كافيها فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت حلية الأولياء مناجاتهم وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم تر أرواحا تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية وذللتها الخدمة وتسربلها الحياء وجمعها القرب وأسكنها الوقار وأنطقها الحذار أنيسها الخلوة وحديثها الفكرة وشعارها الذكر شغلها بالله متصل وعن غيره منفصل لا تتلقى قادما ولا تشيع ظاعنا غذاؤها الجوع والظمأ وراحتها التوكل وكنزها الثقة بالله ومعولها الاعتماد ودواؤها الصبر وقرينها الرضا نفوس قدمت لتأدية الحقوق ورقيت لنفيس العلم المخزون وكفيت ثقل المحن لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم.

---

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٢، ٢٦٣.

رأي الجنيد في الذكر الخفي[1]

حدثنا أبو الحسن علي بن هارون قال سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول وسأله جعفر ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا فأجابه فقال وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه وختم لنا ولكم بخير فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والإجلال لله واعتقاد الخوف من الله وذلك كله فيما بين العبد وربه لا يعلمه إلا من يعلم الغيب، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[القصص: ٦٩] وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده جل ثناؤه وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به وهو قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨] وقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار ١١، ١٢]. فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي وما أضمرته القلوب مما لم يظهر على الجوارح وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جل ثناؤه وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك والله أعلم وما روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملا فأسره فقد أحب أن ينفرد الله عز وجل بعلم ذلك العمل منه ومعناه أن يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه فإذا علم جل ذكره بصدق قصد العبد إليه وحده وسقط عن ذكر من دونه أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين الله على من سواه وجازاه الله بعلمه بصدقة من الثواب سبعين ضعفا على ما عمل من لا يحل محله والله أعلم.

---

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

كتابه إلى أبي العباس الدينوري[1]

حدثنا علي بن هارون قال سمعت الجنيد بن محمد يقول في كتابه إلى أبي العباس الدينوري : من استخلصه الحق بمفرد ذكره وصافاه يكون له وليا منتخبا مكرما مواصلا يورثه غرائب الأنبياء ويزيده في التقريب زلفى ويثبته في محاضر النجوى ويصطنعه للخلة والاصطفاء ويرفعه إلى الغاية القصوى ويبلغه في الرفعة إلى المنتهى ويشرف به من ذروة الذرى على مواطن الرشد والهدى وعلى درجات البررة الأتقياء وعلى منازل الصفوة والأولياء فيكون كله منتظما وعليه بالتمكين محتويا وبأنبائه خبيرا عالما وعليه بالقوة والاستظهار حاكما وبإرشاد الطالبين له إليه قائما وعليهم بالفوائد والعوائد والمنافع دائما ولما نصب له الأئمة من الرعاية لديه به لازما وذلك إمام الهداة السفراء العظماء الأجلة الكبراء الذين جعلهم للدين عمدا وللأرض أوتادا جعلنا الله وإياك من أرفعهم لديه قدرا وأعظمهم في محل عزه أمرا إن ربي قريب سميع .

(١) حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٥ .

عقبات الوصال[1]

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد السمسار يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول اعلم يا أخي أن الوصول إذا ما سألت عنه مفاوز مهلكة ومناهل متلفة لا تسلك إلا بدليل ولا تقطع إلا بدوام ورحيل وأنا واصف لك منها مفازة واحدة فافهم ما أنعته لك منها وقف عند ما أشير لك فيها واستمع لما أقول وافهم ما أصف اعلم أن بين يديك مفازة إن كنت ممن أريد بشيء منها وأستودعك الله من ذلك وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية فإن الخطر في سلوكها عظيم والأمر المشاهد في الممر بها جسيم فإن من أوائلها أن يوغل بك في فيح برزخ لا أمد له إيغالا ويدخل بك بالهجوم فيه إدخالا وترسل في جويهنته إرسالا ثم تتخلى منك لك ويتخلى منك له فمن أنت حينئذ وماذا يراد بك وماذا يراد منك وأنت حينئذ في محل أمنه روع وأنسه وحشة وضياؤه ظلمة ورفاهيته شدة وشهادته غيبة وحياته ميتة لا درك فيه لطالب ولا مهمة فيه لسارب ولا نجاة فيه لهارب وأوائل ملاقاته اصطلام وفواتح بدائعه احتكام وعواطف ممره احترام فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره وذهب بك في الارتماس وأغرقتك بكثيف الانطماس فذهبت سفالا في الانغماس إلى غير درك نهاية ولا مستقر لغاية فمن المستنقذ لك مما هنالك ومن المستخرج لك من تلك المهالك وأنت في فرط الإياس من كل فرج مشوه بك في إغراق لجة اللجج فاحذر ثم احذر فكم من متعرض اختطف ومتكلف انتسف وأتلف بالغرة نفسه وأوقع بالسرعة حتفه جعلنا الله وإياك من الناجين ولا أحرمنا وإياك ما خص به العارفين واعلم يا أخي أن الذي وصفته لك من هذه المفاوز وعرضت ببعض نعته إشارة إلى علم لم أصفه وكشف العلم بها يبعد والكائن بها يفقد فخذ في نعت ما تعرفه من الأحوال وما يبلغه النعت والسؤال ويوجد في المقاربين والأشكال فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك وأبعد من حظك لحظك وأحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال والهجوم على حين وقت النزال والتعرض لأماكن أهل الكمال قبل أن تمات من حياتك ثم تحيى من وفاتك وتخلق خلقا جديدا وتكون فريدا وحيدا وكل ما وصفته لك إشارة إلى علم ما أريده.

---

(1) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٩، ٢٦٠.

رسالة في الإيمان[1]

سمعت أبي يقول سمعت أحمد بن جعفر يقول سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد عن الإيمان ما هو فقال الإيمان هو والتصديق الإيقان وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان لأن المخبر لي بما غاب عني أن كان عندي صادقا لا يعارضني في صدقه ريب ولا شك أوجب على تصديقي إياه إن ثبت لي العلم بما أخبر به ومن تأكيد حقيقة ذلك أن يكون تصديق الصادق عندي يوجب على أن يكون ما أخبرني به كأني له معاين وذلك صفة قوة الصدق في التصديق وقوة الإيقان الموجب لاسم الإيمان وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال لرجل اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك فأمره بحالتين إحداهما أقوى من الأخرى لأني كأني أرى الشيء بقوة العلم به وحقيقة التصديق له أقوى من أن أكون أعلم أن ذلك يراني وإن كان علمي بأنه يراني حقيقة علم موجبة للتصديق والمعنى الأول أولى وأقوى والفضل بجمعهما على تقديم إحداهما على الأخرى. قال أحمد: وسألته عن علامة الإيمان؟ قال: الإيمان علامته طاعة من آمنت به والعمل بما يحبه ويرضاه وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده حتى أكون عليه مقبلا ولموافقته مؤثرا ولمرضاته متحريا لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أوثر عليه شيئا دونه ولا أتشاغل عنه بسبب سواه حتى يكون المالك لسري والحاث لجوارحي بما أمرني من آمنت به وله عرفت فعند ذلك تقع الطاعة لله على الاستواء ومخالفة كل الأهواء والمجانبة لما دعت إليه الأعداء والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا والإقبال على من هو أولى وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألت عنه وصفة الكل يطول شرحه قال وسألته: ما الإيمان؟ فقال: هذا سؤال لا حقيقة له ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم وإنما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجردا وحقيقته في القلوب مفردا وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله والتصديق وبما أخبر من أموره في سائر سماواته وأرضه مما ثبت في الإيقان وإن لم أره بالعيان فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق وللإيقان إيقان وإنما الصدق فعل قلبي والإيقان ما استقر من العلم عندي فكيف

---

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٥، ٢٦٦.

يجوز أن يفعل فعلي وإنما أنا الفاعل أو يعلم علمي وإنما أنا العالم والسؤال في الابتداء غير مستقيم ولو جاز أن يكون للإيمان إيمان وللتصديق تصديق جاز أن يوالي ذلك ويكرر إلى غاية تكثر في العدد وجاز أن يكون كما عاد على ثواب إيماني وثواب تصديقي أن يعود على إيمان إيماني ثواب وعلى تصديق تصديقي جزاء ولو أردت استقصاء القول في واجب ذلك لا تسع به الكتاب وطال به الخطاب وهذا مختصر من الجواب.



صفة العاقل[1]

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد قال سمعت أبا القاسم الجنيد يقول ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن موطن يعرف فيه حاله أمزاد أم منتقص وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها ويتقصى فيه على معرفتها وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه وكيف تقلب فيه الأحكام في آناء الليل وأطراف النهار ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بأحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمزاد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه مشغل فيفسد ما يريد إصلاحه ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته فحينئذ تكشف له خفايا النفوس الموارية فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم فان رأى خللا أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل والله يؤيد بنصره من يشاء إن الله لقوي عزيز وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء لا يقف على حد ذلك إلا من تصفح ما

---

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧١-٢٧٣.

هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف فإن النفس إذا ألفت فعل الخير صار خلقا من أخلاقها وسكنت إلى أنها موضع لما أهلت له وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجارى الدم فيها فيرى هو بكيده خفي غفلتها فيختلس منها بمساءلة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال فإن تألم لوكزته منه وعرف طعنته أسرع بالأمانة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به فاستقصى من نفسه علم الحال التي منا وصل عدوه إليه فحرسها بليـاذة اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام كما قال النبي بن النبي بن النبي الكريم بن الكريم بن الكريم كذا قال النبي ﷺ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام: ﴿وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] وعلم يوسف عليه السلام أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلبه التدبير فهو أفضل الأماكن وأعلى المواطن فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦] فألزمهم دوام عبادته وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية وفى الأخرى جزيل الثواب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] وهذه كلها تلزم كل الخلق ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة ألا يعلم أنه قال كل يوم هو في شأن يعنى شأن الخلق وأنت أيها الواقف أترى أنك من الخلق الذي هو في شأنهم أو ترى شأنك مرضيا عنده ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه وخروجها من قلبه فإذا انقضت الدنيا وبادت أهلها وانصرفت عن ا القلب خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج ولها ترك ومنها هرب ألا ترى إلى حارثة حين يقول عزفت نفسي عن الدنيا

ثم يقول وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني بأهل الجنة يتزاورون وكأني وكأني وهذه بعض أحوال القوم.



رسالة في التوحيد[1]

قرأت على أبي الحسين محمد بن علي بن حبيش الناقد الصوفي صاحب أبي العباس بن عطاء ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة من كتابه فأقر به قلت سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه والمحدث كيف كان أحدثه وكيف كان أوله وكيف أحدث بعد موته فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث فيعرف المربوب ربه والمصنوع صانعه والعبد الضعيف سيده فيعبده ويوحده ويعظمه ويدل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليه والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله وأفعاله التي أخلصها لنفسه أن يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يسقم ولا يبري ولا يرفع ولا يضع ولا يخلق ولا يرزق ولا يميت ولا يحيي ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله فقد سئل بعض العلماء فقيل له بين التوحيد وعلمنا ما هو فقال هو اليقين فقيل له بين لنا فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونها فعل الله وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحدا في أفعاله إذا كان ليس شيء يفعل أفعاله وإنما اليقين اسم للتوحيد إذا تم وخلص وإن التوحيد إذا تم تمت المحبة والتوكل وسمى يقينا فالتوكل عمل القلب والتوحيد قول العبد فإذا عرف القلب التوحيد وقع ما عرف فقد تم وقد قال بعض العلماء إن التوكل نظام التوحيد فإذا فعل ما عرف فقد جاء بالمحبة واليقين والتوكل وتم إيمانه وخلص فرضه لأنك إذا عرفت أن فعل الله لا يفعله شيء غير الله ثم تخاف غيره وترجو غيره لم تأت بالأمر الذي ينبغي فلو عملت ما عرفت لرجوت الله وحده حين عرفت أنه لا يفعل

(١) حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٦، ٢٥٧.

فعله غيره فالقول فيمن يقصر علم قلبه أنه ناقص التوحيد لأن القلب مشتغل بالفتنة التي هي آفة التوحيد قلت ما هو؟ قال: ظنك أن شيئا يفعل فعل الله فاسم ذلك الظن فتنة والفتنة هي الشرك اللطيف قلت أو ليس الفتنة من أعمال القلب قال لا ولكنها داخلة عليه ومفسدة له قلت وما هي قال ظنك بالله إذ ظننت أن من يشاء يفعل فعله والكلام في هذا يطول ولكن من يفهم يقنع باليسير.

رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي[1]

رسالة الجنيد إلى أبى بكر الكسائي رحمهما الله تعالى: أخي أين محلك عند تعطيل العشار؟ وأين دارك وقد خربت الديار؟ وأين منزلك والمنازل قاع صفصف قفار؟ وأين مكانك والأماكن عواف دوارس الآثار؟ وماذا خبرك عند ذهاب جوامع الأخبار؟ فيم نظرك عند اصطلام محاضر النظار؟ فيم فكرك وليس بحين نظر ولا افتكار؟ وكيف هدءوك على ممر الليل والنهار؟ وكيف حذرك عند وقوع فواجع الأقدار؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار؟ فابك الآن إن وجدت سبيلا إلى البكاء بكاء الوالهة الحزينة الثكلى بفقد أعزة الألاف وفناء أجلة الأخلاف وإبادة ما مضى من الاكتناف وذهاب مشايخ الاعتطاف وورود بداية الاختطاف وروادف عواصف الارتجاف وتتابع قواصف الانتساف وبواهر قواهر الاعتكاف وثواقب ملامح الاعتراف فإلى أين موئلك وإلى ما يبلغ مصدرك والأحلام متمزقة والقلوب متصدعة والعقول منخلعة والأنباء كلها مرتفعة وأنت في أوابد مندمسة ونجوم منطمسة وسبل ملتبسة قد أضلك في اختلاف مناهجها ظلماؤها وانطبقت عليك أرضها وسماؤها ثم أفضى بك ذلك إلى لجة اللجج والبحر الزاخر الغامر المختلج الذي كل بحر دونه أو لجة فهو فيه كتفلة أو مجة فقد قذف بك في كثيف أمواجه وتلاطم عليك بعظيم هوله وارتجاجه فمن مستنقذك من متلفات المهالك أو مخرجك مما هنالك؟ كتابي إليك أبا بكر وأنا أحمد الله حمدا كثيرا وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة وصل إلى منك كتب فهمت ما

---

(١) كتاب اللمع، ص: ٣١١-٣١٢.

ذكرت فيها ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في وهمك وشق على ما ذكرت من غمك وليس حالك عندي حال معتوب عليه بل حالك عندي حال معطوف عليه وبحسبك من بلائك أن أكون سببا للزيادة في البلاء عليك وإني عليك لمشفق وإنما منعني من مكاتبتك لأني حذرت أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك وذلك أني كتبت منذ مدة كتابا إلى أقوام من أهل إصبهان ففتح كتابي وأخذت نسخته استعجم بعض ما فيه على قوم فأتعبني تخلصهم ولزمني من ذلك مؤنة عليهم وبالخلق حاجة إلى الرفق وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ولا تعمد له جعل الله عليك واقية وجنة وسلمنا وإياك فعليك رحمك الله بضبط لسانك ومعرفة أهل زمانك وخاطب الناس بما يعرفون ودعهم مما لا يعرفون فقل من جهل شيئا إلا عاداه وإنما الناس كالإبل المائة ليس فيها راحلة وقد جعل الله تعالى العلماء والحكماء رحمة من رحمته وبسطها على عباده فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك إن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك واخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم فذلك أبلغ لك ولهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة الجنيد إلى علي بن سهل الأصبهاني(١)

وكتب الجنيد رحمه الله كتابا إلى علي بن سهل الأصبهاني، وكان فيه: واعلم يا أخي أن الحقائق اللازمة والقصود القوية المحكمة والعزائم الصحيحة المؤكدة لم تبق على أهلها سببا إلا قطعته ولا معترضا إلا منعته ولا أثرا في خفي السرائر إلا أخرجته، ولا تأويلا موهما لصحة المراد إلا كشفته، فالحق عندهم بصحة الحال مجردا، والجد في دوام السير محددا، على براهين من العلم واضحة ودلائل من الحق بينة.

---

(١) كتاب اللمع، ص: ٣١٠.

أقواله في مختلف الموضوعات

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد وأبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقولان سمعنا أبا القاسم الجنيد بن محمد غير مرة يقول علمنا مضبوط الكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري بن مفلس فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٥).

الحلم

سمعت الحسين بن موسى يقول سمعت أبا نصر الطوسي يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول سمعت الجنيد يقول فيما يعظني به يا فتى الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك فالأحوال تندرج فيك وتنفد لأن الله عز وجل يقول والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٧).

أحوال الصوفي بعد الموت

أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير فيما كتب إلى وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال رأيت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٧).

العبادة

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا الحسين بن الدراج يقول ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعدما ألطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٥٧).

أهل الحكمة

أخبرني جعفر بن محمد بن نصر في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال: قال أبو القاسم الجنيد بن محمد وسئل عن ما تنهى الحكمة فقال الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج أن يعتذر منه وعن كل ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك فقال له السائل فبم تأمر الحكمة؟ قال تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره ويطيب عند جملة الناس خبره ويؤمن في العواقب ضرره قال فمن يستحق أن يوصف بالحكمة قال من إذا قال بلغ المدا والغاية فيما يتعرض لنعته بقليل القول ويسير الإشارة ومن لا يتعذر عليه من ذلك شيء مما يريد لأن ذلك عنده حاضر عتيد قال فبمن تأنس الحكمة وإلى من تستريح وتأوي قال إلى من انحسمت عن الكل مطامعه وانقطعت من الفضل في الحاجات مطالبه ومن اجتمعت همومه وحركاته في ذات ربه ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٢).

العلم النفيس

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت الجنيد يقول ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم قال وسمعت الجنيد يقول فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٣).

القناعة

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قال الجنيد لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم حدثنا عثمان بن محمد ثنا بعض أصحابنا قال قيل للجنيد ما القناعة قال ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٣).

الرحمة

سمعت علي بن عبد الله الجهضمي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت محمد بن الحريض يقول لما قال الجنيد إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن قال أبو العباس بن عطاء متى تبدو فقال له الجنيد هي بادية قال الله

سبقت رحمتي غضبي (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٣).

العلم اللدني

أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال سمعت الجنيد بن محمد يقول لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ولكنه من حق بدا وإلى الحق يعود وربما رفع في قلبي أن زعيم القوم أرذلهم (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٣).

أحوال الصوفي عند الموت

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الدارمي يقول سمعت أبا بكر العطوي يقول كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٤).

سمعت أبي يقول سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد عن قوله لا أحب الآفلين قال لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي وفى هذا دلالة أنى إنما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به حتى يكون ذلك موجودا غير مفقود وكذلك رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه وأن يفقدوا شاهدهم (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٥).

أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول أعلم الناس بالآفات أكثرهم بلاء وآفة (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

رحلة الوصال

أخبرنا جعفر وحدثني عنه عثمان قال كنت أمشي مع الجنيد فلقيه الشبلي فقال له يا أبا القاسم ما تقول فيمن الحق حسبه نعتا وعلما ووجودا فقال له يا أبا بكر جلت الألوهية وتعاظمت الربوبية بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة في أول طبقة منها ذهب الاسم قال وسمعت الجنيد يقول من ظن أنه يصل ببذل المجهود فمتعن ومن ظن أنه يصل بغير بذل المجهود فمتمن ومتعلم يتعلم الحقيقة يوصله الله

إلى الهداية قال ﷺ كل ميسر لما خلق له (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

الندم من الذنب

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا القاسم المطرز يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول لرجل وهو يكلمه في شيء لا تيأس من نفسك وأنت تشفق من ذنبك وتندم عليه بعد فعلك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

حقيقة التوكل

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا الحسن المحلي يقول سمعت الجنيد يقول كان التوكل حقيقة واليوم هو علم (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا محمد الخواص يقول سمعت الجنيد يقول منذ عشرين سنة ما ناصبت أحدا إلى حق فعاد إلى وقال الجنيد إذا أصبت من يصبر على الحق فتمسك به قال قلت وأنى به هات من يصبر لي على سماع الحق لا يتعرض إليه (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

أخبرني جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه أبو الحسن بن مقسم قال سمعت الجنيد يقول لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين وبقيت أعمال العاملين فضلا لهم (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا محمد المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كتب إلى بعض إخواني من عقلاء أهل خراسان اعلم يا أخي يا أبا القاسم أن عقول العقلاء إذا تناهت تناهت إلى حيرة (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٧، ٢٦٨).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا القاسم المطرز يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول أضر ما على أهل الديانات الدعاوى (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

حفظ الهمة

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن إسحاق الرازي يقول

سمعت العباس بن عبد الله يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول عليكم بحفظ الهمة فان حفظ الهمة مقدمة الأشياء(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

المروءة

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن إسحاق الرازي يقول سمعت العباس بن عبد الله يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول المروءة امتحان ذلل الإخوان (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول سمعت الجنيد بن محمد أبا القاسم يقول ورأى رويما وقد تولى القضاء فقال من أراد أن ينظر إلى من خبأ في سره حب الدنيا عشرين سنة فلينظر إلى هذا (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول أخبرني بعض أصحابنا عن أبي القاسم الجنيد قال إنه وقف على سائل فسألته فقال حركني فعل لي فقال الجنيد لا ولكن فعل الله فيك يقتضي منك شكر ما جعله فيك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول حضرت الجنيد يوما فسأله أصحابه فقالوا يا أستاذ متى يكون الله عز وجل مقبلا على عبده فلهى عنهم ولم يجبهم فألحوا عليه وكان ظريفا لا يحب أن يتبشع جوابه على أحد فالتفت إليهم فقال واعجباه يقف بين يدي ربه بلا حضور ويقتضي بهذه الوقفة إقبالا (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

حقيقة الشكر

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت محمد بن سعيد يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول وسئل عن حقيقة الشكر فقال ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٨).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا بكر بن سعيد وأبا بكر ختن الجنيد يقولان سمعنا الجنيد يقول الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب أنشدني أبو الحسن بن مقسم قال أنشدني أبو بكر ختن الجنيد قال أنشدني الجنيد بن محمد:

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

قال وأنشدني :

أناس أمناهم فنموا حديثنا فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

(حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٨ ، ٢٦٩).

سمعت أبا الحسن يقول سمعت أبا القاسم المطرز يقول سمعت الجنيد يقول لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك (حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٩).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا القاسم ا لنقاشي الصوفي يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه وتكون من أهله قبل أن تعطى العلم ماله عليك احتجب عنك نوره وبقى عليك وسمه وظهوره ذلك العلم عليك لا لك وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته (حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٩).

سمعت أبا الحسن يقول سمعت أبا القاسم النقاشي يقول سمعت الجنيد يقول الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه (حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٩).

أنشدني أبو الحسن بن مقسم قال أنشدني على بن الحسن القرشي قال أنشدني الجنيد بن محمد :

هل من سبيل إلى حبيب أوقفني موقف العبيد

والله والله لو بدأني بكل ضرب من الصدود

ما كان لي من هواه بد ولو تقطعت بالوجود

(حلية الأولياء، ج : ١٠ ، ص : ٢٦٩).

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا القاسم الحفار يقول سمعت

الجنيد وقد سأله رجل كيف الطريق إلى الله تعالى فقال توبة تحل الإصرار وخوف يزيل الغرة ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات ومراقبة الله في خواطر القلوب (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٩).

سمعت أحمد بن جعفر بن مالك يقول سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول وسأله سائل العناية قبل أم البداية فقال العناية قبل الطين والماء قال وسمعت أبا القاسم الجنيد يقول يا من هو كل يوم في شأن اجعلني من بعض شأنك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٦٩، ٢٧٠).

أخبرنا جعفر بن محمد فيما كتب إلي قال سمعت الجنيد يقول المريد الصادق غني عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر قال وسمعت الجنيد يقول اعتللت بمكة فقوي علي فيها الوجود حتى لم أقدر أن أقول سبحان الله والحمد لله قال سمعت الجنيد يقول مكثت مدة طويلة لا يقدم أحد البلد من الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه حتى إذا وجدته تكلمت بحاله وكنت لا أرى في النوم شيئا إلا رأيته في اليقظة (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٠).

سمعت أبا عمرو العثماني يقول سمعت أبا الحسن يقول سمعت الجنيد يقول ليس يتبشع على ما يرد على من العالم لأني قد أصلت أصلا وهو أن الدار دارهم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فان تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٠).

سمعت أبا الحسن الجهضمي يقول سمعت أبا الحسن يقول سمعت أبا عبد الله الفارسي يقول وقف أبو عبد الله المغربي على الجنيد وقد سئل عن قوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] قال الجنيد: سنقرؤك التلاوة فلا تنس العمل. وسئل عن قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] قال تركوا العمل بما فيه فقال المغربي حرجت أمة أنت بين ظهرانيها لا تفوض أمرها إليك قال ووقف الشبلي عليه فقال ما تقول يا أبا القاسم فيمن وجوده حقيقة لا علما فقال يا أبا بكر بينك وبين أكابر الناس سبعون قدما أدناها أن تنسى نفسك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٠).

حدثنا الجهضمي ثنا محمد بن الحسن ثنا أبو القاسم بردان الهاوندي قال سمعت الجنيد يقول جئت إلى أبي الحسن السدي يوما فدققت عليه الباب فقال من هذا فقلت جنيد فقال ادخل فدخلت فإذا هو قاعد مستوفز وكان معي أربعة دراهم فدفعتها إليه فقال لي أبشر فإنك تفلح فإني احتجت إلى هذه الأربعة دراهم فقلت اللهم ابعثها إلي على يدي رجل يفلح عندك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٠، ٢٧١).

حدثنا علي بن عبد الله ثنا منصور بن أحمد ثنا جعفر الدثلي قال سمعت الجنيد بن محمد يقول البلاء على ثلاثة أوجه على المخلطين عقوبات وعلى الصادقين تمحيص جنايات وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧١).

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول سمعت حكيم بن محمد يقول حضر الجنيد أبو القاسم موضعا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق قيل له يا أبا القاسم ما تراك تتحرك قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧١).

أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف وأكون أنا كيعقوب فأحزن على نفسي لما فقدت منها كما حزن يعقوب على فقده ليوسف فمكثت أعمل مدة فيما أجده على حسب ذلك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٣).

أخبرنا جعفر في كتابه وحدثنا عنه محمد قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كنت يوما عند السري بن المغلس بن الحسين وهو متزر بمئزر وكنا خاليين فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دنف مضني واجهد ما يكون فقال انظر إلى جسدي هذا فلو شئت أن أقول إن ما بي هذا من المحبة كان كما أقول كان وجهه يصفر ثم اشرأب حمرة حتى تورد ثم اعتل فدخلت عليه وعوده فقلت له كيف تجدك فقال:

كيف أشكو ما بي إلى طبيبي　　　والذي أصابني من حبيبي

فأخذت المروحة أروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من

داخل ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق / والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له / مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج / فامنن علي به ما دام لي رمق

(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٣).

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد قال سمعت الجنيد بن محمد يقول أعلى درجة الكبر وشرها أن ترى نفسك ودونها وأدناها في الشر أن تخطر ببالك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٣).

المشاهدة

أخبرني محمد بن أحمد بن هارون قال سمعت علي بن الحسين الغلاب يقول قيل للجنيد هل عاينت أو شاهدت قال لو عاينت تزندقت ولو شاهدت تحيرت ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة قال وسمعت الجنيد بن محمد يقول حرم الله المحبة على صاحب العلاقة قال وسئل الجنيد عن الدنيا ما هي قال ما دنا من القلب وشغل عن الله (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٣، ٢٧٤).

أخبرنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول دخلت يوما على سري السقطي فرأيت عليه هما فقلت أيها الشيخ أرى عليك هما فقال الساعة دق على داق الباب فقلت أدخل فدخل على شاب في حدود الإرادة فسألني عن معنى التوبة فأخبرته وسألني عن شرط التوبة فأنبأته فقال هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها فقلت حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كانت التوبة فقال ليس هو كذلك عندنا فقلت له فما حقيقة التوبة عندكم فقال حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة وأنا أفكر في كلامه قال الجنيد فقلت ما أحسن ما قال قال فقال لي يا جنيد وما معنى هذا الكلام فقال يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء فذكرى للجفاء في حال الصفاء غفلة قال ودخلت عليه

يوما آخر فرأيت عليه هما فقلت أيها الشيخ أراك مشغول القلب فقال أمس كنت في الجامع فوقف على شاب وقال لي أيها الشيخ يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله فقلت لا يعلم فقال بلى يعلم وقال لي ثانيا بلى يعلم فقلت له فمن أين يعلم قال إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٤).

أخبرنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد قال سمعت الجنيد ابن محمد يقول رأيت بعد أن أديت وردى ووضعت جنبي لأنام كأن هاتفا يهتف بي إن شخصا ينتظرك في المسجد فخرجت فإذا شخص واقف في سواء المسجد فقال لي يا أبا القاسم متى تصير النفس داءها دواءها قلت إذا خالفت هواها صار داؤها دواءها قال قلت هذا لنفسي فقالت لا أقبل منك حتى تسأل عنه الجنيد فقلت من أنت قال أنا فلان الجني وقد جئت إليك من المغرب قال وسمعت الجنيد بن محمد يقول لا نكون عبد الله بالكلية حتى لا تبقى عليك من غير الله بقية قال وسمعت الجنيد يقول لا تكن عبد الله حقا وأنت لشيء سواه مسترقا (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٤، ٢٧٥).

حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون قال سمعت عبد الواحد بن محمد الاصطخري أبا الأزهر يقول سمعت إبراهيم بن عثمان يقول سمعت الجنيد ابن محمد يقول دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة فمضت على أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة فتوضأت وملأت ركوتي وقمت أركع فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار كأنه قد غدا من بيته إلى سوقه أو يرجع من سوقه إلى بيته فسلم علي فقلت الشاب من أين فقال من بغداد فقلت متى خرجت من بغداد قال أمس فتعجبت منه وكنت قد مضت على أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع فجلس يكلمني وأكلمه فأخرج شيئا من كمه يأكله فقلت له أطعمني مما تأكل فوضع في يدي حنظلة فأكلته فوجدت طعمه كالرطب ومضى وتركني فلما دخلت مكة بدأت بالطواف فجذب ثوبي من ورائي فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي عليه قطعة عباء وعلى عاتقه بعضه فقلت له زدني في المعرفة فقال أنا الشاب الذي أطعمتك الحنظل فقلت له ما شأنك فقال يا أبا القاسم ذرؤنا حتى إذا أوقعونا قالوا استمسك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٥).

أخبرنا جعفر بن محمد فيما كتب إلى وحدثني عنه عثمان بن محمد قال سئل الجنيد أيما أتم استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم قال استغراق العلم في الوجود ليس العالمون بالله كالواجدين له قال وسأله الحريري عن قول عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قال هو والله ألم تعلم ما أنا لك عليه ومالك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أخبرتني به وأطلعتني عليه فهذا معناه (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٥)

حدثنا محمد بن أحمد بن هارون قال سمعت أبا زرعة الطبري يقول سمعت الحسين بن يسن يقول سمعت الجنيد يقول الأقوات ثلاثة فقوت بالطعام وهو مولد للأعراض وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات وقوت برؤية المذكور وهو الذي يفنى ويبيد قال ثم أنشد يقول:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٥، ٢٧٦).

سمعت أبي يقول سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد قلت متى يكون الرجل موصوفا بالعقل قال إذا كان للأمور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتصل بقاؤها وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه كذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله والأخذ منها

بأوفره قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولوا الألباب كذلك وصفهم الله وذوو الألباب هم ذوو العقول وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعا في العاجل والآجل وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٧).

التصوف هو صفاء المعاملة مع الله

حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله وأصله العزوف عن الدنيا كما قال حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٧، ٢٧٨).

حدثنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله فقال الجنيد إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٨).

أخبرنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال سمعت الجنيد بن محمد يقول حاجة العارفين إلى كلاءته ورعايته قال الله عز وجل قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ونجح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها وفتح كل باب شريف بذل المجهود قال ورأيت الجنيد في المنام فقلت أليس كلام الأنبياء إشارات عن مشاهدات فتبسم وقال كلام الأنبياء بناء عن حضور وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات قال وكتب الجنيد إلى بعض إخوانه من أشار إلى الله

وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه ورجع إلى من أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى فإن دام نزع الله على سكونه من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبس لباس الطمع لتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غيره وقال الجنيد لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله وقال رجل للجنيد علام يتأسف المحب قال على زمان بسط أورث قبضا أو زمان أنس أورث وحشة وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا

(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٨، ٢٧٩).

كتب إلى جعفر بن محمد وأخبرني عنه يوسف بن محمد القواس قال سمعت الجنيد بن محمد يقول إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره فانظر ماذا خالط قلبك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٩).

كتب إلى جعفر بن محمد وأخبرني عنه محمد بن عبد الله قال سمعت الجنيد يقول يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٧٩).

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول سمعت الجنيد بن محمد وسئل عن الرضا فقال سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين من كان عن الله راضيا قال بعض أهل العلم أهنأ العيش عيش الراضين عن الله فالرضا استقبال ما نزل من البلاء بالطاقة والبشر وانتظار ما لم ينزل منه بالتفكر والاعتبار وذلك أن ربه عنده أحسن صنعا به وأرحم به وأعلم بما يصلحه فإذا نزل القضاء لم يكرهه وكان ذلك إرادته مستحسنا ذلك الفعل من ربه فإذا عد ما نزل به إحسانا من الله عز وجل فقد رضي فالرضى هو الإرادة مع الاستحسان أن يكون مريدا لما صنع محبا راضيا عن الله بقلبه (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٠).

سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادي يقول سئل الجنيد بن محمد عن المحبة أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال فقال إن محبة الله لها تأثير في محبوبيه بين فالمحبة نفسها من صفات الذات ولم يزل الله تعالى محبا لأوليائه وأصفيائه فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال فاعلم أرشدك الله للصواب (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨١).

أخبرنا محمد بن أحمد في كتابه وحدثني عنه عثمان بن محمد قال سمعت الجنيد بن محمد يقول اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفا لذكره فؤادك واتصل بالله فهمك ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك فعند ذلك يبدو لك علم الحق (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨١).

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول سمعت أبا بكر العطار يقول حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسامي وكانت رجلا أبى القاسم تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم قال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله قال الشيخ كان الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشريعة فكان عنده اقتباس آثار الشريعة وقبوله المدرجة البديعة وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار ومن مسانيد حديثه ما حدثناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ بها قال حدثني بكير بن أحمد الصوفي بمكة ثنا الجنيد أبو القاسم الصوفى ثنا الحسن بن عرفة ثنا محمد بن كثير الكوفى عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] قال: للمتفرسين حدثنا محمد بن عبد الله بن سعيد ثنا عبدان بن أحمد ثنا عبد الحميد بن بيان ثنا محمد بن كثير ثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد الخدري عن

النبي ﷺ مثله (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨١، ٢٨٢).

سمعت علي بن هارون بن محمد يقول سمعت الجنيد بن محمد يدعو بهذا الدعاء فجاءه رجل فشكا إليه الضيق فعلمه وقال قل اللهم إني أسألك منك ما هو لك وأستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء صفاء أنال به منك شرف العطاء اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذاكره منك إلا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك اللهم املأ قلبي بك فرحا ولساني لك ذكرا وجوارحي فيما يرضيك شغلا اللهم امح عن قلبي كل ذكر إلا ذكرك وكل حب إلا حبك وكل ود إلا ودك وكل إجلال إلا إجلالك وكل تعظيم إلا تعظيمك وكل رجاء إلا لك وكل خوف إلا منك وكل رغبة إلا إليك وكل رهبة إلا لك وكل سؤال إلا منك اللهم اجعلني ممن لك يعطي ولك يمنع وبك يستعين وإليك يلجأ وبك يتعزز ولك يصبر وبحكمك يرضى اللهم اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك اللهم اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلا غير منفصل واجعل صبري لك على طاعتك صبر من ليس له عن الصبر صبر إلا القيام بالصبر واجعل تصبري عما يسخطك فيما نهيتني عنه تصبر من استغنى عن الصبر بقوة العصمة منك له اللهم واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك اللهم واجعلني ممن يلجأ إليك لجأ من لا ملجأ له إلا إليك واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبدا ما أبقيتني اللهم وكل سؤال سألته فمن أمر منك لي بالسؤال فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٢).

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي في كتابه وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول وهو يدعو بهذا الدعاء الحمد لله إلهي حمدا كإحصاء علمك حمدا يرقى إليك على الألسنة الطاهرة مبرأ من زيغ وتهمة معرى من العاهات والشبهات قائما في عين محبتك بحنين صدق إخلاصه ليكون نور وجهك العظيم غايته وقدس عظمتك نهايته لا يستقر إلا عند مرضاتك خالصا بوفاء إرادتك نصب إرادتك حتى يكون

لحامدك سائقا قائدا إلهي ليس في أفق سماواتك ولا في قرار أرضك في فسحات أقاليمها من يحب أن يحمد غيرك إذ أنت منشئ المنشآت لا تعرف شيئا إلا منك وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك ويدؤه منك وأمره إليك وعلانيته وسره محصي في إرادتك فأنت المعطي والمانع وقضاؤك الضار والنافع وحلمك يمهل خلقك وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك تحدث ما شئت أن تحدثه وتستأثر بما شئت أن تستأثره وتخلق ما أنت مستغن عن صنعه وتصنع ما يبهر العقول من حسن حكمته لا تسأل عما تفعل لك الحجة فيما تفعل وعندك أزمة مقادير البشر وتصاريف الدهور وغوامض سر النشور ومنك فهم معرفة الأشخاص الناطقة بتفريدك لا يغيب عنك ما في أكنة سرائر الملحدين ولا يتوارى عن علمك اكتساب خواطر المبطلين ولا يهيم في قضائك إلا الجاهلون ولا يغفل عن ذكرك وشكرك إلا الغافلون ولا تحتجب عنك وساوس الصدور ولا وهم الهواجس ولا إرادة الهمم ولا عيون الهمم التي تخرج بصائر القلوب إلهي فكيف أنظر إن نظرت إلا إلى رحمتك وإن غضضت فعلى نعمك فمن فضلك جعلت حكمك يحتمل على عطفك ومن فضلك جعلت نعمك تعم جميع خلقك فهب لي من لدنك ما لا يملك غيرك مما تعلمه يا وهاب يا فعال لما يريد واجعلني من خاصة أوليائك يا خير مدعو وأكرم راحم إنك أنت على كل شيء قدير (حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٣).

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول: اعلم أن المناصحة منك للخلق والإقبال على ما هو أولى بك فيك وفيهم أفضل الأعمال لك في حياتك وأقربها إلى أوليائك في وقتك واعلم أن أفضل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة في كل وقت وزمن وفى كل محل ووطن أحسنهم إحكاما لما عليه في نفسه وأسبقهم بالمسارعة إلى الله فيما يحبه وأنفعهم بعد ذلك لعباده فخذ بالحظ الموفر لنفسك وكن عاطفا بالمنافع على غيرك واعلم أنك لن تجد سبيلا تسلكه إلى غيرك وعليك بقية مفترضة من حالك واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية والمرادين لمنافع الخليقة والمرتبين للنذارة والبشارة أيدوا بالتمكين وأسعدوا براسخ علم اليقين وكشف لهم عن غوامض معالم الدين وفتح لهم في فهم الكتاب المستبين فبلغوا ما أنعم به عليهم من فضله وجاد به من عظيم أمره إحكام ما به أمروا

والمسارعة إلى ما إليه ندبوا والدعاية إلى الله بما به مكنوا وهذه سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم فيمن بعثوا إليهم من الأمم وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم وسيرة المتبعين لآثارهم من الأولياء والصديقين وسائر الدعاة إلى الله من صالحي المؤمنين.

كتب إلى جعفر بن محمد وقال أنشدني الجنيد بن محمد:

سرت بناس في الغيوب قلوبهم وجالوا بقرب الماجد المتفضل
ونالوا من الجبار عطفاً ورأفة وفضلاً وإحساناً وبراً يعجل
أولئك نحو العرش هامت قلوبهم وفى ملكوت العز تأوي وتنزل

(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٤).

أنشدني عثمان بن محمد العثماني قال أنشدني الحسين بن أحمد بن منصور الصوفي للجنيد بن محمد:

تريد مني اختبار سري وقد علمت المراد مني
فليس لي من سواك حظ فكيفما شئت فامتحني
كل بلاء علي مني يا ليتني قد أخذت عني

(حلية الأولياء، ج: ١٠، ص: ٢٨٤).

الصبر

يقول الجنيد: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، و هجر الخلق في جنب الله شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله عز وجل أشد. فسئل عن الصبر فقال: تجرع المرارة من غير تعبيس (الرسالة القشيرية، ص: ١٨٣).

المراقبة

وقال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف على فوت حظه من ربه عز وجل لا غير (الرسالة القشيرية، ص: ١٩١).

الرضا

وقيل: قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقال الجنيد: قولك هذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء، فسكت الشبلي (الرسالة القشيرية، ص: ١٩٥).

وقال الجنيد: الرضا رفع الاختيار. (الرسالة القشيرية، ص: ١٩٦).

العبودية

ويقول الجنيد: العبودية ترك الأشغال والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠١).

الإرادة

ويقول الجنيد: إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية، ومنعه من صحبة القراء (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٣).

وسئل الجنيد: ما للمريدين في مجرى الحكايات؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوي بها قلوب المريدين، فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم قوله عز وجل: . وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٣).

يقول الجنيد: المريد الصادق غني عن علم العلماء، فأما الفرق بين المريد والمراد: فطل مريد على الحقيقة مراد، إذ لو لم يكن مراد الله عز وجل بأن يريده لم يكن مريدا إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى، وكل مراد مريد لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة، ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد، فالمريد عندهم هو المبتدى، والمراد هو المنتهى، والمريد الذي نصب بعين التعب، وألقى في مقاساة المشاق، والمراد الذي كفى بالأمر من غير مشقة، فالمريد متعن، والمراد مرفوق به مرفه، وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة، فأكثرهم يوفقون للمجاهدات، ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتي إلى سني المعالي، وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني، ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من

أصحاب الرياضات، إلا أن أكثرهم يردون إلى المجاهدات بعد الإرفاق، ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٤).

الاستقامة

قال الجنيد: لقيت شابا من المريدين في البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان، فقلت: ما أجلسك ههنا؟فقال: حال افتقدته فمضيت وتركته، فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة، فقلت ما جلوسك ههنا؟! فقال وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته، قال الجنيد: فلا أدري أيهما كان أشرف، لزومه لافتقاد حاله، أو لزومه للموضع الذي نال فبه مراده. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٧).

الإخلاص

وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله والعبد، ولا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٩).

الصدق

يقول الجنيد: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حاله واحدة أربعين سنة. (الرسالة القشيرية، ص: ٢١١).

يقول الجنيد: حقيقة الصدق أن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب. (الرسالة القشيرية، ص: ٢١٢).

الحياء

وسئل الجنيد عن الحياء فقال: رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء. (الرسالة القشيرية، ص: ٢١٨).

الحرية

وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم، ويقول الجنيد أيضا: إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٢٠).

الفتوة

يقول الجنيد : الفتوة بالشام ، واللسان بالعراق ، والصدق بخراسان . (الرسالة القشيرية ، ص : ٢٢٦) .

وسئل الجنيد عن الفتوة فقال : أن لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا . (الرسالة القشيرية ، ص : ٢٢٧) .

وقال الجنيد : الفتوة كف عن الأذى وبذل الندى . (الرسالة القشيرية ، ص : ٢٢٧) .

الفراسة

كان شاب يصحب الجنيد ، وكان يتكلم عن خواطر الناس ، فذكر للجنيد ، فقال له الجنيد : ما هذا الذي ذكر عنك؟ فقال للجنيد : اعتقد شيئا ، فقال : اعتقدت ، فقال الشاب : اعتقدت كذا وكذا ، فقال الجنيد : لا . فقال : اعتقد ثانيا ، ففعل ، فقال : اعتقدت كذا وكذا ، فقال : لا ، فقال ثالثا ، فقال مثله . فقال الشاب : هذا عجب أنت صدوق ، وأنا أعرف قلبي ، فقال الجنيد : صدقت في الأول والثاني والثالث ، ولكني أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك . (الرسالة القشيرية ، ص : ٢٣٨) .

ويحكى عن الجنيد أن السري السقطي كان يقول له : تكلم على الناس ، فقال الجنيد : وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس ، فإني كنت اتهم نفسي في استحقاق ذلك ، فرأيت ذات ليلة النبي ﷺ في المنام ، وكانت ليله جمعة ، فقال لي : تكلم على الناس ، فانتبهت وأتيت باب السري السقطي قبل أن أصبح ، فدققت عليه الباب ، فقال : لم تصدقنا حتى قيل لك ، فقعد للناس بالغد في المسجد ، فانتشر الخبر بين الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ، فوقف عليه غلام نصراني متنكرا ، وقال له أيها الشيخ : ما معنى قول رسول الله ﷺ : "اتقوا فراسة المؤمن ، فإن المؤمن ينظر بنور الله تعالى"(١) فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه ، وقال : أسلم فقد حان وقت إسلامك ، فأسلم الغلام (الرسالة القشيرية ، ص : ٢٤١) .

---

(١) رواه الترمذي عن أبي سعيد الحكيم ، وسمويه ، والطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن أبي أمامة بن جرير عن ابن عمر .

الفقر

يقول الجنيد: يا معشر الفقراء، إنكم تعرفون بالله تعالى، وتكرمون لله تعالى، فانظروا كيف تكونون مع الله تعالى إذا خلوتم به. وسئل الجنيد عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى: أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى؟ فقال: إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل، فقد صح الاستغناء بالله تعالى، وإذا صح الاستغناء تعالى كمل الغنى به، فلا يقال: أيهما أتم الافتقار أم الغنى؟ لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٧٣).

يقول الجنيد: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه، فقلت: يا أبا القاسم، وهل هناك فقيرا يوحشه العلم؟ فقال: نعم، الفقير إذا كان صادقا في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٧٦).

التصوف

وسئل الجنيد عن التصوف، فقال: هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٨٠).

وسئل الجنيد عن التصوف، فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة (الرسالة القشيرية، ص: ٢٨٠).

وقال الجنيد: التصوف عنوة لا صلح فيها. وقال أيضا: هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم. وقال أيضا التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع وعمل مع اتباع. وقال أيضا: الصوفي كالأرض، يطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح. وقال أيضا: إنه كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء. وقال إذا رأيت الصوفي يعبي بظاهره، فاعلم أن باطنه خراب. (الرسالة القشيرية، ص: ٢٨١).

الأدب

يقول الجنيد: جاءني بعض الصالحين يوم جمعة، فقال لي: ابعث معي فقيرا

يدخل علي سرورا، ويـأكل معي شيئا فـالتفت فـإذا أنـا بفقير شـهدت فيـه الفاقـة فدعوته وقلت له: امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سرورا فمضـى فلـم ألبث أن جاءني الرجـل وقـال لـي: يـا أبـا القاسـم لـم يـأكل ذلـك الرجـل إلا لقمـة وخـرج فقلت: لعلك قلت كلمة جفاء عليـه فقـال لـي: لـم أقـل لـه شـيئا فـالتفت فـإذا أنـا بالفقير جالس فقلت له لمـاذا لـم تـتم عليـه السـرور؟ فقـال يـا سـيدي خرجـت مـن الكوفة وقدمت بغـداد ولـم أكـل شيئا وكرهـت أن يبـدو سـوء أدب مني مـن جهـة الفاقة في حضرتك فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منـك فمضيـت وأنـا لا أرضى له الجنان فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال كل فهذا أحب إلـي مـن عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمـت أنـه دنـيء الهمـة فتظرفـت أن آكـل طعامه فقال الجنيد: ألم أقل لك إنك أسأت أدبـك معـه فقـال يـا أبـا القاسـم التوبـة فسأله أن يمضي معه ويفرحه (الرسالة القشيرية، ص: ٢٨٧).

الصحبة

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد ﷺ: لما أثبت سبحانه للصديق ﷺ الصحبة بـين أنـه أظهر عليـه الشفقة فقـال تعـالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠] فالحر شفيق على من يصحبه (الرسالة القشيرية، ص: ٢٩٤).

وقال الجنيد: لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلـم بشـيء فسألت أصحاب أبي حفص عن حاله فقالوا هذا رجل أنفق عليه مائـة ألـف درهـم واستدان مائة ألـف درهـم أنفقهـا عليه ولا يرخـص أبـو حفـص أن يتكلـم بحـرف (الرسالة القشيرية، ص: ٢٩٦).

معرفة الله

وقال الجنيد: إن أول ما يحتاج إليه العبد مـن الحكمـة معرفـة المصنـوع صانعـه والمحدث كيف كـان إحداثـه فيعـرف صفـة الخـالق من المخلـوق وصفـة القديـم مـن المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعـرف مالكـه لـم يعـترف بالملك لمن استوجبه وقال أبو الطيب المراغي للعقل دلالة وللحكمة إشارة وللمعرفة شهادة فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد بـأن صفـاء العبادات لا ينـال إلا

الكسبية في الابتداء وإن كانت معرفة على التحقيق، فلم يعدها الصديق ﷺ شيئا بالإضافة إلى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه. (الرسالة القشيرية، ص: ٣٠٠).

قال الجنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب، وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع. (الرسالة القشيرية، ص: ٣٠٠).

وقال الجنيد: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مفارق لعلمه. وقال أيضا: علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه. (الرسالة القشيرية، ص: ٣٠١).

وقد سئل الجنيد عن التوحيد فقال: سمعت قائلا يقول:

وغنى لي قلبي وغنيت كما غنى

وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

فقال السائل: أهلك القرآن والأخبار؟ فقال: لا، ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره!. (الرسالة القشيرية، ص: ٣٠٢، ٣٠٣).

وقال الجنيد سئل بعض عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل: بين لي ما هو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته (الرسالة القشيرية، ص: ٤٤)

وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله تعالى. (الرسالة القشيرية، ص: ٤٦).

القبض والبسط

يقول الجنيد: الخوف من الله يقبضني والرجاء منه يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني إذا قبضني بالخوف أفناني عني وإذا بسطني بالرجاء ردني علي وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني فروحني (الرسالة القشيرية، ص: ٥٩)

التواجد والتوجد والوجود

والحكاية المعروفة لأبي محمد الجريري رحمه الله أنه قال كنت عند الجنيد وهناك ابن مسروق فقام ابن مسروق وغيره والجنيد ساكت فقلت يا سيدي أليس لك في السماع شيء فقال الجنيد: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل: ٨٨] ثم قال: وأنت يا أبا محمد أليس لك في السماع شيء فقلت: يا سيدي أنا إذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسي وجدي فإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجدت فأطلق التواجد في هذه الحكاية ولم ينكر عليه الجنيد ذلك (الرسالة القشيرية، ص: ٦٢).

المشاهدة

وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله: وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآيلته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته (الرسالة القشيرية، ص: ٧٥).

الخواطر

وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة ثم إنها تعاودك وتعاودك وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له

سواء وإنما يريد أن يكون داعيا دائما إلى زلة ما ولا غرض له في تخفيف واحد وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه وإذا كان الخاطر من الحق سبحانه فلا يحصل خلاف من العبد له (الرسالة القشيرية، ص: ٨٤).

وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني فقالوا إذا كان الخاطر من الحق سبحانه فهل هو أقوى من الأول؟: قال الجنيد: الخاطر الأول أقوى لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم فترك الأول يضعف الثاني (الرسالة القشيرية، ص: ٨٤).

التوبة

سمعت الجنيد يقول التوبة على ثلاث معان: أولها الندم وثانيها العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه وثالثها السعي في أداء المظالم (الرسالة القشيرية، ص: ٩٥).

وقال الجنيد: دخلت على السري يوما فرأيته متغيرا فقلت له مالك فقال دخل علي شاب فسألني عن التوبة فقلت له لا تنس ذنبك فعارضني وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت إن الأمر عندي ما قاله الشاب فقال لم قلت قال لأني كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت (الرسالة القشيرية، ص: ٩٥).

وسئل الجنيد عن التوبة فقال أن تنسى ذنبك (الرسالة القشيرية، ص: ٩٥).

العزلة

يقول الجنيد: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة (الرسالة القشيرية، ص: ١٠٣).

سمعت الجنيد يقول: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال أبو يعقوب السوسي: لا يقوى على الانفراد إلا الأقوياء ولأمثالنا الاجتماع أوفر وأنفع (الرسالة القشيرية، ص: ١٠٤).

التقوى

كان الجنيد جالسا مع رويم والجريري وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا إلا بصدق اللجأ قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ

﴿بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة : ١١٨] (الرسالة القشيرية ، ص : ١٠٨) .

الزهد

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد (الرسالة القشيرية ، ص : ١١٦)

سمعت الجنيد وقد سأله رويم عن الزهد فقال : استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب (الرسالة القشيرية ، ص : ١١٧) .

وسئل الجنيد عن الزهد فقال : خلو اليد من الملك والقلب من التتبع (الرسالة القشيرية ، ص : ١١٧)

الخوف

سئل الجنيد عن الخوف فقال : توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس (الرسالة القشيرية ، ص : ١٢٧) .

التواضع

سئل الجنيد عن التواضع فأجاب : خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم (الرسالة القشيرية ، ص : ١٤٨) .

مخالفة النفس

يقول الجنيد النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء (الرسالة القشيرية ، ص : ١٥٢) .

قال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أقدر عليه فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواء هل فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فأقبل على نفسه وقال اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد

سمعت وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه (الرسالة القشيرية، ص: ١٥٢).

التوكل

وقيل: دخل جماعة على الجنيد ن فقالوا: أين نطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم في أي موضع فاطلبوه، قالوا: فنسأل الله تعالى ذلك، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فاذكروه، فقالوا: ندخل البيت فنتوكل، فقال التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ فقال: ترك الحيلة. (الرسالة القشيرية، ص: ١٦٨، ١٦٩).

الشكر

وقال الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة (الرسالة القشيرية، ص: ١٧٤).

يقول الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: أن لا تعصي الله بنعمه. فقال: يوشك أن يكون حظك من الله تعالى لسانك. فال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري. (الرسالة القشيرية، ص: ١٧٥).

يقول الجنيد: كان السري إذا أراد أن ينفعني يسألني، فقال لي يوما: يا أبا القاسم ما الشكر؟ فقلت: أن لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه، فقال: من أين لك هذا؟ فقلت: من مجالستك. (الرسالة القشيرية، ص: ١٧٦).

الغيبة

قال الجنيد: كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس، فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به. فلما انصرفت إلى منزلي، وكان لدى شيء من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك، فثقل على جنيع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبني النعاس، فرأيت ذلك الفقير قد جاءوا به على خوان ممدود، وقالوا لي: كُلْ لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال، فقلت: ما اغتبته. إنما قلت في نفسي شيئا، فقيل لي: ما أنت ممن يرضى منك بمثله، فاذهب فاستحله، ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط عند تراد الماء أوراقا من

البقل، فسلمت عليه، فقال: يا أبا القاسم، أتعود؟ فقلت: لا. فقال: غفر الله تعالى لنا ولك. (الرسالة القشيرية، ص: ١٥٨، ١٥٩).

اليقين

وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب، ولا يتحول، ولا يتغير في القلب. (الرسالة القشيرية، ص: ١٨٠).

وقال الجنيد: قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقينا. (الرسالة القشيرية، ص: ١٨١).

وقال الجنيد: اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب (الرسالة القشيرية، ص: ١٨١).

المعرفة

وقال رجل للجنيد: من أهل المعرفة أقوام يقولون: إن ترك الحركات من باب البر والتقوى، فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإلى الله تعالى رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة. (الرسالة القشيرية، ص: ٣١٤).

وقال الجنيد: لا يكون العرف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب. (الرسالة القشيرية، ص: ٣١٥).

وقال الجنيد: العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت. (الرسالة القشيرية، ص: ٣١٦).

وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. (الرسالة القشيرية، ص: ٣٢١).

المحبة

وقال الأستاذ الجنيد : إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب وفى هذا المعنى يقول الأستاذ أبو علي رحمه الله تعالى :

إذا صفت المودة بين قوم ودام ودهم سمج الثناء .

(الرسالة القشيرية ، ص٣٢٢) .

وقال الجنيد : المحبة إفراط الميل بلا نيل . (الرسالة القشيرية ، ص٣٢٣) .

وقال الجنيد : دفع السري إلى رقعة وقال : هذه لك خير من سبع مائة قصة أو حديث (الرسالة القشيرية ، ص٣٢٤) .

وقال الجنيد : كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة (الرسالة القشيرية ، ص٣٢٥) .

الشوق

وسئل الجنيد من أي شيء يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب؟ فقال : إنما يكون ذلك سرورا به ووجدا من شدة الشوق إليه . (الرسالة القشيرية ، ص٣٣٣) .

حفظ قلوب المشايخ

قال الأمام الجنيد : لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أولا في الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه في المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة سامه الفرقة فقال : هذا فراق بيني وبينك) (الرسالة القشيرية ، ص٣٣٣) .

ومن المعروف أن الجنيد قال : دخلت على سري السقطي يوما فأمرني شيئا فقضيت حاجته سريعا فلما رجعت إليه ناولني رقعة وقال هذا لمكان قضائك لحاجتي سريعا فقرأت الرقعة فإذا فيها مكتوب : سمعت حاديا يحدو في البادية :

أبكي وهل يدريك ما يبكيني

أبكي حذار أن تفارقيني

وتقطعي حبلي و تهجريني

(الرسالة القشيرية ، ص٣٣٤).

السماع :

سئل الجنيد : ما بال الإنسان يكون هادئا فإذا سمع السماع اضطرب؟فقال إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف : ١٧٢] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك. (الرسالة القشيرية ، ص٣٣٩).

وقال الجنيد تتنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء (الرسالة القشيرية ، ص٣٤٠).

يقول الجنيد السماع فتنة لمن طلبه وترويح لمن صادفه وقال أيضا : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والإخوان. (الرسالة القشيرية ، ص٣٤٠).

يقول الجنيد : إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٤٤).

روى الجنيد قال : دخلت على سري السقطي يوما فرأيت عنده رجلا مغشيا عليه فقلت ما له؟ فقال سمع آية من كتاب الله تعالى فقلت أعد قراءتها عليه ثانية فقرأها فقال لي من أين علمت هذا؟ فقلت إن قميص يوسف عليه السلام ذهب بسببه بصر يعقوب ثم عاد بصره فاستحسن مني ذلك (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٤٥).

رؤيا القوم

وقيل رأى الجنيد إبليس في منامه عريانا فقال له ألا تستحيي من الناس فقال هؤلاء

لا ناس إنما الناس أقوام في مسجد الشونيزية أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤوسهم على ركبهم متفكرين فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٧٠).

وروي عن الجنيد أنه قال : رأيت في المنام كأني أتكلم عن الناس فوقف علي ملك فقال : ما أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك عني وهو يقول : كلام موفق والله . (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٧٤).

وقال الجنيد : رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لي : ما الصدق؟ فقلت الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ، ثم صعدا (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٧٥).

وقال الجنيد : رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي : يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقوله؟ فقلت لا أقول إلا حقا فقال صدقت (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٧٦).

الوصية للمريدين

يقول الجنيد : لو علمت أن الله تعالى علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه ولقصدته . (الرسالة القشيرية ، ص : ٣٧٩).

صفة الصوفية

وسئل الجنيد : رحمه الله عن التصوف ، فقال : استرسال النفس مع الله تعالى بلا علاقة . (كتاب اللمع ، ص : ٤٥).

باب صفة الصوفية

وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية : من هم؟فقال : أثرة الله في خلقه يخفيها إذا أحب ويظهرها إذا أحب . (كتاب اللمع ، ص : ٤٦).

صفة الموحد

وقال الجنيد رحمه الله وقد سئل عن التوحيد فقال : إفراد الموحد بتحقيق

وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه وما عبد من دونه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل إلها واحدا صمدا فردا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. (كتاب اللمع، ص: ٤٩).

وسئل الجنيد رحمه عن التوحيد مرة أخرى فقال: معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل. (كتاب اللمع، ص: ٤٩).

وقد سئل الجنيد رحمه الله عن توحيد الخاصة فقال: أن يكون العبد شبحا بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون وقال أيضا. التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية. (كتاب اللمع، ص: ٤٩).

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك: فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون؟ وهل أجابت إلا الأرواح الظاهرة بإقامة القدرة وإنفاذ المشيئة؟فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد: أن يكون العبد كما لم يكن ويبقى الله تعالى كما لم يزل. (كتاب اللمع، ص: ٥٠).

صفة التوحيد

وبيان ذلك كما قال الجنيد رحمه الله في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية وقد ذكرناه. (كتاب اللمع، ص: ٥١).

المعرفة وصفة العارف

وسئل الجنيد رحمه الله عن معقول العارفين فقال: ذهبوا عن وصف الواصفين. (كتاب اللمع، ص: ٥٧).

وسئل الجنيد رحمه الله فقيل له يا أبا القاسم ما حاجة العارفين إلى الله تعالى؟ قال: حاجتهم إليه: كلائة ورعاية لهم. (كتاب اللمع، ص: ٥٨).

باب الكشف عن اسم الصوفية

وقد حكي عن الجنيد رحمه الله : أنه قال : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم. (كتاب اللمع، ص: ٦٦).

معنى الأحوال

وقال الجنيد، رحمه الله: لا يوصل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب ومن لم يكن له فهو مصر والمصر لا تصفو له حسنة. (كتاب اللمع، ص: ٦٧).

باب مقام الزهد

كما سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال: تخلي الأيدي من الأملاك وتخلي القلوب عن الطمع. (كتاب اللمع، ص: ٧٢).

باب مقام الفقر

وقد حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: علامة الفقير الصادق أن لا يسأل ولا يعارض وإذا عورض سكت. (كتاب اللمع، ص: ٧٥).

باب مقام الصبر

وقد سئل الجنيد عن الصبر فقال: حمل المؤن لله تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه. (كتاب اللمع، ص: ٧٦).

باب مقام التوكل

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوكل فقال: اعتماد القلب على الله تعالى. (كتاب اللمع، ص: ٧٩).

باب مقام الرضا وصفة أهله

وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا فقال: الرضا رفع الاختيار. (كتاب اللمع، ص: ٨٠).

باب حال المراقبة وحقائقها وصفة أهلها

قال الجنيد رحمه الله : قال لي إبراهيم الآجري رحمه الله : يا غلام، لأن ترد من

همك إلى الله تعالى ذرة خير لك مما طلعت عليه الشمس. (كتاب اللمع، ص: ٨٢).

باب حال المحبة

وقال الجنيد رحمه الله: وعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك. (كتاب اللمع، ص: ٨٥).

حال المحبة

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب فهذا على معنى قوله: "حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها" (كتاب اللمع، ص: ٨٨).

باب حال الأنس

وسئل الجنيد رحمه الله عن الأنس بالله تعالى: ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة. (كتاب اللمع، ص: ٩٧).

حال اليقين

وهو ما قال الجنيد، رحمه الله، حيث سئل عن اليقين، فقال: اليقين ارتفاع الشك. (كتاب اللمع، ص: ١٠٣).

وصف من أصاب الاستنباط

وكما كان يشير الجنيد رحمه الله: إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع إلى قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل: ٨٨] (كتاب اللمع، ص: ١٢٨).

باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم رسول الله

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان رحمه الله: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ. (كتاب اللمع، ص: ١٤٤).

وسئل الجنيد رحمه الله عن الفقير الصادق فقال: هو أن لا يستغني بشيء ويستغني به كل شيء. (كتاب اللمع، ص: ١٥١).

مستنبطاتهم في خصوصية النبي ﷺ

قيل للجنيد رحمه الله: ما معنى قول النبي ﷺ "وأنا سيد ولد آدم ولا فخر "فقال لي: هات أيش وقع لك في ذلك فقلت معنى قوله "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"[١] وهذا عطاؤه وأنا لا أفتخر بالعطاء لأن فخري بالمعطى. فقال لي: أحسنت يا أبا محمد أو كما قال.

وسئل الجنيد عن معنى قول النبي ﷺ في زينب امرأة زيد، يدعى ابن النبي ﷺ، وكان ابن الدعاية لا ابن الولادة، فأراد الله عز وجل أن يتزوج بخليلته حتى يكون فرقا بين أبناء الولادة وأبناء الدعاية. (كتاب اللمع، ص: ١٦٠).

وقال الجنيد رحمه الله في معنى قول النبي ﷺ: "استغفروا الله وتوبوا إليه، فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة"[٢] أو كما قال، قالوا كان حال النبي ﷺ مع الله تعالى زيادة في كل نفس وطرفة عين فكان إذا رقي به إلى الزيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النفس الماضي استغفر الله من ذلك وتاب إليه.

وسئل الجنيد رحمه الله أيضا كما بلغني عن معنى قول النبي ﷺ "رحم الله أخي عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء"[٣] فقال: معناه والله أعلم أن عيسى

---

(١) أخرجه صحيح مسلم وأبو داود عن أبي هريرة، بلفظ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع".

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، عن الأغر المزني، بلفظ: "إنه ليغان علي قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة".

(٣) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء في المجلد الرابع، كتاب الصبر والشكر: حديث قيل له: يقال إن عيسى مشى على الماء قال "لو ازداد يقينا لمشى على الهواء": هذا حديث منكر لا يعرف هكذا، والمعروف. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر ابن عبد الله المزني قال: فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء، فذكر حديثا فيه أن عيسى قال: لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء. وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ ابن جبل "لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال".

عليه السلام: مشى على الماء بيقينه، والنبي ﷺ مشى في الهواء ليلة المعراج بزيادة يقينه على يقين عيسى عليه السلام، فقال: "لو ازداد يقينا" يعني لو أعطي من زيادة اليقين مثل ما أعطيت لمشى في الهواء، يخبر النبي ﷺ عن حالته. (كتاب اللمع، ص١٦١:).

باب في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله ﷺ من طريق الاستنباط والفهم:

سأل رجل الجنيد رحمه الله وأنا عنده جالس عن معنى قول النبي ﷺ: "لو توكلتم على الله حق توكله لغذاكم كما يغذو الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[(١)] وهو ذا ترى أن الطير يطير في طلب الرزق من موضع إلى موضع ويتحرك ويطلب وينبعث. فقال الجنيد رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وإنما طيران الطير وحركته من موضع إلى موضع ونقلته من مكان إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى، فقد جعل الله تعالى طيرانهم للزينة التي ذكر الله تعالى لا طلب الرزق. (كتاب اللمع، ص: ١٦٢).

وسئل الجنيد رحمه الله عن معنى قول النبي ﷺ "حبك للشيء يعمي ويصم"[(٢)] فقال: حبك للدنيا يعمي ويصم عن الآخرة. (كتاب اللمع، ص: ١٦٤).

ذكر أبي بكر الصديق

وحكي عن الجنيد أنه قال: أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته. (كتاب اللمع، ص: ١٧٢).

ذكر عثمان بن عفان ﷺ

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: سمعت الجنيد رحمه الله ليلة من الليالي وهو (يقول) في مناجاته: إلهي أتريد أن تخدعني عنك بقربك أم تريد أن تقطعني

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن عمر بلفظ: "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا".

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والبخاري في التاريخ عن أبي الدرداء، والخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة، وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

عنك بوصلك، هيهات هيهات، قلت لأبي عمرو: ما معنى قوله: هيهات هيهات؟ قال التمكين. (كتاب اللمع، ص: ١٧٨).

ذكر علي بن أبي طالب ﷺ

سمعت جنيدا رحمه الله يقول: رضوان الله على أمير المؤمنين علي ﷺ لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة ذاك امرؤ أعطي علم اللدني والعلم اللدني هو العلم الذي خص به الخضر عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] (كتاب اللمع، ص: ١٧٩).

آدابهم في الصلاة

وقد حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى والمعنى في ذلك أن التكبيرة الأولى هي مقرونة بالنية التي لا يجوز الصلاة إلا بها وهو عقدك بأن صلاتك لله عز وجل فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة بل ينقص من فضلها ويبقي للمصلي عقدها ونيتها. (كتاب اللمع، ص: ٢٠٤).

ذكر الصوم وآدابهم فيه

حكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم، ويقول: ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم (إذا كان متطوعا) أو كلاما نحو هذا (كتاب اللمع، ص: ٢٢٠).

آداب الفقراء بعضهم مع بعض

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: كل شيء يقدر الفقير أن يعمله إلا صبره على وقته إلى انقضاء وقته. (كتاب اللمع، ص٢٣١).

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه. (كتاب اللمع، ص: ٢٣٣).

ذكر آدابهم في الصحبة

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لأن يصحبني رجل فاسق حسن الخلق أحب

إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق. (كتاب اللمع، ص: ٢٣٥).

وقال الجنيد رحمه الله: رأيت مع أبي حفص النيسابوري رحمه الله تعالى إنسانا أصلع كثير الصمت لا يتكلم فقلت لأصحابه: من هذا؟ فقيل لي: هذا إنسان يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما يسوغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة. (كتاب اللمع، ص: ٢٣٥).

آدابهم عند مجاراة العلم

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لو علمت أن علما (تحت أديم السماء) أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله حتى أسمع منهم ذلك، ولو علمت أن وقتا أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العم لنهضت إليه (كتاب اللمع، ص: ٢٣٩).

وقال الجنيد رحمه الله: ما عندي عصابة ولا قوم اجتمعوا على علم من العلوم أشرف من هذه العصابة ولا أشرف من علمهم ولولا ذلك ما جالستهم ولكنهم كذا عندي وبهذه الصورة. (كتاب اللمع، ص: ٢٣٩).

وحكي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال: لو كان علمنا هذا مطروحا على مزبلة لم يأخذ كل واحد منه إلا حظه على مقداره. (كتاب اللمع، ص: ٢٣٩).

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال: كان سري رحمه الله تعالى إذا أراد أن يفيدني شيئا سألني مسألة، فقال لي يوما: ما الشكر يا غلام؟ فقلت: أن لا تعصي الله بنعم أنعم الله بها عليك، فاستحسن ذلك مني، وكان يستعيده مني ويقول: كيف قلت في الشكر؟ أعدها علي فأعيدها عليه (كتاب اللمع، ص: ٢٤٠).

بقول الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله فإذا كرر عليه السؤال يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل (كتاب اللمع، ص: ٢٤١).

آدابهم في وقت الطعام والاجتماعيات

وعن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال من النذالة أن يأكل الرجل بدينه. (كتاب اللمع، ص: ٢٤٤).

آدابهم في وقت السماع والوجود

حكي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فتركه أولى: الإخوان والزمان والمكان. (كتاب اللمع، ص: ٢٤٦).

وقد حكي عن الجنيد أنه قال: لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم. (كتاب اللمع، ص: ٢٤٧).

آدابهم في اشتغال الكسب

وسئل الجنيد رحمه الله عن الكسب، فقال: يستقى الماء ويلتقط النوى. (كتاب اللمع، ص: ٢٥٩).

آدابهم في الأخذ والعطاء

وحكي عن جعفر الخلدي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال: ذهبت يوما إلى ابن الكريني ومعي دراهم أريد أن أدفعها إليه وكان عندي أنه لا يعرفني، وسألت أن يأخذ ذلك فقال: أنا عنه مستغن، وأبي أن يأخذ مني، فقلت له: إن كنت أنت عنها مستغنيا فأنا رجل من المسلمين أُسَرُّ بأخذك لها فتأخذها لإدخال السرور على قلبي. (كتاب اللمع، ص: ٢٦٣).

آداب الجلوس والمجالسة

وقال جعفر: كان الجنيد رحمه الله تعالى يقول: لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسي عندكم ما جالستكم. (كتاب اللمع، ص: ٢٦٨).

آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب

وعن جعفر الخلدي قال: دخل رجل إلى الجنيد رحمه الله تعالى فأراد أن يخرج من ملكه كله ويجلس معهم على الفقر، قال: فسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول: لا تخرج كل ما معك، احبس مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد في طلب الحلال، لا تخرج كل ما عندك فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك، والنبي ﷺ كان إذا أراد أن يعمل شيئا أثبته. (كتاب اللمع، ص: ٢٧٤).

في ذكر آداب المريدين والمبتدئين

وحكي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قد سأله بعض الفقراء أو بعض الشيوخ، فقال له: ما للمريدين في مجاراة الحكايات؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله تعالى، يقوى بها قلوب المريدين، قال: فقلت: هل في ذلك شاهد من كتاب الله تعالى؟ فقال: نعم: قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] (كتاب اللمع، ص: ٢٧٥).

آداب من يتفرد ويختار الخلوة

وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الخلوة، فقال: إن السلامة مصاحبة لمن طلب فترك المخالفة وترك التطلع إلى ما أوجب اعلم مفارقته. (كتاب اللمع، ص: ٢٧٧).

آدابهم في الصداقة والمودة

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لقد كنت أرى أقواما تجزيني منهم النظرة فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة. (كتاب اللمع، ص: ٢٧٩).

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: إذا كان لك صديق فلا تسؤه فيك بما يكرهه. (كتاب اللمع، ص: ٢٧٩).

آدابهم عند الموت

وقال الجريري رحمه الله تعالى: حضرت وفاة أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى، فلم يزل ساجدا: فقلت له يا أبا القاسم: أليس بلغت هذا المكان وبلغ بك ما أرى من الجهد لو استرحت؟ فقال لي: يا أبا محمد، أحوج ما كنت إليه هذه الساعة، فلم يزل ساجدا حتى فارق الدنيا، وأنا حاضره. (كتاب اللمع، ص: ٢٨١).

وللجنيد في معرفة الجمع والتفريق

فتحققتك في سري فناجاك لساني

فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني

إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني

فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

(كتاب اللمع ، ص : ٣٨٣) .

وقد ذهب الجنيد رحمه الله تعالى إلى أن قربه بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٤) .

وعن جعفر الخلدي قال : سمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول ، وسئل عن الفناء ، فقال : إذا فني العبد عن أوصافه أدرك البقاء بتمامه . قال : وسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول ، وقد سئل عن الفناء ، فقال : استعجام كلك عن أوصافك واستعمال الكل منك بكليتك . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٥) .

وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الحقيقة ، فقال : أذكره ثم أدع هذا وهذا . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٦) .

وقال الجنيد رحمه الله : أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٧) .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن الحقائق اللازمة والقصائد القوية المحكمة لم تبق على أهلها سببا إلا قطعته ولا معترضا إلا منعته ولا تأويلا موهما إلا لصحة المراد إلا كشفته فالحق عندهم لصحة الحال مجرد ، والجد في دوام السير محدد ، على براهين من العلم واضحة ودلائل من الحق بينة . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٨) .

مسألة في الصدق

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله تعالى ، قال : سمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول : ما من أحد طلب أمرا بصدق وجدٍّ إلا أدركه ، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

مسألة في الإخلاص

سئل الجنيد رحمه الله عن الإخلاص فقال : ارتفاع رؤيتك وفناؤك عن الفعل . (كتاب اللمع ، ص : ٢٨٩) .

وسئل الجنيد رحمه الله تعالى مرة أخرى عن الإخلاص ، فقال : إخراج

الخلق من معاملة الله تعالى، والنفس أول الخلق. (كتاب اللمع، ص: ٢٩٠).

سئل الجنيد رحمه الله تعالى: أيما أتم الاستغناء بالله تعالى أم الافتقار إلى الله عز وجل؟ فقال: الافتقار إلى الله عز وجل موجب للغناء بالله عز وجل، فإذا صح الافتقار إلى الله عز وجل كمل الغناء بالله تعالى، فلا يقال: أيما أتم؟ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بتمام الآخر. ومن صحح الافتقار صحح الغناء. (كتاب اللمع، ص: ٢٩١).

مسألة في الفقر

قال الجنيد رحمه الله تعالى: الفقر بحر البلاء، وبلاؤه كله عز. (كتاب اللمع، ص: ٢٩٢).

وسئل عن الفقير الصادق، متى يكون مستوجبا لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؟ فقال: إذا كان هذا الفقير معاملا لله عز وجل بقلبه موافقا لله فيما منع، حتى يَعُدَّ الفقر من الله نعمة عليه يخاف من زوالها كما يخاف على زوال غناه، وكان صابرا محتسبا مسرورا باختيار الله له الفقر صائنا لدينه كاتما للفقر مظهرا للإياس من الناس مستغنيا بربه في فقره، كما قال الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٧٣] الآية، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، ويكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب إن شاء الله تعالى. (كتاب اللمع، ص: ٢٩٢).

وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن أعز الناس، فقال: الفقير الراضي. (كتاب اللمع، ص: ٢٩٣).

مسألة في الظرف

سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الظرف ما هو؟ فقال: اجتناب كل خلق دني واستعمال كل خلق سني، وأن تعمل لله ثم لا ترى أنك عملت. (كتاب اللمع، ص: ٢٩٦).

مسألة

سئل الجنيد رحمه الله تعالى : إذا ذهب اسم العبد ، وثبت حكم الله تعالى؟ قال : اعلم رحمك الله تعالى أنه إذا عظمت المعرفة بالله ذهبت آثار العبد ، وامحت رسومه ، فعند ذلك يبدو علم علم الحق وثبت اسم حكم الله تعالى . (كتاب اللمع ، ص : ٢٩٧).

مسألة

سئل الجنيد رحمه الله تعالى متى يستوي عند العبد حامده وذامه؟ فقال : إذا علم أنه مخلوق ، ويكون ثمًّا . (كتاب اللمع ، ص :٢٩٧).

مسألة في الشاهد

سئل الجنيد رحمه الله تعالى : لم سمي الشاهد شاهدا؟ فقال : الشاهد الحق شاهد في ضميرك وأسرارك مطلعا عليها وشاهدا لجماله في خلقه وعباده ، فإذا نظر الناظر إليه شهد علمه بنظره إليه . وشاهد الصوفية هو أن يقطع منزل المريدين فيشهد عموم العارفين وحملة اسم الشاهد الحاضر في الغيب لا يحرج ولا يفتر ولا يتغافل فإن غفل غفلة مريد فليس بشاهد ، وكل ما يجرى فيه غير هذا في ظاهر الخليقة فهو باطل فليس هو طريق الصوفية . (كتاب اللمع ، ص : ٣٠١).

مسألة: ما الكريم؟

وقال الجنيد رحمه الله : الكريم من لا يحوجك إلى وسيلة . (كتاب اللمع ، ص : ٣٠٢).

مسألة: ما النية؟

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : النية تصوير الأفعال . (كتاب اللمع ، ص : ٣٠٣).

مسألة: ما الصواب؟

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الصواب كل نطق عن إذن . (كتاب اللمع ، ص : ٣٠٣).

مسألة

سئل الجنيد عن الشفقة على الخلق ما هو؟ قال: تعطيهم من نفسك ما يطلبون، ولا تحملهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون. (كتاب اللمع، ص: ٣٠٢).

مسألة في التقية

وقال الجنيد: التقية استواء السر والعلانية. (كتاب اللمع، ص: ٣٠٢).

مكاتبات

وفيما ذكر عن الشبلي رحمه الله، أنه كتب إلى الجنيد رحمه الله كتابا فكتب فيه: يا أبا القاسم ما تقول في حال علا فظهر وظهر فقهر وقهر فبهر فاستناخ واستقر؟ فالشهود منطمسة والأوهام خنسة والألسن خرسة والعلوم مندرسة ولو تكاثفت الخليقة على من هذا حاله لم يزده ذلك إلا توحشا ولو أقبلت الخليقة إليه تعطفا لم يزده ذلك إلا تبعدا فالحاصل في هذه الحال قد صفد بالأغلال والأنكال وغلبه على عقله فحال وحاد الحق بالحق وصار الخلق عقالا وكتب تحتها هذين البيتين:

يا هلال السما لطرف كليل فإذا ما بدا أضا طرفيه

كنت أبكي علي منه فلما أن تولى بكيت منه عليه

قال: فترك الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء وكتب تحتها يا أبا بكر: الله الله في الخلق كنا نأخذ الكلمة فننشقها ونقرظها ونتكلم بها في السراديب وقد جئت أنت فخلعت العذار بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة في أول طبقة يذهب ما وصفت. (كتاب اللمع، ص: ٣٠٥).

وقال الشيخ رحمه الله: وإنما وضعت في هذا الكتاب هذه الحكاية والرسالة حتى يتأمل من ينظر فيه. ويستفيد منها بما فيها من الإشارات الصحيحة والعبارات الفصيحة ويقف على مقاصد القوم في مكاتباتهم لأن بين كل طائفة من الناس مكاتبات ومراسلات على حسب ما يليق بهم. وبالله التوفيق. ٣١٢.

باب في صدور الكتب والرسائل

صدر للجنيد رحمه الله: آثرك الله يا أخي بالاصطفاء وجمعك بالاحتواء

وخصك بعلم أهل النهى وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى وتمم لك ما تريد منك له ثم أخلاك منك له ومنه له به ليفردك في تقلبه لك بما يشهدك من حيث لا يلحقك شاهد من الشواهد يخرجك فذلك: أول الأول الذي محابه رسوم ما ترادف مما غيبه به عنك بعلو ما استأثر به منه له ثم أفردك منك لك في أول تفريد التجريد وحقيقة كائن التفريد فكذلك إذا انفرد بذلك أباد وأفنى الإبادة ما سلف من الحق من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق ومن ذلك: ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد فقد عزره الله وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدعيه ويتحققه ويصطفيه.

صدر آخر: موتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص وآواك الحق في خفي من الملاحظة لحظك شغلا بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل قبل حين البلوى وقبل حال البلوى إنه فعال لما يشاء وهو قدير.

صدر آخر: أكرمك بطاعته وخصك بولايته وجللك بستره ووفقك لسنة نبيه ﷺ وأطلعك على فهم كتابه وأنطقك بالحكمة وآنسك بالقرب وخصك بالفوائد ومنحك الزيادات وألزمك بابه وكلفك خدمته حتى تكون له موفقا ولكأس محبته ذائقا فيتصل العيش بالعيش والحياة بالحياة والروح بالروح فتتم النعمة وتسلم من المعتبة فتصح العافية وتكمل بالسلامة.

صدر آخر: بدت لك عجائب ما في الغيوب من أنبائها وكشفت لك عن حقائق ما تكن من أكنانها وأوضحت لك عن سر غرائب إخفائها وخاطبتك بكل ما كمن من عطائها بلسانه الذي ينطق به عن خفي مكانه فأوضح منطق يوضح عن حكم بيانه ليس بما صرح به من الفصح من لسانه لكن بما أوقفه الحق من مراد إعلانه وذلك غير كائن قبل حينه وأوانه والمراد بفهم ذلك: هو المفرد الموجود من أهل دهره وزمانه.

صدر آخر: حاطك الله بحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه وثبتك وإيانا على سبل مرضاته وأولج بك قباب أنسه وأرقاك في رياض فنون

كرامته وكلأك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيمومية الحياة على دوام ديمومية أبديته وأفردك عما لك به وعما له بك حتى تكون فردا به في دوامها لا أنت ولا مالك ولا العلم به ويكون الله وحده.

هذه الصدور كلها للجنيد رحمه الله وفيها إشارات لطيفة ورموز خفيفة تعبر عن الحقائق المشكلة وتنبئ عن السرائر والخصوصية التي تنفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد وحقيقة التفريد فمن نظر فيه فليتأمل فإن فيه لأهل الفهم فوائد ولأهل العناية بهذا العلم زوائد وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد والله الموفق للصواب.

باب في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم

أنشدني أبو عمرو بن علوان للجنيد رحمه الله هذه الأبيات:

تغرب أمري عند كل غريب فصرت عجيبا عند كل عجيب

وذاك لأن العارفين رأيتهم على طبقات في الهواء رتوب

فأصبح أمري ليس يدرك غوره سوى أنني للعارفين خطيب

وللجنيد رحمه الله في الاحتراق والتعذيب

يا موقد النار في قلبي بقدرته لو شئت أطفأت عن قلبي بك النار

لا عار إن مت من خوف ومن حذر على فعالك بي لا عار لا عارا

وله أيضا:

يا مسعري أسفا يا متلفي شغفا لو شئت أنزلت تعذيبي بمقدار

حاشاك من استغاثاتي فكيف وقد أوليتني نعما طاحت بأذكار

(كتاب اللمع، ص: ٣١٨).

أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله فيما قرأت عليه، قال: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: كان أبو الحسن سري السقطي رحمه الله كثيرا ينشد هذه الأبيات:

ولما ادعيت الحب قالت : كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسبا

فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكي بها أو تناجيا

قال الجنيد رحمه الله : دخلت غرفته وهو يكنس بيته بخرقة ويقول :

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل

قال : وكان يقول كثيرا هذا البيت :

ما في النهار ولا في الليل لي فرج فما أبالي أطال الليل أم قصرا

(كتاب اللمع ، ص : ٣٢١).

دعاء للجنيد رحمة الله عليه ، مستخرج من كتاب المناجاة ، اللهم إني أسألك يا خير السامعين وبجودك ومجدك يا أكرم الأكرمين وبكرمك وفضلك يا أسمح السامحين وبإحسانك ورأفتك يا خير المعطين أسألك سؤال خاضع خاشع متذلل متواضع ضار اشتدت إليك فاقته وأنزل بك على قدر الضرورة حاجته وعظمت فيما عندك رغبته وعلم أن لا يكون شيء إلا بمشيئتك ولا يشفع شافع إليك إلا من بعد إذنك فكم من قبيح قد سترته وكم من بلاء قد صرفته وكم من عثرة قد أقلتها وكم من زلة قد سهلت بها وكم من مكروه قد رفعته وكم من ثناء قد نشرته أسألك يا سامع أصوات المستغيثين وعالم خفي إضمار الصامتين ومطلع في الخلوات على أفعال المتحركين وناظر إلى ما دق وجل من آثار الساعين أسألك أن لا تحجب بسوء فعلي عنك صوتي ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سري ولا تعاجلني العقوبة على ما عملته من خلواتي وكن بي في كل الأحوال رافقا وعلى في كل الأحوال عاطفا إلهي وسيدي وسندي أنا بك عائذ لائذ مستغيث مستجير من تكاثف مخاوف علل سري ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي حتى يكاد ذلك أن يملأ صدري ويوقف على الانبساط إلى ذكرك عقلي ولساني ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي فأنا في حبس ما يعارضني من ذلك من النقص والتقصير أسألك أن

تخرج ذلك عن ذكري وتمنعه من قلبي واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكر معمورة وبخدمتك وعبادتك موصولة حتى يكون الورود وروداً واحداً والحال حالاً واحداً لا سآمة فيه ولا فتور ولا ملل ولا تقصير حتى أسرع به إليك في حين المبادرة وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة وارزقني من طعم ذلك اللذائذ السابغة يا أكرم الأكرمين. (كتاب اللمع، ص: ٣٢٩).

باب الدعوات التي كان يدعو بها الشيخ

سمعت جعفر قال: سمعت الجنيد رحمه الله قال: كان سري السقطي رحمه الله إذا دعا يقول: اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب. (كتاب اللمع، ص: ٣٣٢).

دعاء للجنيد رحمه الله تعالى، إلهي وسيدي ومولاي من أحسن منك حكما لمن أيقن بك ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك؟ ومن أسرع منك عطفا ورأفة لمن أرادك وأقبل على طاعتك؟ فكلهم في نعمائك يتقلبون ولك بفضلك عليهم يعبدون سرت همومهم بك إليك وانفردت إرادتهم لديك وأقبلت قلوبهم بك عليك وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وحدك فهم إليك في الليل والنهار متوجهون وعليك في كل الأحوال مقبلون ولك على الأحوال مؤثرون فأنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بفضلك كالئا كافيا عاصما راحما فإني إليك لاح وبك مستغيث وإليك راغب ومنك راهب وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. (كتاب اللمع، ص: ٣٣٣).

وعن جعفر الخلدي رحمه الله، أنه قال: كان الجنيد رحمه الله يوصي لرجل ويقول: قدم نفسك وأخر عزمك ولا تقدم عزمك وتؤخر نفسك فيكون فيها إبطاء كثير. (كتاب اللمع، ص: ٣٣٤).

وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

وقال الجنيد رحمه الله في كلام له لبعض أصحابه: أوصيك بقلة الالتفات إلى الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة قال: وقلت لأبي عبد الله الخياط الدينوري رحمه الله: أوصني بشيء فقال: أوصيك بخصلة ما أعلم أن يكون خصلة لم

تصحبه آفة غيرها قلت: وما هي؟ قال ذكرك لأخيك بالجميل في ظهر الغيب ودعاؤك له. (كتاب اللمع، ص: ٣٣٥).

السماع واختلاف أقاويلهم في معناه

وحكي عن جعفر عن الجنيد رحمه الله أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقومون إلا عن وجد وعند مجاراة العلم فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصديقين والأولياء، وعند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة:

وسئل أبو علي الروذباري رحمه الله عن السماع فقال: ليتنا خلصنا منه رأسا برأس. (كتاب اللمع، ص: ٣٤٣).

ذكر طبقات المستمعين

وقد حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: دخلت على سري السقطي رحمه الله فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي: هذا رجل سمع آية من كتاب الله عز وجل فغشي عليه فقلت: اقرأ عليه هذه الآية التي قرئت عليه فقرأ فأفاق فقال لي: من أين لك هذا! فقلت: رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن مني ذلك. (كتاب اللمع، ص: ٣٥٤).

باب في وصف سماع المريدين والمبتدئين

ورأيت أبا الحسين السيرواني صاحب الخواص بدمياط وكان يحكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: رأيت رجلا قد سمع السماع حتى تفسخ ورأيت رجلا سمع الذكر حتى مات أو كما قال وسمعت الدقي يقول: سمعت الدراج يقول: كنت أنا وابن الفوطي مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

في سبيل الله ود كان مني لك يبذل

قال وإذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقعة يتسمع فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت علي هذا البيت، قال: فأقبلت الجارية عليه وهي تقول هذا البيت: كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل (كتاب اللمع، ص: ٣٥٨).

وصف خصوص الخصوص وأهل الكمال في السماع

وبلغني عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله أنه قيل له: كنت تسمع هذه القصائد وتحض مع أصحابك في أوقات السماع وكنت تتحرك والآن فأنت هكذا ساكن الصفة فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1] فكأنه يشير بذلك والله أعلم يعني أنكم تنظرون إلى سكون جوارحي وهدوء ظاهري ولا تدرون أين أنا بقلبي وهذه أيضا صفة من صفات أهل الكمال في السماع. (كتاب اللمع، ص: ٣٦٦).

باب في سماع الذكر والمواعظ

قال: سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينوري الدقي يقول: سمعت أبا بكر الزقاق يقول: سمعت من الجنيد رحمه الله تعالى كلمة في التوحيد هيمتني أربعين سنة، وأنا بعد في غمار ذلك.

وقال جعفر الخلدي رحمه الله: دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد رحمه الله وعنده جماعة من المشايخ فقال: يا أبا القاسم متى يستوي على العبد حامده وذامه؟ فقال بعض أولئك المشايخ: إذا أدخل المارستان وقيد بقيدين فقال له الجنيد رحمه الله: ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل فقال: يا حبيبي إذا علم وتيقن أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة وخرج. (كتاب اللمع، ص: ٣٦٨).

باب فيمن كره السماع

قال: وأخبرني جعفر الخلدي فيما قرأت عليه قال: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: جئت إلى سري السقطي رحمه الله يوما فقال لي: أيش خبر أصحابك يقولون قصائد؟قلت نعم قال: يقولون عاشق دنف؟لو شئت أن أقول هذا الذي

---

(١) النمل: من الآية٨٨ .

بي من هذا اللون لقلت. قال الجنيد رحمه الله: وكان معه هذا كثيرا، كان يستره وكان معوله الخوف. (كتاب اللمع، ص: ٣٧٣).

ذكر اختلافهم في ماهية الوجد

وذكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال: كما أظن أن الوجد هو المصادفة بقوله عز وجل: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾(١) يعني صادفوا وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾(٢) أي تصادفوا وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾(٣) يعني لم يصادفه. (كتاب اللمع، ص: ٣٧٥).

ذكر تواجد المشايخ الصادقين

ويقال: إن أبا سعيد الخراز رحمه الله: كان كثير التواجد عند ذكر الموت فسئل عن ذلك الجنيد رحمه الله فقال: العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئا من المكارة بغضا له ولا عقوبة ويشاهد في صنائع الله تعالى الحالة به من المكاره صفو المحبة بينه وبين الله عز وجل: وإنما ينزل به هذه النوازل ليرد روحه إليه اصطفاء له واصطناعا له فإذا كوشف العارف بهذا وما أشبهه لم يكن يعجب أن تطير روحه إليه اشتياقا وتنقلب من وطنها اشتياقا فلذلك ما رأيت من التواجد عند ذكر الموت وربما أتى ذلك على قرب منيته والله يفعل بوليه ما يشاء وما يحب. (كتاب اللمع، ص: ٣٨٠).

قوة سلطان الوجد وهيجانه وغليانه

قال: أخبرني جعفر بن محمد الخلدي رحمه الله فيما قرأت عليه قال: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: قال: ذكر يوما عند سري السقطي رحمه الله تعالى المواجيد الحادة في الأذكار القوية وما جانس هذا مما يقوي على العبد فقال سري رحمه الله وقد سألته فيه فقال: نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يحسه (كتاب اللمع، ص: ٣٨١) وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول: إذا قوي الوجد يكون أتم ممن يستأثر العلم وذكر عنه أيضا أنه قال: لا يضر نقصان الوجد مع فضل

---

(١) الكهف: من الآية ٤٩

(٢) البقرة: من الآية ١١٠

(٣) النور: من الآية ٣٩

العلم، وفضل العلم أتم من فضل الوجد وقد ذكر عنه جعفر الخلدي رحمه الله أنه قال: الحملان في الوجد بعد الغلبة أتم من حال الغلبة في الوجد، والغلبة في الوجد أتم من المحمول قبل الغلبة، فقيل له: كيف نزلت هذا التنزيل؟فقال: المحمول عن حال غلبة بالحمل بعد القهر أتم، والمغلوب بعد حملانه عن نفسه وشاهده أتم (كتاب اللمع، ص: ٣٨١) وحكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول: ذكرت المحبة بين يدي سري السقطي رحمه الله فضرب يده على جلد ذراعه فمدها ثم قال: لو قلت إنما جف هذا من المحبة لصدقت قال: ثم أغمي عليه حتى غاب، ثم تورد وجهه حتى صار مثل دارة القمر فما استطعنا أن ننظر إليه من حسنه حتى غطينا وجهه (كتاب اللمع، ص: ٣٨٢).

إثبات الآيات والكرامات

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال: من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء فمثله مثل من يمضغ التبن قيل لسهل رحمه الله في الحكاية التي قبل هذه فيمن زهد في الدنيا أربعين يوما: كيف يكون ذلك؟ فقال: يأخذ ما يشاء من حيث يشاء. (كتاب اللمع، ص: ٣٩٠).

ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات

قال الجنيد رحمه الله: حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون إلى الكرامات. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٠).

قال ابن عطاء: سمعت أبا الحسين النووي يقول: كان في نفسي من هذه الكرامات شيء فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت: وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال فلأغرقن نفسي، قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال، قال: فبلغ ذلك الجنيد رحمه الله فقال: كان حكمه أن يخرج له أفعى تلدغه، يعني أنه لو لدغته حية كان أنفع له في دينه من ذلك لأن في ذلك فتنة، وفى لدغ الحية تطهير وكفارة. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٣).

ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات

قال الشيخ رحمه الله: أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله فيما قرأت عليه قال:

حدثني الجنيد رحمه الله قال، دخلت على سري السقطي رحمه الله يوما فقال له: أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فآخذ لقمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل. فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك ففكرت في سبب العلة في وحشته عني فذكرت أني أكلت ملحا بأبزار فقلت بسري: أنا تائب من الملح المطيب فسقط على يدي فأكل وانصرف. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٤).

وفي حكاية جعفر الخلدي رحمه الله، قال: جاءني أبو حفص النيسابوري رحمه الله مرة ومعه عبد الله الرباطي رحمه الله وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام، فقال يوما لأبي حفص رحمه الله: قد كان فيمن مضى، لهم الآيات الظاهرة-وليس لك شيء من ذلك فقال: له أبو حفص رحمه الله: فجاء إلى الحدادين إلى كور عظيم محمي، فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في الكور فأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له: يجزيك هذا، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال: كان مشرفا على حاله فخشي أن يتغير عليه إن لم يظهر ذلك له فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لإيمانه. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٤، ٤٠٥).

ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد رحمه الله: وكان له قلب فطن، وربما يتكلم بخواطر الناس، وما يعتقدون في سرائرهم. فقيل للجنيد ذلك، فدعاه وقال: أيش هذا الذي يبلغني عنك؟ فقال: لا أدرى، ولكن اعتقد في قلبك ما شئت، قال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الفتى: اعتقدت كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال: اعتقد مرة أخرى، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، قال: فاعتقد ثالثا، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال الشاب: هذا والله عجيبت أنت عندي صادق، وأنا أعرف قلبي وأنت تقول: لا. قال: فتبسم الجنيد رحمه الله ثم قال: صدقت يا أخي في الأول وفي الثاني وفي الثالث، وإنما أمتحنك هل تتغير عما أنت عليه. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٧).

وعن جعفر الخلدي رحمه الله: قال: سمعت جنيدا رحمه الله يقول: دخل الحارث المحاسبي رحمه الله داري فلم يكن عندي شيء طيب أطعمه، قال: فمضيت إلى دار عمي فأخرجت منها شيئا وحملت لقمة ففتح فمه فجعلت في فمه فكان يحوله من جانب إلى جانب ولا يبتلعه ثم قام وخرج فألقاه في الدهليز فذهبت خلفه وقلت: يا عمي رأيتك لم تبتلع ثم قمت وألقيته في الدهليز قال: نعم بني وذلك أن بيني وبين الله تعالى أنه إذا كان شيء من غير وجهه لا يتهيأ لي بلعه، وكنت فتحت فمي لإدخال السرور عليك ولم يتهيأ لي أن أبلعه فقمت فألقيته في الدهليز. (كتاب اللمع، ص: ٤٠٧).

بيان هذه الألفاظ

قال الجنيد رحمه الله: لقد فاز قوم دلهم وليهم على مختصر الطريق فأوقفهم على محجة المناجاة ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ يقول جل وعز ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1] فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوجه لإقامة ما به يحظون عنده. (كتاب اللمع، ص: ٤١٢).

قال الجنيد رحمه الله: أبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل. (كتاب اللمع، ص: ٤١٣).

حكي عن الشبلي رحمه الله أنه قال: قال لي الجنيد رحمه الله: يا أبا بكر ما ظنك بمعنى خصوص الخصوص فيما تجري إليه من القول عموم ثم قال: خصوص الخصوص في نعت الإيماء إليه عموم. (كتاب اللمع، ص: ٤١٤).

قال الجنيد رحمه الله: جلست عند ابن الكريني فأومأت برأسي إلى الأرض فقال: بعد. ثم أومأت برأسي إلى السماء فقال: بعد، وقال الشلبي: رحمه الله ومن أومأ إليه فهو كعابد وثن لأن الإيماء لا يصلح إلا إلى الأوثان، وقال القائل: ولي عند اللقاء وفيه عتب بإيماء الجفون إلى الجفون فأبهت خيفة وأذوب خوفا وأفنى عن حراك أو سكون. (كتاب اللمع، ص: ٤١٤).

---

(١) آل عمران: من الآية١٣٣ .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الشاهد فقال الشاهد الحق في ضميرك وأسرارك مطلع عليها، والمشهود ما يشهده الشاهد. (كتاب اللمع، ص: ٤١٥).

قال الجنيد رحمه الله: الوقت عزيز إذا فات لا يدرك: يعني نفسك ووقتك الذي بين النفس الماضي والنفس المستقبل، إذا فاتك بالغفلة عن ذكر الله تعالى فلا تلحقه أبدا. (كتاب اللمع، ص: ٤١٨).

سمعت بعض المشايخ وهو أبو الطيب الشيرازي رحمه الله قال: سألت شيخا من مشايخي مسألة فقال لي: أرجو أن يقع جوابه، قال الجنيد رحمه الله لخير النساج رحمه الله حين خرج إليه: هلا خرجت مع أول خاطرك؟ وذلك أنه خطر بقلبه بأن الجنيد رحمه الله على باب داره فكان يدفع خاطره مرارا؛ فلما خرج قال له الجنيد ذلك. (كتاب اللمع، ص: ٤١٩، ٤١٨).

وقال الجنيد رحمه الله في معنى "القبض" و "البسط": يعني الخوف والرجاء؛ فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية، وقد قال القائل في صفة حال العارف المنقبض، وصفة حال العارف المنبسط فقال: معارف الحق تحويها إذا نشرت ثلاثة بعدها الأرواح تختلس فعارف بحظوظ الحق ليس له عنه سواه ولا منه له نفس وعارف بولا المليك معترف يحثه الوجد ما ولى له الغلس وعارف غاب العرف فاعتسفت منه السراير مطوى الذرى شرس حتى استكان وغاب الوعث في سهل فطار شيئان عنه النطق والخرس أغاثه الحق عما دونه فله منه إليه سرار وحيها خنس. يذكر أن العارفين على ثلاثة أصناف: صنف منهم ليس لهم منه نفس، وصنف منهم يحهم الوجد إلى الحال الذي يتولاهم الحق بالكلاءة فيها وصنف منهم غاب عنهم العرف والعادة واستوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحق لهم، فإن سكتوا فلله يسكتون، وإن نطقوا فعن الله ينطقون. (كتاب اللمع، ص: ٤٢٠).

قال الجنيد رحمه الله في تفسير قول أبي يزيد رحمه الله في كلامه ليس بليس قال: هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه وهو معنى قوله ليس في ليس يعني قد غاب المحاضر وتلفت الأشياء فليس يوجد شيء ولا يحس، وهو الذي يسميه

قوم الفناء والفناء عن الفناء" وفقد الفقد في الفقد "فهو الذهاب عن الذهاب، و"النفس" ترو القلب عند الاحتراق، . (كتاب اللمع، ص: ٤٢٤).

قال الجنيد رحمه الله: "أخذ على العبد حفظ أنفاسه على ممر أوقاته". (كتاب اللمع، ص: ٤٢٤).

قال الجنيد رحمه الله: قال لي إبراهيم الآجري: يا غلام لأن ترد بهمك إلى الله طرفه عين خير لك مما طلعت عليه الشمس. (كتاب اللمع، ص: ٤٢٥).

سئل الجنيد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامحى رسومه فلا رسم له قال نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه، فيكون ذلك معنى قوله: امتحى رسومه، يعني علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه، . (كتاب اللمع، ص: ٤٢٧).

مما قال الجنيد رحمه الله في جواب مسألة في التوحيد يصف الموحدين فقال: كانوا بلا كون وبانوا بلا بون. (كتاب اللمع، ص: ٤٣٢) وقال الجنيد رحمه الله في رسالته إلى أبي بكر الكسائي: وأنت في سبل ملتبسة ونجوم منطمسة. (كتاب اللمع، ص: ٤٣٤).

حكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول: أهل خرسان أصحاب قلوب. (كتاب اللمع، ص: ٤٣٥) حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات. (كتاب اللمع، ص: ٤٣٦).

قال الجنيد رحمه الله في وصف التوحيد: فقال: حكمها على ما جرت عليه جار، وسلطانها على كل حق عال، ظهرت فقهرت، وخفيت فاستترت، وصالت فغالت؛ هي هي بلا هي، تبدي فتبيد ما بدت عليه، وتفني ما أشارت إليه، قريبها بعيد، وبعيدها قريب، وقريبها مريب. (كتاب اللمع، ص: ٤٣٨).

قال الجنيد رحمه الله: القلوب المحفوظة لا يعرضها وليها لمجانبة محادثة غيره، ضنا منه بها، ونظرا منه لها، وإبقاء عليها؛ ليخلص لهم ما أصفاهم بهو ما جمعهم له، وما عاد به عليهم (كتاب اللمع، ص: ٤٤٠).

قال الجنيد لرحمه الله في كلام له : إن لله عبادا على وطنات مطى حملانه يركبون، وبالسرعة والبدار إليه يستبقون (كتاب اللمع، ص: ٤٤٦).

وقال الجنيد رحمه الله : امتزج بالالتباس واختلط متلونا في الإحساس، وما يتغير عنها في الالتباس يؤخذ عنه كأسرع مأخوذ ومختلس، . (كتاب اللمع، ص: ٤٤٩).

وقال الجنيد رحمه الله : حكايات أبي يزيد البسطامي رحمه الله تدل على أنه كان قد بلغ إلى عين الجمع، وعين الجمع : اسم من أسماء التوحيد، له نعت ووصف يعرفه أهله. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٠).

قال الجنيد رحمه الله : آخر مقام العارف الحرية. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٠).

كلمات شطحيات تحكي عن أبي يزيد:

قال الجنيد رحمه الله : الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه مفترقون؛ وذلك والله أعلم لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها؛ فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويؤدي ما سمع من تفصيل مواطنه. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٩).

وقال الجنيد رحمه الله : وكان من كلام أبي يزيد رحمه الله، لقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به؛ وجعل ذلك البحر له وحده. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٩).

قال الجنيد رحمه الله : ثم إني رأيت الغاية القصوى من حاله، يعني من حال أبي يزيد رحمه الله، حالا قل من يفهمها عنه أو يعبر عنها عند استماعها؛ لأنه لا يحتمله إلا من عرف معناه وأدرك مستقاة، ومن لم تكن هذه هيئته عند استماعه فذلك كله عنده مردود. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٩).

وقال الجنيد رحمه الله : رأيت حكايات أبي يزيد رحمه الله، على ما نعته ينبئ عنه : أنه قد غرق فيما وجد منها وذهب عن حقيقة الحق، إذا لم يرد عليها، وهي معان غرقته على تارات من الغرق، كل واحد منها غير صاحبتها. (كتاب اللمع، ص: ٤٥٩).

وقال الجنيد رحمه الله: أما ما وصف من بدايات حاله فهو قوي محكم قد بلغ منه الغاية، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة، إلا أنها بدايات، فيما يطلب منها المرادون لذلك. (كتاب اللمع، ص: ٤٦٠، ٤٥٩).

ذكر حكاية حكيت عن أبي يزيد:

في تفسير حكاية ذكرت عن أبي يزيد رحمه الله:

قال الجنيد رحمه الله: أما قوله أول ما صرت إلى وحدانيته: فذاك أول لحظة إلى التوحيد فقد وصف ما لاحظ من ذلك ووصف النهاية في حال بلوغه والمستقر في تناهي رسوخه.

وقال الجنيد رحمه الله: وأما قول أبي يزيد ألف ألف مرة فلا معنى له لأن نعته أجل وأعظم مما وصفه وقاله وإنما نعت من ذلك على حسب ما أمكنه ثم وصف ما هناك وليس هذا بعد الحقيقة المطلوبة ولا الغاية المستوعبة وإنما هذا بعض الطريق.

فهذا ما فسره الجنيد رحمه الله وفيه بلغة وكفاية لمن يفهم والله الموفق للصواب. (كتاب اللمع، ص: ٤٦٤، ٤٦٥).

وأما معنى قوله: عشر سنين وألف ألف مرة وميدان الأزلية وهواء الكيفية: فذاك قد قال الجنيد رحمه الله: أنه وصف بعض الطريق.

فيما قال الجنيد رحمه الله: كفاية عن كلامنا وتكرارنا في هذا (كتاب اللمع، ص: ٤٦٦).

شرح كلام حكي عن أبي يزيد:

فمن أجل ذلك قال الجنيد رحمه الله: لو أن أبا يزيد رحمه الله على عظم إشارته خرج من البداية والتوسط! ولم أسمع له نطقا يدل على المعنى الذي ينبئ عن الغاية وذلك ذكره للجسم والجناح والهواء والميدان (كتاب اللمع، ص: ٤٦٧).

باب أيضا في شرح كلام حكي عن أبي يزيد:

قال الجنيد رحمه الله: هذا كله وما جانسه داخل في علم الشواهد على الغيبة عن استدراك الشاهد وفيها معان من الفناء بتغيب الفناء عن الفناء (كتاب اللمع، ص: ٤٦٨).

وقال الجنيد رحمه الله : ذكره لعشر سنين : هو وقته ولا معنى له لأن الأوقات في هذا الحال غائبة وإذا مضى الوقت وغاب بمعناه عمن غيب عنه ، فعشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله في معنى واحد .

قال الجنيد رحمه الله : فيما بلغني : ثم قال أبو يزيد رحمه الله : أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف وغيبوبة العارف عن الخلق : يقول : عند إشرافي على التوحيد تحقق عندي غيبوبة الخلق كلهم عن الله تعالى وانفراد الله عز وجل بكبريائه عن خليقته .

ثم قال الجنيد رحمه الله : هذه الألفاظ التي قال أبو يزيد رحمه الله : معروفة في إدخال المراد فيما أريد منها . (كتاب اللمع) .

باب آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : كنت أصحب هذه الطائفة وأنا حدث فكنت أسمع منهم كلاما لم أفهم عنهم ما يقولون إلا أن قلبي قد سلم من الإنكار عليهم فبذلك نلت ما نلت (كتاب اللمع ، ص : ٤٧٥) .

ذكر كلام حكي عن الشبلي رحمه الله

قلت قد أشار إلى ما قال الجنيد رحمه الله : إن أبا يزيد رحمه الله : مع عظم حاله وعلو شأنه : لم يخرج من حال البداية ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية (كتاب اللمع ، ص : ٤٧٩) .

ثم قال الجنيد رحمه الله : إنه لم يخرج من حد البداية ولم أسمع له لفظا يدل على أنه وصل إلى النهاية . (كتاب اللمع ، ص : ٤٧٩) .

شرح كلام تكلم به الشبلي

قال : وقال الشبلي رحمه الله : يا أبا القاسم ما تقول فيمن كان الله حسبه قولا وحقيقة فقال له الجنيد رحمه الله : يا أبا بكر بينك وبين أكابر الناس في سؤالك هذا عشرة آلاف مقام أوله محو ما بدأت به (كتاب اللمع ، ص : ٤٨٧) .

والمعنى في ذلك: أن الجنيد رحمه الله كان متشرفا على حاله بفضل علمه وتمكينه فأوراه موضع ما يخشى عليه من الدعوى فيما يقول لأن من كان الله حسبه قولا وحقيقة يستغني عن السؤال فسؤاله للجنيد رحمه الله عن ذلك ينبئ عن أنه مقارب لما هناك (كتاب اللمع، ص: ٤٨٨).

ذكر جماعة المشايخ

قال: فجاءت هذه المرأة إلى الجنيد رحمه الله فقالت: ما تقول في رجل كان طريقي إلى الله؟ فذهب الله وبقى الرجل؟!

فعلم الجنيد أيش مرادها فلم يجبها وقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" ثم عرضت نفسها بالتزويج على سمنون فأبى ذلك عليها سمنون (كتاب اللمع، ص: ٤٩٨).

فصل آخر:

وكذلك الجنيد مع كثرة علمه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه: بالفهم والعلم والدين حتى يقال له "طاووس العلماء" فكم من مرة قد طلب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة (كتاب اللمع، ص: ٥٠٠).

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

قائمة المراجع

١-د. / إبراهيم يسن: حال الفناء في التصوف الإسلامي، الناشر دار المعارف.
٢-أحمد بن حنبل: المسند.
٣-د. / أحمد محمود الجزار: الفناء والحب الإلهي عند محي الدين بن عربي، مكتبة نهضة الشرق ١٩٩٠م.
٤-الأصفهاني: حلية الأولياء، طبقة دار الفكر بيروت لبنان.
٥-أبو العلاء عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام.
٦-البخاري: صحيح البخاري طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٧-البيهقي: الأسماء والصفات.
٨-الترمذي: السنن.
٩-د. جمال رحب سيدبي: المنهج الوسط عند الماتريدية (دراسة فلسفية مقارنة) مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بالمنيا عدد يناير ١٩٩٨م.
١٠-د. جمال رحب سيدبي: الإلهيات عند الإمام القشيري - دار العلم بالفيوم ١٩٩٩م.
١١-د. جمال رحب سيدبي: مشكلة الموت وعلاقتها مجال الفناء عند الصوفية: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بالمنيا - ١٩٩٧م.
١٢-د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة المختار.
١٣-الحاكم: المستدرك.
١٤-ابن خلدون: شفاء السائل.
١٥-ابن خلكان: وفيات الأعيان.
١٦-الديملي: مسند الفردوس.
١٧-الذهبي: سير أعلام النبلاء تحقيق أكرم البوشي مؤسسة الرسالة.
١٨-الزركلي: الأعلام، الناشر دار العلم للملايين.
١٩-زهير ظاظا: الجنيد، طبعة دار الخير - بيروت - لبنان.
٢٠-السبكي: طبقات الشافعية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي.

٢١-السيوطي : الجامع الصغير.
٢٢-الطوسي : اللمع : تحقيق د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور.
٢٣-العجلوني : كشف الخفاء.
٢٤-ابن عجيبة : إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، تحقيق : محمد عزت، الناشر : المكتبة التوفيقية.
٢٥-عبد الرحمن السلمي : طبقات الصوفية، تحقيق : نور الدين شريبة، الناشر : مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٦-علي حسن عبد القادر : Islamic Quarterly (المجلد الخامس) ١٩٥٩ - ١٩٦٠م.
٢٧-علي حسن عبد القادر : حياة وشخصية وكتابات الجنيد تحقيق وترجمة - طبعة لوزاك لندن ١٩٧٦م.
٢٨-عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية، طبقة دار الرشاد القاهرة.
٢٩-عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي.
٣٠-الغزالي : إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي.
٣١-القشيري : الرسالة القشيرية تحقيق : معروف زريق، علي عبد الحميد، الناشر : دار الجيل، بيروت لبنان.
٣٢-الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف مكتبة الكليات الأزهرية.
٣٣-كارل بركلمان : تاريخ الأدب العربي (الجزء الرابع) نقله إلى العربية الدكتور السيد يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، الناشر : دار المعارف مصر.
٣٤-ابن كثير : البداية والنهاية مكتبة المعارف - بيروت - لبنان.
٣٥-المنقي الهندي : كنز العمال.
٣٦-المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٣٧-د. مجدي إبراهيم : التصوف السني (حال الفناء بين الجنيد والغزالي) تصدير الأستاذ الدكتور عاطف العراقي - مكتبة الثقافة الدينية.
٣٨-د. أبو الوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي، الناشر دار الثقافة بالفجالة - القاهرة.

فهرس الموضوعات